

حادثة القصر

قراءة في البيان الأول للسلطنة القعيطية

رؤية المؤرخ بامطرف للواقع السياسي بحضرموت

الوطن في شعر علي أحمد بارحاء

الشاعر السياسي خالد محمد عبدالعزيز

في حوار يكشف لأول مرة: سر أسرار رائعته الغنائية: (بعد المكلا شاق)





الشاعر مستور سليمان حمادي

- ولد بمدينة سيئون سنة 1897م.
- إلى جانب كونه من أبرز شعراء الدان الحضرمي فقد أجاد فنون الغناء والتلحين والعزف على الناي.
- توفي سنة 1975م.



ألقاب القرى الحضرية



أ. د. عبدالقادر علي باعيسى
رئيس التحرير

مسفهين ما يقول أو مقللين من قيمة ما قال أو ما فكر فيه، وكان القدماء يتوارون من أن يذكر لقبهم أمامهم ويغضبون إلى درجة أن يهيموا بالتعارك فيما بينهم عندما يسمعون هذه الألقاب، مما يشير فعلاً إلى أثرها التنقيصي الذي كان مفعلاً في ما مضى، وهناك من اهتم بها وأوردها في قصيدة كالشيخ حسن عبدالله بلخير ولعله أراد أن يرسخها، أو يوثقها، أو يتفكه بها، وصار أبناء القرية يتوارثون هذا اللقب - العيب إلى يومنا هذا غير أنه غداً الآن مادة للتندر.

ومن الناحية اللغوية يلاحظ أن اللقب جملة أو كلمة واحدة هي مركز ضبط الحكاية، أو العنصر الأساسي فيها بحيث - وقد ألغى ما عداها - ظلت هذه الكلمة مؤثرة، بل شديدة التأثير. ومن الألقاب التي جاءت على صيغة جمل على سبيل الاستدلال العام لا التشهير أو التنقيص من قيمة أحد:

- الشهر فوق دار بن طحين.
- كوا للجدار لأنه مشعوق.
- شراع فوق حمار.
- صلوا على البعير
- اتقوا الله.
- ومن الألقاب التي جاءت كلمات:
- جرّه.
- منكوسة.
- الطاسة.
- الثيران.
- مدللة.
- التخ.

لا تكاد تجد قرية من قرى حضرموت وبلدانها إلا ولها لقب يعير به أهلها سواء في الوادي أو الساحل، وواضح أن اللقب صدر عن موقف غفالة أو سذاجة أو سوء تقدير للأمور قاله أحد أبناء القرية، فأخذ عليه، ولصق بالقرية، غير أننا لا نعرف الحكايات التي انطلقت منها تلك الألقاب، ولكن الواقع يشير إلى أن جزءاً كبيراً منها أو أغلبها كان له حكاية يخجل منها أهل القرية حتى صاروا يعيرون من خلال اللقب وهو الكلمة أو الكلمات الباقية من الحكاية، وقد كان هذا في إطار الأعراف الاجتماعية التي كانت سائدة فيما مضى، ومحاولة كل قرية الاعتزاز بذاتها وتعير القرية الأخرى انطلاقاً من عوامل نفسية واجتماعية.

ولكن في المقابل هناك مواقف جميلة ومشرفة لتلك القرى لم يتم الاستشهاد بها واستنتاج ألقاب منها مما يعني أن التعارض أو التنافس كان أساً من أسس النظام الاجتماعي في ذلك الوقت، ولكنه تعارض شكلي غير معمق الجذور، فما إن يبرز أحد حتى تبدأ مراجعته بأنه من جماعة كذا ويأتون بلقب القرية، فيضحكون، ويحاولون أن يسخروا منه



الهوية الثقافية الحضرية

أ. د. عبدالله حسين البار

ص 12

حادثة القصر

قراءة في البيان الأول للسلطنة القعيطية



أ. د. عبدالله سعيد بن جَسَّار الجعدي

ص 21

سكة يعقوب

والدور التنويري الذي اطلعت به



عبدالقادر سعيد بصعر

ص 24

حَضْرَمُوتُ الثَّقَافِيَّة

مجلة فصلية

السنة التاسعة العدد (35)

يناير - مارس 2025م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ. د. عبدالله سعيد بن جَسَّار الجعدي

رئيس التحرير

أ. د. عبدالقادر علي باعيسى

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

التدقيق اللغوي

أ. د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ. د. عبدالله حسين البار

أ. د. عبدالله صالح بابعير

أ. د. ناجي جعفر الكثيري

أ. د. مسعود سعيد عمشوش

أ. د. خالد يسلم بلخشر

أ. د. صادق عمر مكنون

أ. د. أحمد سعيد عبيدون

د. حسن صالح الغلام العمودي

د. طه حسين الحضرمي

- المواضيع المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترتيب المواد جاء وفق ضوابط فنية إخراجية.
- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتسلمها للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر. ولا تتلزم بنشر المقالات المرسلة إليها بخط اليد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

hadcenter1@gmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

العنوان : المكلا - حي الشهيد - (معهد باشراف سابقا) - ت : ٢٥٠١٢٥

حوار

الشاعر السياسي

خالد محمد عبدالعزيز

في حوار يكشف لأول مرة:

سرّ أسرار رائعته الغنائية:

(بعد المكلا شاق)

صالح حسين الفردي ص 31



دراسات

الشاعر السوداني

الهادي آدم

في رحاب مدينة العلم

والمعرفة - غيل باوزير

أ.د. محمد بن هاوي باوزير

ص 38



نقد

الوطن في شعر

علي أحمد بارجاء

محمد عبدالله بن حيدرة

ص 49



حديث البداية

- أنقاب القرى الحضرمية ... أ.د. عبدالقادر علي باعيسى - رئيس التحرير... 3

أضواء

- وثيقة بيع ثلثي دار "خيبري" الكائن بالمجرف في بندر الشحر سنة ١٢٧هـ هجرية. 26
- أ.د. علي صالح الخلاقي

نقد

- علي عقيل شاعراً د. أبوبكر محسن الحامد..... 43

ترجمة

- حضرموت، جنوب الجزيرة العربية. القبيلة والمجتمع في ظل التمدن (التحضر)..... 61
- ترجمة: د. مراد محمد باعلوي

كتابات

- من مجالس الشاهي لأدباء سينون أيام زمان..... غالب صالح الحامد..... 65

قراءات

- رؤية بامطرف للواقع السياسي بحضرموت قبل الاستقلال ومقارنته بواقعنا..... 68
- أحمد زين باحميد
- مجرد قراءة بصوت مسموع في كتب مختارة (سلسلة أحاديث على السجّة)..... 78
- صالح سالم عمير
- أكبر أغراض الزوجية وما يضادها عند العلامة ابن عبيد اللاه السقاف..... 84
- طارق بن محمد سكلوع العمودي

شخصيات

- حضامة استثنائيون.. السيدة الجليلة فاطمة عبدالقادر بن علوي العيدروس (ج)..... 97
- شكري نصر مرسال

استطلاع

- من بلاد الخرشع إلى بلاد الماء.. تعددت الأسماء والمنطقة واحدة.. يوسف باسنبل. 100

إبداع

- سقطري (شعر) د. عبدالعزيز الصيغ 107
- عتمة (سرد) صالح بحرق 108
- تتمات العاشق! (شعر) سالمين سعيد بنقح 108
- أقاصيص (سرد) خالد القحوم 109
- داء رويدا (سرد) بشرى شيخ 110
- غزة (شعر) أحمد عوض بن هامل 111
- نافذة من ذكريات تشرين (شعر) دعا الأهدل 112

توقيع قلم

- "التداول السلمي للصفحة" د. سعيد الجريري 113

قراءات

"القائم عبدالله

بن عوض مزارش

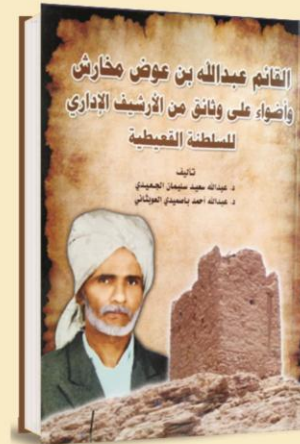
وأضواء على وثائق

من الأرشييف الإداري

للسلطنة القعيطية"

عمرعبدالله حمدون

ص 74



شخصيات

الشيخ الفقيه

عمر حاج باقمري

ومسيرة من العطاء

الفقهي

محسن علوي أبوبكر باعلوي

ص 86





المحافظ بن ماضي يبحث التحضيرات لتدشين مشروع موسوعة حضرموت لتوثيق الأعلام والمعالم والبيانات



إعلام المركز / خاص: ١٣ مارس ٢٠٢٥ م:

أشاد محافظ حضرموت الأستاذ مبخوت مبارك بن ماضي،
بنشاطات مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق
والنشر ومؤسسة حضرموت للدراسات الإنسانية
والاستراتيجية في تعزيز دور البحث العلمي والثقافي
والتاريخي والتوثيقي وصياغة رؤية استراتيجية مستنيرة.

"الموسوعة الحضرمية للبلدان والمناطق والأعلام الحضرمية"
التي ستعمل على توثيق جميع مناطق حضرموت بشعابها وقراها
ومُدنها وبياناتها السياحية، وإعداد خطة للنزولات الميدانية
لتدشين المشروع.

وأشاد المحافظ بتوافق النشاط بين المركز والمؤسسة، معتبراً نشاطاتها
تمثل جسراً يربط بين التاريخ والواقع، ودورها في تنفيذ المبادرات
العلمية وحفظ المخطوطات والوثائق النادرة، واصفاً إياها بالبريد
لمشروع الدولة الثقافي، مؤكداً أن مشروع موسوعة حضرموت
يُعد نافذة على الواقع المعاصر وفرصة لتوثيق معالم ومناطق
حضرموت الغنية بالمووروث التاريخي والثقافي والسياحي.

وتدارس المحافظ خلال لقائه اليوم بالمكلا، رئيس مركز
حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر أ.د. عبدالله
الجعدي، ونائب رئيس المركز أ.د. عبدالقادر باعيسى، ورئيس
موسوعة البلدان والمواقع بالمركز الدكتور سالم باصريح،
ورئيس مؤسسة حضرموت للدراسات الإنسانية والاستراتيجية
الدكتور رزق الجابري، تدارس جملة نشاطات المركز والمؤسسة،
وخططتهما للعام ٢٠٢٥م، مقدمين الشكر للمحافظ لمساندته
لأنشطة المركز والمؤسسة ودعمه لمجلة (حضرموت الثقافية)
الصادرة عن المركز، مستعرضين التحضيرات للاحتفاء بالذكرى
العاشرة لتأسيس المركز، والتحضيرات لتدشين مشروع

نائب مدير مكتب رئيس الوزراء يزور المركز ويشني على نشاطه

هما (أوراق فيدرالية قصة الحكم الاتحادي في اليمن) و (التنظيم
القضائي في الدولة القيعطية بحضرموت دراسة مقارنة).



إعلام المركز / خاص:

زار نائب مدير مكتب رئيس الوزراء د. متعب بازباد مركز
حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر للاطلاع على
الأنشطة التي يقدمها المركز، شاكرًا الجهود التي تقدمها قيادة
المركز ومباركًا الخطوات الجديدة للعام الجديد ٢٠٢٥ في استمرار
نشاط منتدى عميد الوفاء وبدء العمل في مؤسسة حضرموت
لِلدراسات الاستراتيجية والإنسانية.

هذا وقد أهدى د. بازباد لمكتبة المركز كتابين من تأليفه،



منتدى عميد الوفاء الثقافي ينفذ فعالية

حلم الأم يمى (للأستاذ صالح باعامر)

ويبلغ عددها ١٤ قصة.

وفي نهاية المحاضرة التي نالت إعجاب الحضور عبر الحاضرون عن آرائهم وانطباعاتهم حول المحاضرة وتفصيلها الدقيقة التي قال أغلبهم أنهم يقرؤون لأول مرة بهذا التحليل الأدبي الذي جمع بين التعليل والتأويل والتفسير.

يذكر أن هذه المحاضرة هي الرقم العشرون منذ بدء الفعاليات التي نفذها منتدى عميد الوفاء الثقافي في مارس ٢٠٢٤م.



إعلام المركز / خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء الثقافي فعالية (حلم الأم يمى

للأستاذ صالح باعامر) قراءة ثقافية في

تاريخ ٢٩ / ديسمبر / ٢٠٢٤م تحدث

فيها أ.د. عبدالله حسين البار وأدارها

د. عبدالقادر علي باعيسى تمحورت في

قراءة القصص التي احتوت عليها

مجموعة حلم الأم يمى قراءة ثقافية



منتدى عميد الوفاء ينفذ فعالية

(تقويم الحركات والانتفاضات المسلحة في حزموت ١٩٢٣ - ١٩٦٧م)

وأدارها أ. يوسف محمد باجمع.

وتمحورت المحاضرة في الحديث عن حركة باعقيل في قيدون - دوعن، وريدة الدين ١٩٢٣م وكيف كانت آثارها في تلك الحقبة الزمنية في محاولة انقلابها على الحكم القعطي في دوعن وما جاورها، وستعقب هذه المحاضرة محاضرات للأستاذ داؤود عن الحركات الأخرى لاستكمال سلسلة من الفعالية عن الحركات المسلحة في حزموت في وقت لاحق.

حضر الفعالية عدد من المهتمين من الأساتذة والمثقفين بقاعة المنتدى مقدمين مداخلاتهم حول الموضوع.



إعلام المركز / خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء الثقافي محاضرة بعنوان (تقويم

الحركات والانتفاضات المسلحة في حزموت ١٩٢٣ - ١٩٦٧م)

بتاريخ ١٤ / ١٢ / ٢٠٢٤م تحدث فيها: أ.د. محمد سعيد داؤود



منتدى عميد الوفاء الثقافي ينفذ فعالية بعنوان قراءة ايكولوجية (بيئية) في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف



إعلام المركز / خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء الثقافي فعالية بعنوان (قراءة ايكولوجية (بيئية) في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف) بتاريخ ٢٥ / يناير / ٢٠٢٥م تحدث فيها الأستاذ الدكتور خالد يسلم بلخشر وأدارها أ. محمد عوض محماس.

وتحورت الفعالية حول الكاتب الأديب عبد الرحمن منيف ورواية مدن الملح وإسقاطاتها البيئية التي تحكي عن الصحراء والنفط.

وأثريت الفعالية بمدخلات من الحضور حول عنوان الرواية وحديثها.

منتدى عميد الوفاء الثقافي ينفذ فعالية سفينة نوح وشبام .. جدلية العلاقة بين التاريخ والدين

وقدمت بعض الدلائل عن جدلية سفينة نوح ونصوصها في التوراة والقرآن وبعض الدلائل الأثرية والمعمارية والسومرية وعدد من الفرضيات التي اجتهد فيها الباحث التوي للاستدلال على استيطان قوم نوح في منطقة المهجرين ورسو السفينة في منطقة عرمة بشبوة عاصمة مملكة حضرموت قديماً. وأثريت الفعالية بمدخلات من الحضور حول كثير من التفاصيل التي ذكرها الباحث خلال محاضرتة.



إعلام المركز / خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء الثقافي فعالية (سفينة نوح وشبام .. جدلية العلاقة بين التاريخ والدين) تحدث فيها الأستاذ عارف صالح التوي وأدارها الأستاذ أحمد سالم القشمي.





العدد (35)

يناير
مارس
م 2025

منتدى عميد الوفاء ينفذ فعالية بعنوان العمارة والأسطورة (قرية هود بحضرموت أنموذجاً)

في قاعة منتدى عميد الوفاء الثقافي وحضرها عدد من المتابعين على منصة الزوم عبر الشبكة العنكبوتية حاضر فيها الأستاذ المهندس محمد سالم مصباح وأدارتها: أ. نور محفوظ باشطح. وبينت المحاضرة فلسفة عمران قرية هود التاريخية في حضرموت، ودلالاتها المتنوعة دينياً وتاريخياً، موضحاً ارتباط البناء ببعض القيم الهندسية الأجنبية من حيث المسافة بين النهر والضريح والجبل، وثقافة الاحجار وقداستها، واتجاه القبر إلى الشمال الفلكي، واتجاه أرجل القبر إلى الجنوب الذي يرمز في المعتقدات القديمة إلى الموت.

وقد اختتمت المحاضرة بمداخلات الحضور في القاعة وطرح التساؤلات والآراء التي تناقش معها المحاضر.



إعلام المركز / خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء الثقافي فعالية بعنوان العمارة والأسطورة (قرية هود بحضرموت أنموذجاً) يوم السبت ١١ / يناير ٢٠٢٥ م،

منتدى عميد الوفاء الثقافي ينفذ فعالية (المادة العلمية في شعر سالم العيدروس القصائد المسرحية والزوامل أنموذجاً)

بينت الفعالية سيرة وحياة الشاعر سالم العيدروس وبداياته الشعرية ومدى تبصره في توثيق الحياة الاجتماعية والسياسية، وتفرد به بعض الدلالات في شعره، ومدى تعلقه بالوطن. وأثريت الفعالية بمداخلات من الحضور حول كثير من التفاصيل التي ذكرها المتحدث خلال محاضرته.



إعلام المركز / خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء الثقافي فعالية (المادة العلمية في شعر سالم العيدروس - القصائد المسرحية والزوامل أنموذجاً) تحدث فيها د. محمد باحمدان وأدارها الأستاذ عمار بن جوهر.



منتدى عميد الوفاء الثقافي ينفذ فعالية بعنوان (تجربة الشركات المساهمة في حضرموت في الستينيات - المنظمة الوطنية للخدمات العمومية نموذجاً)

على حياة المجتمع الذي استفاد منها مثل شركات الكهرباء والماء والزراعة وبعض الصناعات المختلفة.

من جانبه عبر الحضور عن مدى أهمية الفعالية التي تحتاج إلى أن يتعرف على نجاحها السلطة والشباب ليعيدوا مجد الشركات المساهمة التي تحتاج لها حضرموت ليزيدوا من دور التكافل الاجتماعي في المنطقة.

وفي ختام الفعالية رحب رئيس مركز حضرموت للدراسات التاريخية أ.د عبدالله الجعدي بالمقترح المقدم في المداخلات لتنظيم ندوة موسعة يتبناها المركز ليثروا بذلك أهمية الشركات التي من شأنها تعزيز الاقتصاد في المنطقة.



إعلام المركز / خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء الثقافي يوم السبت بتاريخ ٨ / ٣ / ٢٠٢٥م فعالية بعنوان (تجربة الشركات المساهمة في حضرموت في الستينيات - المنظمة الوطنية للخدمات العمومية نموذجاً) تحدث

فيها الأستاذ عبد القادر سعيد بصعر، وأدارها: الأستاذ مصطفى صالح باحكم.

الفعالية ذكرت نجاح عدد من الشركات المساهمة في حضرموت منذ خمسينيات القرن الماضي ومدى تأثيرها

منتدى عميد الوفاء الثقافي ينفذ فعالية بعنوان (الفة العربية وتوظيفها في مجال الذكاء الاصطناعي)

تطرق الباحث الدكتور بن يحيى إلى ارتباط الذكاء الاصطناعي بعلم اللسانيات واللغة منذ بدايات القرن العشرين وتطوره المتسارع ليصل لكل العلوم التي استفادت من المعلومات التي يولدها الحاسوب في فترة زمنية بسيطة، مسهلاً في تعريفات وإضافات كثيرة عن الذكاء الاصطناعي وبداياته.

وفي خلال اللقاء استعرض الحضور في مداخلاتهم تجاربهم التي استفادوا منها من تطبيقات الذكاء الاصطناعي موصين بالاهتمام أكثر بهذا المجال ليصل إلى جميع الأجيال القديمة والجديدة حتى نساق التطور العلمي والحياتي الحادث في العالم.



إعلام المركز / خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء الثقافي فعالية بعنوان (الفة العربية وتوظيفها في مجال الذكاء الاصطناعي) تحدث فيها الدكتور محمد علوي بن يحيى وأدارها: الأستاذ سالم عبدالرحمن بازهير.



العدد (35)

يناير
مارس
2025م

مركز حضرموت للدراسات التاريخية يشارك في معرض الرحالة الهولندي دانيال فان در ميولين ومؤلفاته

من جانبها أثلنت سفيرة هولندا جانيت سيين خلال كلمتها في افتتاح المعرض على مركز حضرموت للدراسات ودوره في التوثيق التاريخي الذي أسهم في نشر مؤلفات الرحالة دانيال شاكرا رئيس المركز على تعاونه واهتمامه في حفظ التاريخ. يأتي هذا التعاون مع السفارة الهولندية كأحد ركائز المركز وأهدافه.



إعلام المركز / خاص:

شارك مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر في معرض الرحالة الهولندي دانيال فان در ميولين الذي أقيم في تاريخ ٢٤ / ٢ / ٢٠٢٥م في متحف المكلا وذلك من خلال طباعة ونشر رحلاته في ثلاثة مؤلفات وبإشراف مباشر من المركز. وفي خلال المعرض أهدى رئيس المركز الثلاثة المؤلفات لبعض سفراء الاتحاد الأوروبي ومندوبي السفارات الأوروبية والوفد المرافق لهم وقد حملت العناوين الآتية:

- رحلة في جنوب شبه الجزيرة العربية.
- حضرموت إزاحة النقاب عن بعض غموضها.
- وجوه في بلاد العرب.

مركز حضرموت للدراسات التاريخية يبحث فرص التعاون مع منظمة اليونسكو

من جانبها قدم المركز عددا من إصداراته لليونسكو وموضحاً سلسلة الأعمال التي قام بها خلال الأعوام الماضية وما أثمرته من صون لعدد كبير من الوثائق وتقديم المؤتمرات والندوات وإصدار عدد من الكتب والدراسات التاريخية لحضرموت. حضر اللقاء عضو اللجنة العلمية بالمركز أ.د سالم باصريح ومدير المشاريع أ. عوض بلفقيه.



إعلام المركز / خاص:

التقى رئيس مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر د. عبدالله سعيد الجعدي بمدير مشاريع مكتب اليونسكو الإقليمي السيد نونو أوليفر، وضابط مشاريع مكتب اليونسكو الإقليمي السيد محمد الجابري لبحث فرص التعاون المشترك بين الطرفين.

وفي خلال الزيارة رحب السيد نونو بالزيارة مطلعاً على نشاط المركز وأهدافه في خدمة العمل الثقافي والتاريخي في حضرموت وموضحاً سياسة العمل للمنظمة لهذا العام ٢٠٢٥م.



(٢ - ٢)

القرن السادس الهجري حتى آخر القرن الثالث العشر الهجري، ولعلها كانت شائعة عند شعراء العربية في تلك العصور، لكن الذي يهمنا هنا هو النظر في سمة اللغة الشعرية كما تجلت في أشعار من جمع لهم السقاف من أشعار حيث عزت لهم دواوين أو مجموعات شعرية تدل القارئ على خصائص لغة أشعار شعرائها. وأول ما يلفت المتلقي في لغة هذه الأشعار اقترابها من لغة الابتهالات والأدعية فتتقاصر عن جلاء الشجن الصوفي وإشراقاته.

وقفنا على باب الكريم بذنبنا

فيارب أغفر ذنب من كان قد وقف

أتينا ذنوباً ضاق صدري بفعلها

وعفوك يرجو كل من جاء واعترف

ومالي سواكم يار جا كل مؤمن

ويا درك الملهوف من كثرة الكلف

أو تقف عند حد الوعظ والإرشاد حماية من تيه، ودعوة للاهتمام:

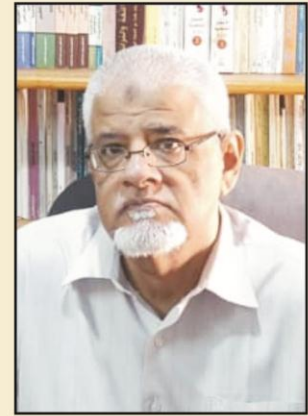
يا تائها في الغي من أعماكا وبحب دار السوء من أغراكا

يا حائر في مهممة الغفلات، يا متجاهلاً متبسطاً بخطاكا

كم ذاتعامل بالقبيح لمن أتاح لك الجميل ولم يزل يراعاكا

أ. د. عبدالله

بن حسين البار



الثقافة الأدبية: والأدب إما شعر وإما نثر

وللشعر أنماط من القول، وللنثر أجناس متفرقات مختلفات في البنية والبناء. وقد شاع الشعر في أهل حضر موت كما ينبئ صاحب موسوعة (تاريخ الشعراء الحضرميين) وقد قدم مادة وافية عن الشعراء في حضر موت يفيد منها الراغب في دراسة ذلك الشعر وأبعاده الموضوعية والفنية، وسنتال منه بغيتنا كما رسمنا في حديثنا هذا. وبمراجعة ما تيسر من قراءة أجزائه الخمسة في صفحات أشتات مجتمعات تبين أن الأشعار الكثيرة في ذلك السفر الكبير (لا تتعدى منطقة محدودة من توسل أو مدح أو نظم مسائل علمية)، وتلك مقولات كبرى شملت أشعارهم منذ



أ. د. عبدالله البار، في أثناء محاضرتة بعنوان:
(الهوية الثقافية في حضرموت في مفترق طرق)
التي قدمها د. عبدالقادر باعيسى
في منتدى عميد الوفاء في يوم تدشينه

وأول ما نفع عليه من صور ذلك المنشور أدعية توجه بها قائلوها إلى الله جلّ وعلا، كل على حسب حاله النفسي وشجته الداخلي.

ولقد تفاوت أدائها اللغوي بمقدار الحصيلة اللغوية التي امتلكها الداعي المبتهل، وعلى مقدار التزامه بالمأثور من الأدعية أو تفلته من رقها لينساح مع ما يرد على خاطره من رؤى وأفكار ومعانٍ تدل عليها ما يتخير من ألفاظ. ولعل في الدعاء المنسوب للفقهاء المتقدمين شاهدا على براعة استخدام اللغة وتوظيفها لجلاء ما يعتل في نفس الداعي وإخلاصه في المناجاة قال: "بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم انقلنا والمسلمين من الشقاوة إلى السعادة، ومن النار إلى الجنة، ومن العذاب إلى الرحمة، ومن الذنوب إلى المغفرة، ومن الإساءة إلى الإحسان، ومن الخوف إلى الأمان، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الذل إلى العز، ومن الإهانة إلى الكرامة، ومن الضيق إلى السعة، ومن الشر إلى الخير، ومن العسر إلى اليسر، ومن الإذبار إلى الإقبال، ومن السقم إلى الصحة، ومن السخط إلى الرضا، ومن الغفلة إلى العبادة، ومن الفترة إلى الاجتهاد، ومن الخذلان إلى التوفيق، ومن البدعة إلى السنة، ومن الجور إلى العدل".

هنا يتراءى التصوف لغة صافية لا يشوبها اتباع ولا بأسرها تقليد، لغة حرة تناجي الذات بها مولاها العزيز الجليل المتعالي، وتسأله ما يشغلها من احتياج ترغب في الظفر به،

ولقد تتقاصر لغة الشعر عن هذا السمت لتغدو منظومات علمية في الفقه أو الطريقة أو بعض علوم العربية. وإن للتصوف، من حيث هو حالة ثقافية انزاح بها الحضارم إلى مقدس متصل بالوحي يدا في تقديس ما يقوله الشعراء فأحاطوه بهالة من الجلال ونزهه عن النقد والدرس الأدبي لما فيه من أسرار وخفايا لا يدركها غير ذوي العقول الخاصة والفهم اللدني العظيم. ونحن نعلم أن الشعر كل شعر هو نتاج اللغة التي يشكل بها الشاعر عوالمه التخيلية ويجلو بها دلالاته ومقاصده، ويخضع لقوانين اللغة وأعرافها، وهو ما أدركه بعض شعراء التصوف في حضرموت كالإمام الحداد مثلاً. لكن في من اعتنى بشعره بتحقيق نصه من رام تنزيهه من كل عيب شعري كإقواء أو إيطاء أو خطأ نحوي أو عروضي أو ما أشبه هذا ودنا منه، ولم يدرك أن في بعض النص الذي عمل على تحقيقه أشعاراً ظهرت فيها تلك العيوب، وأقر بها صاحبها. قال الإمام الحداد في مقدمة ديوانه (الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم) في طبعته الأولى. وقد حذفت من الطبعات التالية على أهميتها، ما نصّه: (وإذا حصل التكلف في الشعر ذهب النور. وقد نظمنا بعض قصائدنا قبل أن نقرأ في النحو ولم نعرّبها بعد قراءتنا وقلنا ما قد مضى على الإخلاص لا يغير، وقد طلب منا بعض الإخوان في أن يعرب ما ليس بمعرب فمنعناه من ذلك) وهذه كلمة شريفة لها دلالتها على إدراك الإمام الحداد حقيقة الشعر ومعرفة مضايقه والخبرة بطرائق سبكه وجبكه. وفيها ما يدل على أن تقديس مثل ذلك الشعر هو ديدن اللاحقين لأصحاب الشأن أنفسهم، وهذا أثر من آثار التصوف الغالب على أهل تلك الجهة.

وكما عرف أهل حضرموت الشعر وأسهموا فيه بنصيب كان لهم في النشر حظوظ من التجلي. وإنما نقصد بالنشر هنا ما عرف في تاريخ الأدب بالنشر الفني، ومن هنا نستثني النشر العلمي الذي خُطت به كتب ومؤلفات في الفقه والتصوف والتاريخ وما إلى ذلك من صور الكتابة والتأليف في سائر العلوم.



ومن المنثور المذكور في سير أعلام الثقافة الصوفية في حضرموت (مقامات) تشتمل على شيء من الوعظ، وتتضمن بعض رؤى صوفية في أسلوب سردي. وقد أشار صاحب (تاريخ الشعراء الحضرميين) إلى شيء من ذلك عند ترجمة الحبيب أحمد بن محمد المحضار بقوله: "وله مقامات، في إحداها وصف الدنيا وصفًا دقيقًا". وهو قولٌ ينطبق على رسالته الموسومة بـ (دروب الأخطار) شكلا ومضمونا. فهي ذات بناء سردي، وقد أدخلها السقاف من جهة التجنيس في المقامات، والمقامات شكل من السرديات ومن طرائق بناء السرد لا يجدها إلا جاهل

دون زيادة أو نقصان، ومن هنا خفّت سمته الباني، وصار علامة على حال من الاستاتيكية في الثقافة الحضرمية.

ومن المنثور المذكور في سير أعلام الثقافة الصوفية في حضرموت (مقامات) تشتمل على شيء من الوعظ، وتتضمن بعض رؤى صوفية في أسلوب سردي. وقد أشار صاحب (تاريخ الشعراء الحضرميين) إلى شيء من ذلك عند ترجمة الحبيب أحمد بن محمد المحضار بقوله: "وله مقامات، في إحداها وصف الدنيا وصفًا دقيقًا". وهو قولٌ ينطبق على رسالته الموسومة بـ (دروب الأخطار) شكلا ومضمونا. فهي ذات بناء سردي، وقد أدخلها السقاف من جهة التجنيس في المقامات، والمقامات شكل من السرديات ومن طرائق بناء السرد لا يجدها إلا جاهل. لكن النظر في سرديات الحبيب أحمد كما تمثلها هذه الرسالة تختلف عن سرديات بديع الزمان الهمذاني في مقاماته. فبطل بديع الزمان محتال يتلقظ رزقه بالحيلة والخداع فيكشفه

ولم تقتصر على وجودها وحدها بل شملت معها الآخرين من المسلمين (انقلنا والمسلمين)، متخذة من تقابل الأضداد سبيلا لجلاء الفكرة وإنتاج المعنى. ثم ينتقل في السياق نفسه من درجة الطلب بما يقدر عليه الله سبحانه دون عبده الضعيف إلى الاستعانة به ليقوم العبد بما ينبغي عليه القيام به: "اللهم أعنا على ديننا بالدنيا، وعلى جميع ذلك بلطفك المفضي إلى رضاك، المنهي إلى جنتك المصحوب ذلك بالنظر إلى وجهك الكريم". وإنما يعزُّ على الذات البشرية فعل ذلك دون عون من ربِّ العالمين، ومن هنا جاء الدعاء بالفعل (أعنا). ولم تزل الذات تسأل ربها بضمير المتكلمين لا بضمير المتكلم المفرد، لتشمل الآخرين في دعائها، ويتجاوز الأثر حدود الفرد إلى الجماعة. ومع ذلك فهي لا تجهل أن العلاقة في المناجاة فردية ذاتية كما قال الله على لسان يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾، فالتصوف علاقة بين مخلوق وخالقه، ومعبود وعابده، وإنسان وربِّه وليس نظام (القطيع) وكثرة الاتباع غير مظهر خارجي لا ينبجأ عن شجن عميق ووجد صادق. ومن هنا ندرك سرَّ الفقرة الأخيرة من هذا الدعاء المميز: "إلهي أسألك تألهًا بك، واستغرافًا فيك، ولطفًا شاملاً من لدنك، ورزقًا واسعًا هنيئًا مريئًا، وسنًا طويلاً، وعملاً صالحاً في الإيمان واليقين، وملازمة للحق والدين، وعزة وشرقاً يبقى ويتأبد لا يشوبه تكبرٌ ولا عتو ولا فسادُ إنك سميعٌ قريبٌ".

ولا يخفى ما في فقرات الدعاء من مقابلة ومزاوجة بين جملها مما أكسبها إيقاعاً ملحوظاً يتجاوز إيقاع التسجيع والتجنيس وما أشبههما، ولم تخلُ فقراتُ الدعاء من حركة وتجدد في المعنى ومبناه.

وإن للمهتدين من الحضارمة أدعية أخرى غير هذا الدعاء المنسوب إلى الفقيه المقدم لكنها لا ترقى رقيه ولا تتصل بجوهر شخصيته، وإنما هي أدعية مأثورة يولِّف بينها الداعي التوليف غير التأليف ثم يرددها مكرورة في أوقات معلومة تغدو مع الأيام ورداً وراثياً يشيع بين العامة فينهجون نهجه



على رغم إسلامها بعض ما يملك من عزيز الأخلاق والقيم، فيرفض إعطاءها الذرة الخامسة بل يسترد منها درره الأربع التي أعطاها إياها من قبل، وأثر العودة إلى بلاده خالي الوفاض كما رحل من قبل لكنه كان سعيداً هائناً لأنه استعاد درره الخمس وأرعب المرأة الخائنة الغادرة، وتخلص من سحرها الذي جعلها تستلب منه أربع درر كاملة حتى فاء الحبيب إلى رشده وحمد الله على سلامته من ذلك الشر.

وبهذه الخاتمة تتم الحكاية وتكمل بنيتها. أما بنية (الخطاب) في هذه السردية فلا يخفى على القارئ بساطتها، لأن صلة المؤلف بتقنيات السرد وطرائق تأليفه لمن تكن قوية، وإن لم يخل السياق السردى من بعض تلك التقنيات وإن بدا دون مستوى الإبداع والتجلي الفني.

الرسالة صغيرة جداً، وتقرأ في جلسة واحدة لكنها ذات أبعاد دلالية متعددة ومتنوعة وفيها ما يبين عن رغبة الحبيب أحمد في تجاوز المؤلف من طرائق الوعظ إلى اجترار طرائق جديدة فيها من التشويق والإثارة ما يفتح وعي الناس على ما ينبغي أن يكونوا عليه من مستوى رفيع من التمسك بالقيم والأخلاق.

تجدر الإشارة إلى أن وجود (مقامات) أخريات للحبيب أحمد المحضار أو لأمثاله من (صوفية حضر موت) موضوع يستحق البحث، لأنه من جهة يكسر ثبوت الكتابات ذات النكهة الدينية على هيئة النصائح الدينية أو عرض القضايا في صورة شروح متداولة فينتقل بها من تلك الدائرة إلى دائرة السرد والمسامرة، وهو أسلوب يحدث أثره في القارئ والمستمع لأنه أسلوب فني، والفن عدوى كما قال تولستوي، ومن قبل أشار أرسطو إلى موضوع (التطهير) من خلال المسرح. ومن جهة ثانية فإن البحث عن هذه الصورة السردية يدل على تجاوز أدبي في تاريخ الأدب في حضر موت.

ومن طريف ما يؤثر عن الثقافة الحضرمية استخدام أصحابها لهجة المحكية في الكتابة العلمية على استحياء، فوردت مخطوطات في التأليف التاريخي مكتوبة بتلك اللهجات،

راوي المقامة بعد تندر يضحك السامعين والقراء. أما بطل الحبيب أحمد في رسالته (دروب الأخطار) فقير لكنه ذو قيم وخلق رفيع، وينشد الدنيا وخيراتهما على ما سن الله للعبد من طلب الرزق وتحصيله. وفي مقامات بديع الزمان وسواه راو يروي ما يحدث لبطل المقامة، أما في رسالة الحبيب أحمد فالراوي هو البطل ولذلك تروى الحكاية بضمير المتكلم، بل يضع اسمه الحقيقي علماً على ذلك البطل فيمتزج السرد الموضوعي بالسيرة الذاتية. وهذه بعض مميزات خالف فيها عمل الحبيب أحمد صنيع بديع الزمان في مقاماته. ولكن وجود السجعات في أسلوبه الكتابي كان مدعاة لنسبتها إلى فن المقامات وقد شاع فيها أسلوب السجع حتى استحال صناعة لغوية محضة ولا ندري أكان الحبيب أحمد على دراية وعلم بما صنع حين تخالف مع بديع الزمان وتوافق في مضان من رسالته هذه أم لم يكن كذلك؟ لكن موحيات العمل تدفع إلى استنباط ذلك وتشير إلى وجوده، وهذه حسبنا منه وكفى.

ولكل عمل سردي بنية (الحكاية) وبنية (الخطاب). ولقد أجاد الحبيب أحمد فجلاً بنية (الحكاية) جلاء محكماً، فقدم الحدث وعرض الشخصيات فوصف المكان والزمان متنقلاً بين عدد من البقاع مدناً كانت أم غير مدن فمن المكلا إلى الشحر إلى بومباي إلى شرق آسيا إلى مصر إلى تركيا ثم العودة إلى واديه الحبيب الذي لا يرى له شبيهاً. وأبرز الصراع بين الطالب والمطلوب، بين الراغب والمرغوب فيه، وجسد حظ البطل من الإصرار والقوة ثم الاستسلام والضعف والخنوع أمام قسوة الحاجة إلى المال الوفير، وبين الثمن الفادح الذي سيقدمه في سبيل الظفر بذلك المال المنشود، حتى إذا بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين رفض وأبى أن يزداد سقوطاً وإضاعة لما يملك من قسيم وخلق ورفض المال واستقوى على المرأة العابثة التي في يديها خزائن الأرض وأرادت إذلاله لرغبته في قليل من كثير معها. فإذا هو يشد على الرفض القاطع لطلبها، ويتخلص من نطالها وفيض كذبها

في سؤال الهوية وجوابه

ما الهوية؟ هي في (المعجم الفلسفي): "حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره".

وهي في (دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي): "الخصائص التي تميز فرداً عن غيره أو جماعة عن غيرها، وتمثل انعكاساً لواقع ما ولتصورات معينة". وهي "جوهر الشيء وحقيقته المركبة من العناصر المرجعية والمادية والذاتية التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي". وهناك من يرى الهوية "ظاهرة نفسية اجتماعية تقع عند نقطة التقاطع مع معرفة الذات من طرف الإنسان نفسه ومن طرف الآخرين". وهذا يدل على عدم انفصال الهوية عن الثقافة. ومن هنا كان حديث للمتحدثين عن الهوية الثقافية. ولعلها أولى بتركيز القول فيها من حديث الهوية من حيث هي وجود لشعب ما وماهية له في آن. فأنت لا تستطيع أن تتحدث عن هوية محددة للوجود الحضري لأنك ستغرق في هويات متباينة تباين البيئات التي سكنها الحضري، فسكان البوادي ذوو هوية غير سكان تريم وشبام، وهما مدينتا حضر موت كما يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان. وأنتجت كل تلك التجمعات البشرية سواء في البداية أو الحضر ثقافة خاصة بها في إطار هذا التباين، فمجتمع البوادي مجتمع قبلي أنتج ثقافة تلائم ذلك الوجود، فسادت ثقافة الحروب المتمثلة في إنتاج السلاح وتشكيله وصناعته، وفي الزوامل وأشعار الحماسة، وفي الأعراف والسوارح التي أقرها الوجود القبلي والتزم بها في حياته ليشكل نظاماً اجتماعياً خاصاً يبين سواه من أنظمة الحياة في المجتمع الحضري. ومجتمع تريم وشبام أنتج ثقافة ذات هوية دينية شاع فيها الالتزام بالشريعة الإسلامية ومكوناتها الفقهية، وسلك فيها أهلها طرائق في السلوك مخصوصة، وانتظمت طوائف من أهلها في صفوف العلم وسعوا إلى نشره بين البيئات المتضادة ومن هنا كان اتجاههم للسلام ملحاً، وبعدهم عن لبس شكة السلاح منعداً. وقس على هاتين

وفي الكتابة الإنشائية الإبداعية كالشعر، فوجدت دواوين اشتملت على نصوص منظومة بلهجة حضرية محضة، وديوان بامخرمة دليل شاهد على ذلك ناهيك عن قصائد من شعر أبي بكر بن عبدالله العيدروس الملقب (بالعديني) وهي قصائد ذات نفس صوفي وأرج عرفاني مما يشي بإبداع ملحوظ في إخضاع لغة العامة لتحتوي كثيراً من الأبعاد الرمزية في شعر التصوف وتوظيفها لتشيع دلالاتها بين العامة الذين جهلوا الفصحى وتكبوها عنها. وتجد شيئاً من ذلك في مثل قوله:

ذا نسيم القرب نسنس وشفى سقم المحبين

لكن مثل هذا الصفاء الصوفي والإبداع الشعري تقاصر في أدوار تاريخهم اللاحقة فغداً ابتهالات واستغاثات وأدعية تخلو من الشعرية، كما في قول أحدهم:

يا إله السما سالك تجلي ذي الأكدار

يا خفي اللطائف بيدك النفع والضار

على أن من شعراء حضر موت القادرين على النظم بالعامية من انزاح عن ذلك البعد الصوفي في أشعارهم وأعادوا لغته إلى بعدها الحسي البشري، فصاروا يتغزلون في معشوق من لحم ودم بعد أن كان غزلهم في معشوق سام. فإذا قال الإمام الحداد:

أنا مشغول بليلي عن جميع الناس جملة

فإذا ما قيل من ذا قل هو الصب الموله

جاء من يخرج عن هذه الرمزية الغزلية إلى غزل حسي لا يختلف عما يقوله شعراء الغزل، كما في قول قائل:

إنما البارحة قابلني.....

وإن افتتحها بشيء من الابتهالات والاستغاثات والشكوى من الدنيا وأحوالها. وكثيراً ما يلجأ إلى شيء من ذلك المزج حتى غداً ثيمةً مكرورةً في شعره.

وللحضرارم إسهام ملحوظ في كثير من مجالات المعرفة الإنسانية تحكمهم روح الثقافة التي تمثلوها على مدى قرون متطاولة في الزمان، وصبغت تفكيرهم بسماتها وشكلت سلوكهم بخصائصها. وهو ما سنجلوه حين نقف على معنى الهوية الثقافية وطبيعتها في أدوار التاريخ الحضري.



كما جسدتها علوم الشريعة من فقه وتفسير وحديث وعلوم أصول وتصوف وحررتها في عبادات وسلوك يباشره الحضرمي في حياته المعيشة. ومن هنا اختفى كل علم وضعي ابتكره البشر أو أعملوا فيه نظرهم العقلي كالفلسفة والمنطق وما اتصل بهما من علوم نظرية أو تطبيقية.

هيمنت إذاً الثقافة الدينية على المجتمع الحضرمي قروناً عدداً، وصارت لها سلطة وسيطرة على أفئدة أهلها تجلّت على صورتين أو لاهما سيطرة الفقه وشرائع الإسلام التي عمت المجتمع وهيمنت عليه بقوة إقامة الحدود وتنفيذ قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك حرص الحضارم على الالتزام بمنطوق النص وعدم مخالفته إلى سواء. وثانيتها سطوة التصوف الذي أتاح للشيخ هيمنة على مريده بحيث لا يقوى على مخالفته أو مواجهته باعتراض. وهي بنية تلتحم في موازنة بنية تقابلها مع (البدوي القبيلي) الأبعد ما يكون عن ذلك النسيج فتتم الهيمنة عليه عن طريق السلوك الحسن والخلق القويم والقدوة المثلى. ومن هذا كله يتراءى لك المجتمع الحضرمي ملزوماً بأداب السكون والقناعة والرضا بالموجود دون بحث عن منشود آخر يغير الحال الواقع إلى حال سواء. ومضى (المجتمع الحضرمي) على ذلك النسق ما يقرب من ثمانية عقود أو يزيد، بل لعله كلما أوغل في الزمن ازداد تسليماً ورضاً بما هو فيه، فاندعت فيه الرغبة في تجديد الموجود ناهيك بالخروج عليه والنكوص عنه. ومن هنا تجلّت خصائص تلك الهوية الثقافية التي هيمنت على المجتمع الحضرمي كما أنبأ عنها وجوده العريق في داخل حضر موت أو خارجها.

وأولى تلك الخصائص أنها ثقافة استاتيكية، تملكها الجمود واستلان ملمس أصحابها، فاندعم فيها التجدد والتنوع وظلت تدور في فضاء موروث لم تستطع منه فكاكاً. ومع أنها بدأت صورة من صور تجديد الحياة في عقود القرنين السابع والثامن لكنها وقفت عند ذلك الحد منذ القرن العاشر،

البيتين المتباينتين سواهما من أمثالهما كمجتمعات الحموم في المشقااص ومجتمعات الحضرمي في الشحر والغيل.

ويتجلى لك ذلك في النظر إلى بعض العلامات التي دلت على وجود أولئك القوم في زمانهم الأول كالملايس مثلاً، فزي البدوي من البساطة والفاعلية المحدودة في الستر والجمال بحيث لا يكاد يظهر جميلاً ولا يستر عورة، أما زي الحضرمي من تريم وشبام ففيه من صفات التنوع والأصباغ والأناقة ما لا يحصى. ولقد أسهمت (المثاقفة) من خلال الهجرات المتوالية إلى شرق آسيا أو إفريقيا في تجديد أزياء أهل تريم وشبام وما جاورهما من بلدان ذات سمة حضرية.

وحديث (الملايس) هذا ليس ببعيد عن حديثنا عن الشعر الذي أبدعه شعراء في تلك البيئات، فشعراء البادية نظموا بالعامية أشعاراً في زوامل تشف عن فروسية وبسالة وتهديد للخصوم ودفاع عن الوجود، وشعراء من تريم وشبام صاغوا أشعاراً ذات نكهة صوفية وابتهالات واستغاثات وقليل منها قيل في نصرة المجتمع من حاكم ظالم جائر.

وهذه الأشعار منظومة باللهجة العامية. وهي متخالفة على المستوى الصوتي والمستوى الدلالي، وما إلى ذلك من اختلافات. وجميع ذلك يكشف عن هويات متعددة في المجتمع الحضرمي المتعدد البيئات المختلف المشارب والأهواء.

بيد أن النظر إلى ذلك المجتمع من زاوية الثقافة المكونة نجد أن له هوية موحدة تتلاءم وطبيعة منزعه التكويني الذي تشف عنه جبلته وفطرته. فهو مجتمع يغلب على أهله المنزع التديني، وتمسكه بأعراف تدينه ونظم أخلاقه ملحوظ فيه من زمن بعيد موغل في القدم، ومن هنا هيمنت (الثقافة الدينية) عليه، وغدت طابعه الذي لم ينفصل عنها خلال ثمانية قرون كاملة تمتد منذ القرن السادس الهجري حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري. ولقد صبغت هذه الثقافة الدينية المجتمع الحضرمي برؤية للعالم ظلت تنامي حتى عمت كل صقع فيه، وهذه الرؤية تقوم على اتحاد بين (الذات) وفكرة (الإله الجلي)



أولى تلك الخصائص أنها ثقافة استاتيكية، تملكها الجمود واستلان ملمس أصحابها، فانعدم فيها التجدد والتنوع وظلت تدور في فضاء موروث لم تستطع منه فكاكا. ومع أنها بدأت صورة من صور تجديد الحياة في عقود القرنين السابع والثامن لكنها وقفت عند ذلك الحد منذ القرن العاشر، واستهوتها الخرافة، والوقوف على الميسر من العلوم دون مقاربة لمتونها المكونة لعلم غزير وثقافة عميقة، وصار التمتع بحديث الكرامات مغنيا عن المجاهدة في بابي العلم والعبادة الحققة وهو مما أفرغ العلم من جوهره فغدا ملخصات، وفي مظان غدا مشافهة عابرة ومختصرة. يتصل بهذا اعتمادهم على النقل دون العقل. سيقول قائل: ولكن اختيار المرء قطعة من عقله. وهذا صحيح، ولكننا نقصد هنا العقل المبدع المنتج، لذلك قل فيهم الاهتمام بالفلسفة والمنطق وما أشبههما من علوم تساعد على التفكير والتدبر والتأمل في مسائل المعرفة، واقتصر على كتب علماء الشاذلية يرددونها مثلما اقتصروا على كتب الإمام الغزالي عامة وعلى كتاب (الإحياء) خاصة يرددون فيه النظر ويتباهون بتكرار قراءته عشرات المرات بلغت عند أحدهم أربعين مرة. فوصمت بكونها ثقافة (المسموع) لا ثقافة المكتوب. فهم لا يزيدون على تكرار ما قيل دون إضافة إليه أو زيادة عليه. سيقول قائل: ولكن المنتج المعرفي لا يخفى على متبّع يقظ. وذلك حق. ولكنه منتج أفراد لمعوا في مرحلة وكانوا فيها حالات مفردة لا جمع لها. وقليل أثرها في الآخرين لانعدام التفاعل بين المفرد العلم وأفراد المجتمع الذي يحيط به. ولذلك شكوا أولئك الأعلام من نفور الجماعة من مجالس العلم والإقبال عليه، وإن أشادوا بصلاحيهم من حيث السلوك الحسن والاستقامة في الأخلاق (جاء في كتاب الإمام الحداد سيرته ومنهجه): لو قيل مني أهل هذا الزمان العلم بإنصاف.. لصنفت كتباً كثيرة على معنى آية من كتاب الله، إنما ترد على قلبي علوم لا أجد من يعيها". وهي ثقافة اجترار لا ثقافة إبداع. وأنت تلحظ ذلك في لغة الشعر الذي أنتجه شعراء ذلك الأوان، حيث غلب عليها التكرار، وترسم خطاً من سبقهم من شعراء العربية واعتمادهم على ما تضمنته أشعار الأوائل من صور ومعان، وهذا عقم في القريحة لا ينبىء عن قدرة على الابتكار، وقد بلغ ذروته مع القرن التاسع عشر الميلادي ليختم ب وفاة أكبرهم وأشعرهم وهو الشاعر أبو بكر بن شهاب

(تاريخ ١٣٤١ هـ الموافق ١٩٢٢ / ١٩٢٣ م). ومن بعده نحت الثقافة الحضرمية منحى آخر وأنتجت هوية ثقافية مغايرة ومقابلة لما عرف منها في عقودها المذكورة سلفاً.

ومنذ أن انتصف القرن الرابع عشر الهجري، ووصل القرن العشرون إلى حافة العقد الرابع من عقود العشرة ظهر جيل من المثقفين الحضارم اتصلوا بالثقافة العصرية كما عرفها زمانهم، وتفاوت حظهم في الأخذ بها حسب الأسباب التي هيأت لهم مثل ذلك الاتصال، وكانت الهجرة واحدة من تلك الأسباب، ووصول مؤلفات رواد الثقافة الحديثة في مصر وبلاد الشام والعراق، وتعرفهم على صور للثقافة غير صورتها كما عرفوها في بلادهم، فإذا هم يقرؤون في علوم الاجتماع والتاريخ والأدب والسياسة ما لم يكن مألوفاً في ثقافة أسلافهم الحضارم. وعلى الرغم من كونهم درسوا على الأعلام البارزين الذين يمثلون بقايا تلك الثقافة الذين هم سدنيتها والمنافحون



والسياسي الداعي إلى الإصلاح الوطني في إطار الموجود دون تغيير أسسه السياسية، والسياسي الذي يتجاوز ذلك الإطار الضيق إلى أفق قومي يفتح على قضايا الأمة ويسعى لانفتاح حضرموت على ذلك الأفق ما استطاع إليه سبيلا. ناهيك بوجود قيادة سياسية ذات منزع تجديدي مستنير مثله السلطان صالح بن غالب القعيطي الذي سعى إلى تجديد هندسة الحكم وربطه بنظم الإدارة الحديثة وتشكيل المؤسسات التي تهيء المجتمع لفكرة التطور من مدارس ومعاهد علمية وبعثات متوالية وإدارة مدنية وبنية أمنية منظمة تسهم في بناء مجتمع يتجاوز القبلية ومكوناتها العسكرية... إلى آخر ما هنالك من إصلاحات. وبدأ أن المجتمع الحضرمي ينسلخ من ثقافة جامدة ليلتحم بثقافة متجددة متحولة مما أكسبه هوية ذات انتماء للعصر وتفاعل معه، والإسهام في تحريك صور الجمود التي كانت شائعة في حضرموت حقبا من الزمان. وهي ثقافة مُتَّجِة حُرِصَتْ على عرض ما حصلته من معارف ومعلومات عصرية على أهلها في كل وسيلة إعلامية متيسرة، وكان أقربها وصولا للقارئ يوم ذاك الصحف السيارة التي توالى ظهورها. ومنها ما أمكن نشره في كتب، فإذا هم يؤلفون عن تاريخ حضرموت على نحو غير ما ألفوا في كتب الحوليات، ومنهم من التقط صورا مختصرة عن أعلام حضرمية، ومنهم من وقف عند لحظات من تاريخ حضرموت، ومنهم من شمل مساحة واسعة من ذلك التاريخ. ولم ينأوا بأنفسهم عن ثقافة حضرموت الشعبية فجمعوا أشعارا صاغها أصحابها بالعامية الحضرمية ودرسوها، وأمثالا ردها عامة أهل حضرموت، فكانت جلاء لتجارب في الحياة ورؤى لها، ومنهم من أسهم في غير ذلك من الحديث عن أدب شعبي متعدد الاتجاهات. وكانت دواوين الشعر فصيحة وعامية تنثال على الرغم من صعوبة النشر وشحة وسائل الطباعة. وكل ذلك أظهر انتماء لعصر تتجدد رؤاه وتعدد صوره الثقافية، وتبدو هويته عصرية تتجاوز ذلك الماضي وتتكب عنه. لكنها لم تعتمد إلى فحص تلك الثقافة والنظر إليها بعين ناقدة

عنها فإن شباب الحضارم يومئذ قد انزاحوا عن ذلك وإن لم ينسلخوا منه تماما، فكانت تلك الثقافة الموروثة مكونات أولى لكيانهم الثقافي أضافوا إليه ثقافة مكتسبة هيأها لهم العصر الذي ظهر وافيته. ولقد تمثل ذلك أول ما تمثل في انسلاخ لغة الشعر عن تقليديتها التي ظهرت في شعر ابن شهاب ومن شايعه من الشعراء إلى لغة مضمخة بعبير الحياة، وفي فضائها المتجدد المرئي والعميق الأبعاد. فراد الشاعر صالح بن علي الحامد ذلك التيار التجديدي بامتياز، وقدم صورا شعرية تنزاح عما ألف السابقون عليه من صور الشعر وموضوعاته. فلم تعد صورة المرأة في شعره نسخة من صورتها في أشعار الجاهليين ومن تلاهم من شعراء العربية الأوائل، ولكنها صورة مستلهمة من الواقع المعيش الذي عرفه الشاعر وتقرى أبعاده بوعي وإدراك. وبدت الطبيعة تجليا في الشعر نابعا من وراء متجددة متنوعة يعاينها المبدع ويلتقط صوره من واقع يمثلها لتغدو تجسيدا حيا في لغة الشعر. وقس على ذلك مختلف الموضوعات التي طرقتها الشعراء كما جلستها الحياة المعيشة واقتضتها التجربة. وهذا استوجب ثقافة تتجاوز حدود المعرفة الموروثة والمنحصرة في أطر ضيقة تتكرر فيها المعلومات ولا تتجدد، ويعاد فيها صياغة المعلوم مما يفقد المنتج دهشة الجديد وبهاء المبتكر. وتماهى مع هذه الحركة التجديدية في لغة شعراء هذه المرحلة تصورات للفن ومعارف ذات تكوين فلسفي أنبأت عنها كتب العقاد وطه حسين والمازني ونعيمة وأحمد أمين ومحمد حسين هيكل ومن ما ثلهم في الثقافة العربية الحديثة، وإذا جيل من المثقفين الحضارم يلتحمون بأبعاد تلك الثقافة العصرية ويترسمون خطى أصحابها، فيشيع فيهم حال من الليبرالية والإصلاح المجتمعي مثلته كتابات الأساتذة محمد عبد القادر باطرف وسعيد باوزير وعلي عقيل ومحمد عبد القادر بافقيه... الذين تنوعت مصادر معارفهم، وتلوننت منتجاتهم الفكرية على حسب الثقافة والتجربة والاتجاه. فكان منهم المؤرخ المتجاوز نظام الحوليات في التأليف،

دارسة فتوت في زوايا غرف التاريخ كامنة لا هي التي تجددت واتخذت مساراً عصرياً، وقد كان في الإمكان فعل ذلك كما جرى في بعض البلاد العربية والإسلامية، ولا هي التي اندثرت وغدت عاديّات غير صالحة للاستخدام الإنساني، فبقيت كامنة في مئوaha لا حراك لها لكنها لم تمت، وإن رفض أن يكون لها وجودٌ فاعلٌ في المجتمع سوى كونها عادات موروثة محكومة بتطور المجتمع وإيغاله في الحداثة والنهوض الثقافي المستنير .

ثم كر الزمن كرة فإذا المجتمع بكل طوائفه التقليدية والليبرالية يواجه نثرة إيديولوجية تسعى إلى اقتلاع أسس وجوده لتتحرف بها إلى دوائر أخرى لا وطنية ولا قومية ولا متوائمة مع التصورات العقلية التي قامت عليها قواعد المجتمع الحضرمي كاملاً. فاستمسك الحضارة جميعاً بمنزعمهم الأصل واعتصموا به وإن استسلموا السياسة التيار الجديد الذي مثل هوية جديدة ذات أفق اجتماعي إنساني شامل تفاعلوا معه دون اندماج تام فيه إلا في أضيق السبل، ومن تلك السبل التفاعل الأدبي، فأسهم أعلامهم من الرعيل الأول من جيل المستنيرين في مجالات إبداعية لم يكن لها حضور في الثقافة الحضرمية كالكتابة المسرحية والقصصية والنقدية، وذلك في إطار امتدادها الليبرالي الذي يتجاوز الثقافة السلفية التي شاعت في حضرموت في قرونها الأولى. ومن هنا قل الاهتمام بتجديد صور تلك الثقافة ومحاولة إحيائها على نحو يغاير الأسس التي قامت عليها من قبل مما زادها تغريباً في المجتمع وعجزاً عن التأثير فيه. على أن الحال لم يدم لهذا التيار طويلاً فإذا مسارات السياسة تنحرف به عن خطه المرسوم ليصل إلى وضع آخر مختلف سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، وإذا بالانغلاق الذي ساد عقوداً يفتح على صور ثقافية متعددة متخالفة إيديولوجياً وممارسة دينية وآفاقاً معرفية متنوعة. وهنا وقفت حضرموت حائرة، فالماضي ينبعث أمامها عملاقاً شرساً يسعى لاستعادة مكانته في المجتمع، ودوره الذي كان له من قبل. يقابله تيار ظل كامناً في الزوايا لكنه وجد سبيلاً للتنفس واستنشاق هواء متجدد

فجاس بين المساجد والملتقيات ليغدو ثقافة مقابلة لتلك الثقافة الموروثة، واشتد صراعٌ أنذر بانقسام في المجتمع إن لم يكن الانقسام قد تم. وكلا الاتجاهين وجدأيادي خفية تضخ في شرابينه دماء الحياة لتزيد حدة الشقاق ويلتهب الصراع. وتقاصر دور الليبراليين المنفتحين على ثقافة العصر فافتقروا بالنظر منسحبين من دوائر الصراع وساحاته حتى غدا وجودهم مهدداً بانعدام الفاعلية بل وصل الحال ببعضهم إلى الانكفاء على اختصاصهم العلمي الأكاديمي نأياً بنفسه عن الاشتعال في جحيم ذلك الصراع. وفي هذا الخضم انبثق السؤال:

إلى أيّ طريق تسير حضرموت؟

أ إلى طريق الانبعاث الديني المشتعل الصراع في دهاليزه ومقاصيره بين سلفية موروثة بلغت قمته في القرن الثاني عشر الهجري، وغلب التصوف في بعده (الشاذلي والغزالي)، وبين سلفية بدأت مع أصحاب الحديث منذ القرن الثالث الهجري وما تلاه وظلت تتعاضد في اتجاهات شتى؟ أم إلى طريق يتنقّى من كلتا السلفيتين خير ما فيهما دون أن يغرب نفسه عن العصر الذي يعيش فيه؟ أم يشق طريقه مسترشداً برؤى العصر وقيمه وأخلاقه ويبنى مدنيته على النحو الذي يحقق فيه وجوده العصري، ويكون الدين جزءاً من مكونات هويته لا أن يكون هو الهوية المعتمدة فيه؟

أترى الاختيار صعباً؟

ربما كان كذلك. لكنه ليس مستحيلاً. وإن الإجابة عن سؤال الهوية هذا مرون أمره إلى جهود عقول تتكاتف ليعمق جوابها ويحاط فيه بما لم يحط به صاحب هذه السطور. فحديث الهوية هنا حديث جماعة لا حديث فرد، ومآل مجتمع لا مآل شخص لم تزل الحيرة تحاصره فلم يستطع الوصول إلى شاطئ آمن في هذا المحيط المتلاطمة أمواجه.

المكلا في: ١٤ / رمضان / ١٤٤٥ هـ

الموافق: ٢٠ / مارس / ٢٠٢٤ م

إن الوثائق مثل النجوم
تستمد ضياءها من
ذاتها، لكنها لا تبخل
بنورها على من اقترب
منها، وحاول استنطاقها

حادثة القصر

قراءة في البيان الأول للسلطنة القعيطية



منشور عام رقم (١)

((نعلن بهذا الشعبنا في كافة أنحاء السلطنة القعيطية عن الحادث الذي حصل في المكلا يوم الأربعاء ١٨ ربيع الأول ١٣٧٠ هجرية / ٢٧ ديسمبر ١٩٥٠ ميلادي ليكونوا على علم بما حصل وليفهموا على من تقع تبعه هذا الحادث المشؤم. منذ عشرين يوماً على - وجه التقريب - تقدم بعض أعضاء الحزب الوطني بالمكلا لولي العهد بمطالب منها تعيين -سكرتيراً وطنياً- بعد سفر السكرتير السابق الشيخ سيف بن علي وقد وعدهم صاحب السمو بأن الأمر في ذلك يرجع لعظمة السلطان وهو غائب بالهند وعند وصوله يصلكم رده. وعند وصول عظمة السلطان قدم الحزب الوطني عريضة أخرى وقبل أن يحصل على رد حضروا رؤسائه ومعه عدد من الناس أمام القصر مطالبين بالقوة فبدأوا بالضجيج



أ. د. عبدالله سعيد بن جزار الجعدي



وكسروا أبواب القصر واعتدوا على الجنود ونزعوا ثلاثة بنادق وضربوا بعض الجند بالأحجار وطعنوا بعضاً من الجنود أيضاً وإزاء هذه الفوضى دافع الجنود عن أنفسهم فأطلقوا النار فجرح عدد قليل ومات ستة عشر ١٦ شخص. إن هذه الحادثة المشؤم تقع مسؤوليته وتبعته على أولئك الأشرار الذين حرضوا الرعايا المساكين الذين ليس لديهم دخل للشر وعرضوهم للجرح والقتل ثم هربوا دون أن يمسهم سوء وهذه الحقيقة التي يجب أن يفهمها جميع الناس لقد كان من تحريضهم للرعايا أن حصلوهم يتجمعون أمام القصر مع قلة أدب وقد كان هذا القصر دائماً محل الاحترام من جميع الرعايا.

إن الحكومة ستتخذ الإجراءات الصارمة للغاية لكي تقف هذه الفوضى وستضرب على أيدي المحرضين المغرضين الذين يلعبون بالنار واني اطلب من جميع الرعايا ان يلزموا الهدوء ويوحداوا كلمتهم نحو محو الباطل)).

صاحب العظمة السلطان [توقيع]

القصر السلطاني بالمكلا

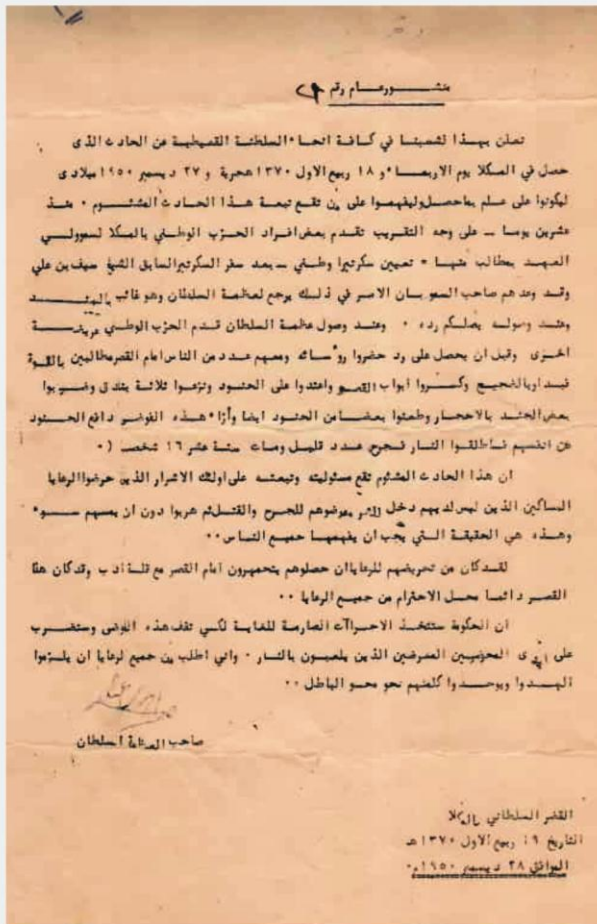
التاريخ ١٩ ربيع الاول ١٣٧٩ هـ

الموافق ٢٨ ديسمبر ١٩٥٩ م

التعليق

حصلنا على هذه الوثيقة من ضمن الوثائق المصورة بالماسح الضوئي، التي تكرم الدكتور عادل اليماني بإهدائها إلى مكتبة مركز حضر موت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر. وسيكون تعليقنا على هذه الوثيقة من داخلها، وفقاً للمنهج التاريخي التحليلي، دون الخوض في أبعاد الحادثة وحيثياتها ونتائجها، باستثناء ما له علاقة مباشرة بالوثيقة نفسها.

تعود هذه الوثيقة إلى مرحلة حكم السلطنة القيعيطية، التي انتهت في سبتمبر ١٩٦٧ م، وتكمن أهميتها التاريخية في كونها أول خطاب موجه للشعب الحضرمي يسجل الموقف الرسمي



للسلطنة، لا سيما موقف السلطان صالح بن غالب القيعيطي من الأحداث الأليمة التي شهدتها مدينة المكلا في ٢٧ ديسمبر ١٩٥٠ م، المعروفة بحادثة القصر التي أسفرت عن مقتل ١٦ شخصاً في يومها الأول، بالإضافة إلى عدد من الجرحى.

كُتب البيان بأسلوب يخدم الرسالة التي أرادت السلطنة إيصالها للأهالي، إذ خلا من تفاصيل ما قبل الحادثة، ولا سيما تحركات الزعامات الشعبية، كما لم يذكر تفهمهم لمطلب تعيين الشيخ سعيد القدال سكرتيراً للسلطنة (الوزير) بعد خطبته البليغة أمامهم، بحضور السلطان صالح القيعيطي والمستشار البريطاني بوستيد. وبدلاً من ذلك، ركّز البيان على تحميل الزعامات الشعبية مسؤولية تحريض الناس، وتصوير الحادثة بوصفها نتيجة طبيعية لتحريضهم، مما أدى إلى اشتباك المتظاهرين مع الجنود و"موت" ١٦ شخصاً، وفق نص الوثيقة.

” استخدم البيان لفظة "مات" التي تحمل دلالة محايدة، وتجنب استخدام لفظتي "استشهد" أو "قُتل"؛ إذ تحيل الأولى إلى عمل بطولي ضمنيًا، وتمنح الضحايا شرعية أخلاقية، وبطولية، بينما تشير الثانية إلى وجود قاتل ومقتول، وهو ما يتضمن اعترافًا ضمنيًا بأن جنود السلطنة القعيطية قد أقدموا على القتل. ومن اللافت أن هؤلاء الضحايا حصلوا بعد سقوط السلطنة القعيطية على لقب "الشهداء"، في كثير من الأدبيات المكتوبة. “

بـ"الأشرار"، بينما وصف المتظاهرين أحيانًا بـ"المساكين"، وأحيانًا أخرى بـ"الرعايا"، وهي لفظة تتسق مع سياقها التاريخي، حيث لم يكن الوعي الاجتماعي قد تطور بعد إلى مستوى مفهوم "المواطنة"، الذي يعني الشراكة في الوطن، واعتبار الشعب مصدر السيادة. ومع ذلك، تحمل هذه الحادثة في مضمونها ملامح أولية لتحول مجتمعي تجاه الشعور بالشراكة في الوطن، ولو من خلال المطالبات السياسية والمجتمعية المتواضعة.

اتسم البيان بلهجة شديدة الانفعال وغير متوازنة، إذ لم يشر ولو من بعيد إلى حق التعبير، أو إلى مشروعية مطلب المتظاهرين في تعيين سكرتير للسلطنة من أبناء حضر موت، بدلًا من الأجانب، سواء أكان عُمانيًا أو سودانيًا. كان بالإمكان تهدئة الموقف عبر الإشارة إلى هذه المطالب وامتصاص الغضب الشعبي، لكن البيان جعل المحور الأساسي هو تحميل الزعامات الشعبية المسؤولية، والتوعد باتخاذ إجراءات صارمة ضدهم، وهو ما حدث بالفعل لاحقًا، حيث جاءت الأحكام الصادرة بحقهم ترجمة عملية لوعيد البيان.

استخدم البيان لفظة "مات" التي تحمل دلالة محايدة، وتجنب استخدام لفظتي "استشهد" أو "قُتل"؛ إذ تحيل الأولى إلى عمل بطولي ضمنيًا، وتمنح الضحايا شرعية أخلاقية، وبطولية، بينما تشير الثانية إلى وجود قاتل ومقتول، وهو ما يتضمن اعترافًا ضمنيًا بأن جنود السلطنة القعيطية قد أقدموا على القتل. ومن اللافت أن هؤلاء الضحايا حصلوا بعد سقوط السلطنة القعيطية على لقب "الشهداء"، في كثير من الأدبيات المكتوبة، كما أصدر الصحفي أحمد عوض باوزير كتابًا بعنوان (شهداء القصر) متماهيًا بذلك مع موقف السلطة الثورية الجديدة التي كانت معادية للعهد السلاطيني ومؤيدة للمطالب الشعبية قبل مرحلة حكمها.

نظرًا لفداحة الحادثة، من حيث عدد القتلى بين المتظاهرين، وغرابتها في مجتمع سكان المدن (الحضر) الذين عُرفوا بميلهم إلى السلم واحترام مؤسسات الحكم القائمة، لم يتأخر القصر السلطاني في إصدار بيان يوضح ملابسات الحادثة، ويدفع عن نفسه المسؤولية، محملاً قيادة الحزب الوطني كامل التبعات. ولهذا السبب، وصف البيان تلك القيادات



كتاب (شهداء القصر)
للصحفي أحمد عوض باوزير



سكة يعقوب

والدور التنويري الذي اطلعت به

مستوى الجزيرة العربية في ذلكم الزمان، وقد جعل هذا المبنى ليستفاد من ريعه في تمويل مشاريع خدمية للمدينة، أمّا الطابق الثاني في سكة يعقوب فكان في البدء مقرّاً لأندية رياضية، منها نادي كوكب الصباح، ونادي الاتحاد، وهي من أقدم الأندية في مدينة المكلا، ومقرّ لعدد من النقابات، خاصة بعد إصدار قانون إطلاق الحريّات، كما كانت في فترة لاحقة مقرّاً لنادي الوطن، ومن ثم نادي المكلا، وكذا مقرّاً لاتحاد الشباب اليمني (أشيد)، ومقرّاً لتجمع اليمني للإصلاح، وكذا مقرّاً للحزب الاشتراكي بالمحافظة.

اضطلعت سكة يعقوب وسطحها الممتد على طولها بدور لا يستهان به في حركة التنوير التي شهدتها المدينة حيث كانت تقام على سطحها عدد من الأنشطة الثقافية والأدبية والفنية والمسرحية، سنشير إلى بعض منها على سبيل الاستدلال؛ فقد أقيمت بها الأمسية الشعرية التي أحيها الشاعر الكبير عبدالله البردوني بعد عودته من المشاركة في مهرجان الموصل بالعراق، في الذكرى الألفية للشاعر أبي



عبدالقادر سعيد بصعر

يقال إنّ هذه السكة كانت موجودة من فترة حكم الدولة الكسادية للمكلا، وكانت مبنية من الطين، وعندما فكّر السلطان صالح بن غالب القعيطي في إعادة هذا المبنى قام بتهديم المبنى القديم فبنى على أنقاضه هذا المبنى (سكة يعقوب) على الطراز المعماري الهندي في أربعينيات القرن العشرين، وكان الطابق الأرضي متاجر تضم أكثر من عشرين متجرّاً، وهو يمثل أقدم المولات التجارية على



عوض سالم باعطب، والأديب والتربوي فرج جامع السنوسي، والإعلامي عمر أحمد بن ثعلب، ونظمت فرقة الفقيدي بارادم للمسرح احتفاليتين وفائيتين لكل من عمر عبدالله عمير الملقب دينار المسؤول المالي للفرقة في مايو ١٩٨٢م، والتربوي والإعلامي عمر أحمد بن ثعلب في يناير ١٩٩٠م الذي كان رئيساً لهذه الفرقة، كما أن سطح يعقوب الخاص بالأندية كانت الهيئات الإدارية لهذه الأندية تنظم عليه بعض الفعاليات الخاصة بها، كالمسابقات الثقافية، وكذا الاحتفاليات الوفاية لبعض من أعضاء هيئاتها ولاعبها الذين رحلوا وانتقلوا إلى دار البقاء والخلود. وكانت تقام أمام سكة يعقوب المهرجانات الجماهيرية الكرنفالية والعروض العسكرية والرياضية والشبابية في عدد من المناسبات الدينية والوطنية.

إن سكة يعقوب تعد من أبرز معالم مدينة المكلا، وقد تم بناؤها من قبل عدد من المعالمة الحضارمة، وتم استقدام عمال هندو شاركوا في هذا البناء وهو على الطراز المعماري الهندي، وفي السنوات الأخيرة تم إعادة تأهيل هذا المعلم (سكة يعقوب) بعد مرور ٨٠ عاماً من بنائه بتمويل من الصندوق الاجتماعي للتنمية، مع الاحتفاظ بنمط بنائه الأول دون إحداث أي تغييرات تمس المبنى، وقد حالف التوفيق الجهة التي أشرفت على هذا البناء.

تمام وقصيدته الشهيرة (أبو تمام وعروبة اليوم)، وكانت هذه الأمسية قد أقيمت على سطح سكة يعقوب في أبريل ١٩٧٣م، وكانت من أنجح الأمسيات من حيث الحضور الجماهيري، كما نُظمت الاحتفالية التأبينية للفقيدين الشاعرين سالم عبدالله رزق الله وفرج عبدالله بانصر في الذكرى الأربعينية لوفاتهما في حادث مروري مؤسف في ١٣ ديسمبر ١٩٨٤م، وقد أقامت الاحتفالية الجمعية الأدبية للشباب بالمحافظة، كما تم تنظيم أمسيات شعرية وندوات أدبية أقامتها عدد من الجهات الإبداعية فوق سطح مقر النقابات، وبحكم إشرافها على نشاط فرقة الفقيدي بارادم للمسرح التي تأسست في مايو ١٩٧٥م وتوقفت عن النشاط في يوليو ١٩٩٤م بعد حرب صيف ١٩٩٤م الظالمة واجتياح الجنوب كانت تنظم على السطح كانت التدريبات والبروفات للأعمال الفنية والمسرحية أكثر من ٢٠ عملاً من المسرحيات والأوبريتات واللوحات الفنية مسرحيات لمؤلفين عرب ومن المسرح العالمي ومن مسرحيين محليين شارك في إخراج بعض هذه الأعمال مخرجون عراقيون، منهم عبدالهادي جبر أبو أروى، وراجي عبدالله حسين أبو ألان. كما أقيمت عدد من الندوات المسرحية في العيد السنوي للفرقة شارك في هذه الندوات المؤرخ محمد عبدالقادر با مطرف، والكاتب المسرحي سالم عبداللاه الحبشي، والمخرج المسرحي

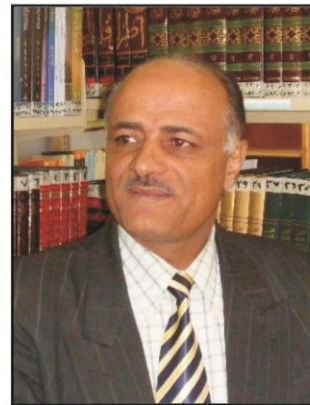


وثيقة بيع ثلثي دار "خيمري" الكائن بالمجراف في بندر الشحر سنة ١١٣٧ هجرية



للوثائق الأسرية الخاصة، التي بقيت من زمن مضى، أهمية كبيرة في حفظ ذاكرتنا الوطنية؛ بوصفها شاهداً تاريخياً لا يرقى إليه الشك، وكلما كانت الوثيقة أقدم كانت أكثر أهمية، لاسيما إذا ما نُقِضَ عنها الغبار، وخرجت من أقباسها وخزائنها، وأُتيح للباحثين الاطلاع عليها والاستفادة من محتوياتها، باعتبارها مصادر تاريخية موثوقة ونزيهة، يعتمدون عليها في تدوين الحقائق التاريخية في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والدينية وغيرها.

في زيارتي لظفار في أغسطس الماضي، وأنا المهووس بالتوثيق وبالوثائق، كنت في زيارة لمدينة مرباط؛ للقاء هناك بعدد من الأسر اليافاعية التي استوطنت هناك منذ حوالي أربعة قرون، أمثال أسرة آل بن همام اليافاعية، التي انتقلت إلى عمان من حضر موت، وكان لها شأن في تاريخ ظفار؛ إذ برزت منها شخصيات، تركت بصماتها التاريخية، أشهرهم الحاكم نور بنت معروف بن حسين بن همام، التي ظهر نجمها بعد وفاة والدها النقيب معروف بن حسين بن علي بن صالح بن همام، وأصبح لها شأن كبير بعد أن خلت الساحة من شخصية قوية تدير شؤون إقليم ظفار ككل، خاصة بعد انقضاء حكومة السيد محمد بن عقيل سنة ١٨٢٩ م؛ إذ فرضت سلطتها على مرباط، خاصة في العقد الرابع من القرن التاسع عشر الميلادي، ووضعت القوانين التي تدير المدينة، ويقال إن مقرر حكمها



أ.د. علي صالح الخلاقي*



مع الأستاذ نوفل بن معروف بن همام اليافعي الذي استضافني في بيته للاطلاع على الوثيقة

المعروف **بدار خيمري**، الكائن بالمجرف في الشحر المحروسة، التي يحدها قليلاً وشرقياً شارعين مطروقين، ونجدياً ساحة آل فوري، وبحرياً الطريف، بجميع حقوق المبيع ومصالحه ومرافقه وطينه وحجره وأرضه وجميع تعلقاته، اشترى المذكور من المذكور جميع ما ذكر بإيجاب وقبول متصل فوري بشرطه، بثمن مبلغه سبعة قروش فلّية ثابتة الوزن، مقبوضاً بيد البائع المذكور، فحيث برية عنه ذمة المشتري المذكور براءة قبض ووفاء، شراءً صحيحاً شرعياً قطعاً بتّاً بتلّاناً فذاً لازماً بإيجاب وقبول متصل فوري، شرطه لا خيار فيه ولا عده ولا مشنوية، مقبوضة قبض مثله بالإذن والتخلية الصحيحة المعتبرة شرعاً، فلما تم ذلك ولزم ما هنالك بعد المعرفة التامة النافية للغرر والجهالة سلط البائع المذكور المشتري المذكور على المبيع المذكور، سلط الملاك في أملاكهم وذوي الحقوق في حقوقهم، من غير مانع لذلك يمنعه ولا منازع ينزعه، جرى ذلك وكل منهما بصحة عقله وبدنه ونفذ تصرف شرعاً.

وكفى بالله شهيداً

بتاريخ يوم الخميس وعشرين في شهر المحرم عاشوراء سنة سبع وثلاثين ومايه وألف (١١٣٧ هجرية). الموافق ١٤ أكتوبر ١٧٢٤ م.

كان في حصن الحسينية، الذي يعود إلى جدّها النقيب حسين بن علي بن صالح بن همام، ومن هناك باشرت نور النفوذ والسلطة. وما يميز أحفاد هذه الأسرة العريقة احتفاظهم بسفائس الوثائق التاريخية الخاصة بالأسرة وتاريخها المشرف في مرباط.

تعمدت الاستهلال بالحديث عن هذه الأسرة؛ لأن أرشيفها النفيس هو ما قادني إلى هذه الوثيقة موضوع البحث، التي اطلعت عليها في أرشيف الأستاذ نوفل بن معروف بن همام اليافعي،

الذي استضافنا مشكوراً في بيته، وفتح لنا قلبه قبل أن يفتح خزان الوثائق التي بحوزته، وأتاح لنا تصويرها بكل أريحية، لإدراكه قيمتها وأهميتها بالنسبة للباحث في التاريخ، وأتمنى أن يقتدي به كل من يمتلكون في أرشيفهم الأسري ووثائق تاريخية، وبأمثاله ممن لم يتحفظوا على مثل هذه الوثائق.

من بين الوثائق الكثيرة التي وضعها بين يدي، وقفت على وثيقة ذات صلة ببندر الشحر، فجذبت انتباهي فصورتها ضمن بقية الوثائق الأخرى. وتعدّ هذه الوثيقة - في تقديري - من أقدم الوثائق الأسرية التي حفظها لنا التاريخ عن بيع العقار في بندر الشحر؛ إذ حرّرت في ٢٠ محرم سنة ١١٣٧ هجرية/ الموافق ١٧٢٤ م.

نص الوثيقة

الحمد لله

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وبعد فقد اشترى الصدر الأجل عبد الله بن إبراهيم بن محمد رجع بماله لنفسه من الصدر الأجل علي بن أبي بكر خيمري البائع بنفسه ما هو ملكه وحوزه وتحت يده وتصرّفه وصار إليه بالنذر الصحيح المنجز من والدته فاطمة بنت الفقيه عمر بن أحمد باعزان، وذلك جميع ثلثي الدار الخارب



حضر بذلك علي بن عوض مراد.

حضر بذلك السيد حسين ابن شيخ ابن إبراهيم العربي.

حضر بذلك السيد محروس بن عوض السري.

حضر ذلك السيد عمر بن شيخ بن عمر بن شيخ بن اسماعيل.

حضر بذلك سالم عمر مكي.

حضر بذلك عمر بن سالم موي.

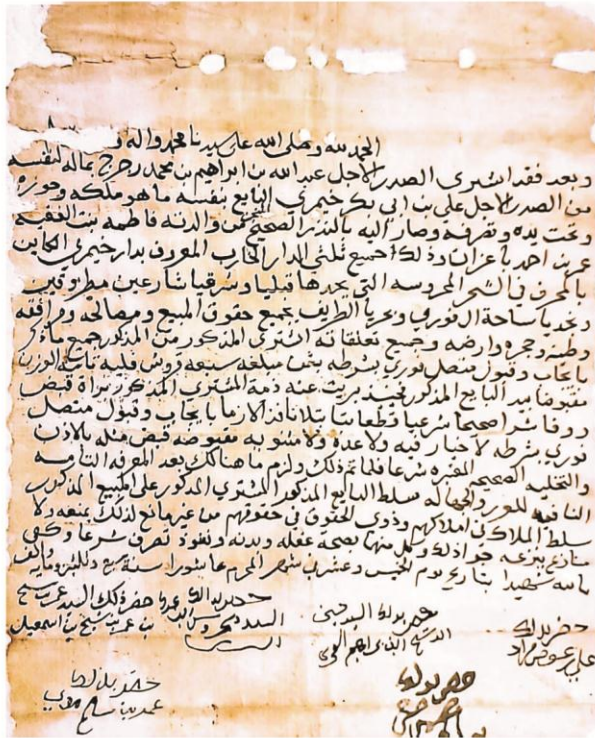
شرح الوثيقة والتعليق عليها

الوثيقة من حيث الشكل حالتها سليمة، باستثناء تلف بسيط في نهاية السطر الأول، وخطها مقروء بصورة جيدة، مقارنة ببعض الوثائق المماثلة التي يصعب فك رموزها، وقد خلت من الفواصل بين العبارات أو النقط بين الجمل... إلخ.

تستهل الوثيقة، بالشكل التقليدي الذي نجده في وثائق مماثلة؛ إذ تبدأ بالحمد لله والصلاة على سيدنا محمد (وآله وصحبه وسلّم) - وهي الفقرة التي أصابها التلف لكن من السهل معرفتها)، ثم تأتي على لقب التقدير والتعظيم (الصدر الأجل) التي تسبق اسم المشتري، وهو عبد الله بن إبراهيم بن محمد رجر، وبالمثل يوصف البائع بالصدر الأجل، وهو علي بن أبي بكر خيمري، وقد باع ما آكل إليه من نذر والدته فاطمة بنت الفقيه عمر بن أحمد باعزان.

أما المَبَاع فهو جميع ثلثي الدار الخارب المعروف بـ(دار خيمري)، نسبة إلى لقب أسرة البائع، التي لا نعرف هل بقي لها ذكرٌ حالياً في بندر الشحر، لكنها كانت معروفة في ذلك الحين؛ بحكم وجود دارها المَبَاع في موقع مهم في (حي المجرف) في الشحر المحروسة، فقد حددت الوثيقة حدود الدار على النحو التالي: يحدها قُبلياً وشرقياً شارعين مطروقين، ونجدياً ساحة آل فوري، وبحرياً الطريق.

ويبدو موقع الدار المهم من وقوعه في حي المجرف، الذي يعد من أقدم أحياء مدينة الشحر بعد حي القرية، وتموضعه



على شارعين رئيسيين مطروقين، أي يَضْجَان بحركة مرور الناس، وكذا على ساحة "آل فوري"، ولا أدري هل هي ساحة عامة أم خاصة. أما صفة (الخارب) فتفيد أن الدار تعرضت لضرر ألحق بها، وتحتاج لإعادة ترميم وصيانة.

وسمّي ذلك الحي بالمجرف لوقوعه على أجراف الطين المطلة على الشاطئ، كما أفاد المؤرّخ محمد عبد القادر بامطرف في كتابه "الشهداء السبعة"، وذكر أن مدينة الشحر مكونة من أحياء عدّة رئيسة، منها حي القرية وجل سكانها من بحارة السفن وبنائنها وعمال الشحن والتفريغ في الميناء. وحي المجرف وجل سكانها من صيادي الأسماك.

وما يزال حي المجرف محتفظاً باسمه الذي عُرف به بالوثيقة، التي يعود تاريخها إلى أكثر من ثلاثة قرون مضت، ويشمل - حسب الباحث عبد الله صالح حداد - القسم الساحلي للمدينة فجنوبه البحر، وشماله الطريق السالك (إسفلت) والمشهور برقيص عمرو، ثم حي عقل باعوين، وبغربه حي القرية، أما بشرقه فتقع الساحة المعروفة بالمجرف، ويقع بالناحية الشرقية الشمالية (حافة المجورة)^(١).



تكمُن أهمية الوثيقة ليس في كونها قديمة مضى عليها أكثر من 300 سنة، بل لأنها تبرز التوثيق القانوني والشرعي الذي كان متبعاً لإثبات الحقوق، من خلال عقود البيع والشراء التي كان يحرص الناس عليها منذ أكثر من ثلاثة قرون مضت، ورغم أنها لم تُوثق في محاكم شرعية رسمية، لكنّها تمتلك القوة القانونية، ولا يرقى إليها الشك في معاملات البيع والشراء بين الناس.

كما أظهرت جوانب من الحياة الاجتماعية، والحقوق التي تمتعت بها المرأة في التصرف بما تملكه، كنذر فاطمة بنت الفقيه باعزان بثلاثي بيت خيمري لولدها، وكذا تعايش الناس في الدار الواحدة ،

وزيادة في صحة البيع شرعاً فقد ورد التأكيد على أنه تم بعد المعرفة التامة النافية للغرر والجهالة^(٥) سلط البائع المذكور المشتري المذكور على المبيع المذكور، أي مكّنه منه وحكّمه فيه، وجعل له سلّطة عليه، سلّطة الملاك في أملاكهم وذوي الحقوق في حقوقهم، من غير مانع لذلك يمنعه ولا منازع ينزعه.

وتختتم الوثيقة بالتأكيد على أن العقد جرى بين الطرفين، وكلّ منهما بصحة عقله وبدنه ونفوذ تصرف شرعاً، أي إنه لا إكراه فيه لأي طرف منهما؛ لأن عدم نفوذ تصرف أحد الطرفين، يعني أنه مكرهٌ على العقد ولا يريده أصلاً، وهو ما لم يكن في هذا العقد، الذي اختتم بالقول: "وكفى بالله شهيداً"، أي أن شهادة الله تغني عن غيرها.

وجاء في الوثيقة أن بيع الدار تم بكل ما يتعلق به، أي "بجميع حقوق المبيع ومصالحه ومرافقه وطينه وحجره وأرضه وجميع تعلقاته"، بحيث لم يعد للبائع أو لغيره مما يمكن أن يتمسك به أو يدّعيه بعد البيع. وتفيد الوثيقة أن عملية بيع الدار بجميع ملحقاته قد تمت بإيجاب وقبول من الطرفين وفق شروط البيع المتفق عليها؛ إذ جاء بالنص "واشترى المذكور من المذكور جميع ما ذكر بإيجاب وقبول متصل فوري بشرطه"، وهذا ما يؤكّد شرعيّتها وقانونيتها في العُرف المتبع حينها.

أما الثمن فمبلغه سبعة قروش فليّة ثابتة الوزن، مقبوضاً بيد البائع المذكور، والقروش عملة فضية، لكننا لم نجد في المعاجم الفصحى معنى الفليّة^(٦). ولعلها عملة فضية ثابتة الوزن لم تتهاك لكثرة الاستخدام. أما في التراث الشعبي وفي الوثائق المماثلة التي تعود إلى ذلك العهد فوردت كلمة (الفليّة) في عدد من الوثائق، وفي الأشعار الشعبية اللاحقة، ومن ذلك على سبيل المثال، الزامل التالي على لسان السلطان العبدلي ردّاً على شاعر عولقي زعم فرض الجباية على سلطنة لحج، ومبالغاً في تعداد مناطق أخرى ادّعى فرض الجباية عليها، فقال:

قُلْ للصليب ابن الصليب العولقي

ذي مركزه واني وعظّمه قد ونا

من باع خوّته بالقروش الفليّة

لا يعشُر الحوطة ولا وادي بنا

وبدفع قيمة الدار المتفق عليها للبائع الذي قبض المبلغ فقد برئت ذمة المشتري (حيث برية عنه ذمة المشتري المذكور براءة قبض ووفاء)، وبهذا يكون شراؤه لثلاثي الدار "شراءً صحيحاً شرعياً قطعاً بتاً بتلاتاً فذاً لازماً بإيجاب وقبول متصل فوري، شرطه لا خيار فيه ولا عدة ولا مشنوية^(٣)، مقبوضة قبض مثله بالإذن والتخلية^(٤) الصحيحة المعتبرة شرعاً".



ومع ذلك وردت أسماء الشهود بعد التاريخ؛ إذ حررت الوثيقة يوم الخميس ٢٠ شهر المحرم (عاشوراء) سنة ١١٣٧ هجرية/ الموافق ١٤ أكتوبر ١٧٢٤ م.

أما شهود الوثيقة الحاضرون أثناء كتابتها فهم: علي بن عوض مراد، السيد حسين ابن شيخ ابن إبراهيم المري، السيد محروس بن عوض السري، السيد عمر بن شيخ بن عمر بن شيخ بن إسماعيل، سالم عمر مكي، عمر بن سالم موي. وكما يبدو في نهاية الوثيقة فإن كل شاهد قد دَوَّن اسمه بخطه، وهو ما يتبين من اختلاف خط الأسماء نوعاً ما، أما كاتب الوثيقة فلم يُحدِّد كما نجده في وثائق مماثلة بل يرد فيها كاتبها (شاهد وكاتب)، لكن ليس من الصعب معرفته هنا من كتابه اسمه بالخط نفسه الذي كُتبت به الوثيقة، وهو السيد عمر بن شيخ بن عمر بن شيخ بن إسماعيل، وهو متفقٌ وضليع بالفقه؛ بدليل العبارات الفقهية والشرعية التي وردت في الوثيقة، مثل: مثنوية، التخلية، للغرر والجهالة، نفوذ تصرف.

وتكمن أهمية الوثيقة ليس في كونها قديمة مضى عليها أكثر من ٣٠٠ سنة، بل لأنها تبرز التوثيق القانوني والشرعي الذي كان متبعاً لإثبات الحقوق، من خلال عقود البيع والشراء التي كان يحرص الناس عليها منذ أكثر من ثلاثة قرون مضت، ورغم أنها لم تُوثَّق في محاكم شرعية رسمية، لكنها تمتلك القوة القانونية، ولا يرقى إليها الشك في معاملات البيع والشراء بين الناس.

كما أظهرت جوانب من الحياة الاجتماعية، والحقوق التي تمتعت بها المرأة في التصرف بما تملكه، كنذر فاطمة بنت الفقيه باعزان بثلثي بيت خيمري لولدها، وكذا تعايش الناس في الدار الواحدة، بدليل أن البيع شمل ثلثي دار خيمري، بما يعني أن ثلثه لم يُعَ وبقي لمالك آخر، وهو ما لا نجده شائعاً في زمننا، كما تعرَّفنا على أسماء بعض الأسر التي سكنت الشحر حينها، مثل: آل ررج، آل خيمري، آل الفقيه باعزان.

وكذلك الشخصيات التي وردت ضمن الشهود من السادة وغيرهم، وعرفنا اسم العملة السائدة حينها (القروش الفلّية)، وكذلك اسم حي المجرف، الذي بقي من غير تغيير، على عكس بعض مسميات الأحياء في مدن أخرى، التي أصابها التغير لاعتبارات سياسية غالباً. وهذا ما يفيد الباحث المختص في تاريخ الشحر الاجتماعي والاقتصادي.

أما وقوع هذه الوثيقة في أرشيف آل بن همام اليافعية في مرباط بظفار فيؤكد العلاقة الوثيقة التي تربط فروع الأسرة هناك بأهلهم في حضر موت التي انتقلوا منها إلى عُمان قبل أكثر من أربعة قرون كما تؤكد وثائقهم المحفوظة في خزائهم.

* أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية - جامعة لحج.

الهوامش:

- (١) الباحث عبدالله صالح حداد: حارة المجرف من أقدم حارات مدينة الشحر بعد حارة القرية، شبكة صدى الشحر، ٢٢ يناير ٢٠١٧ م
- (٢) وللفادة، هذا ما كتبه د. سالم عبد الرب السلفي في مجلة فنار عدن الثقافية (سبتمبر ٢٠٢٣) عن القروش الفلية: "لم نجد من فسر تسمية" فلي وراكلي" (في بعض الوثائق: راکلي وفلي) بشكل كامل، وأقدم ذكر لها وقعت عليه كان في كتاب "يوميات صنعاء" (ص ٩٩) ليحيى بن الحسين بتحقيق الحبشي؛ إذ وجدت في يوميات سنة ١٠٦٨ هـ عبارة تقول: "والقروش الفضة الخالصة هي الراکلي معهم والفلي على تسميتهم ورسمهم" من دون زيادة توضيح من المؤلف، وأما المحقق فقد صرح في الهامش أنه لم يجد هذه الأسماء في معاجم أسماء النقود، وهو محق في ذلك".
- (٣) يُقال: حَلَفَ فلانٌ يَمِيناً لَيْسَ فِيهَا ثَنِيٌّ، وَلَا ثَنَوِيٌّ، وَلَا ثَنِيَّةٌ، وَلَا مَثْنَوِيَّةٌ، وَلَا اسْتِنَاءٌ (تهذيب اللغة). وفي الحديث النبوي: «اشتري ابن مسعود جارية، فشرط عليه البائع خدمتها، فقال له عمر: لا تقربها وفيها مثنوية، ولا شرط».
- (٤) تَخْلِيَةٌ: من مصطلح أحكام القضاء وهو موضع اليد على الشيء (تكملة المعاجم العربية).
- (٥) بيع الغرَر: بيع ما يجهله المتبايعان، أو ما لا يؤثق بتسليمه، كبيع السمك في الماء، أو الطير في الهواء، وسُمِّي غَرَرًا؛ لأنَّ له ظاهراً يغترُّ المشتري وباطنه مجهول (معجم اللغة العربية المعاصرة).



الشاعر السياسي خالد محمد عبدالعزيز

في حوار على صفحات (حَضْرَتُ الثَّقَافِيَّةِ) يكشف لأول مرة:

سرّ أسرار رائعته الغنائية: (بعد المكلا شاق)

حاوره: صالح حسين الفردي



الشاعر والسياسي خالد محمد عبدالعزيز، ابن مدينة المكلا، الذي ولد في أجواء عام (١٩٤٥م)، يعرفه الكثيرون في محطات حياته السياسية التي خاضها منذ مطلع ستينيات القرن الماضي؛ بوصفه واحداً من رموز الحركة الوطنية في (حركة القوميين العرب)، ثم في (الجبهة القومية)، وعضواً في وفد الجبهة القومية المفاوض لبريطانيا في جنيف لنيل الاستقلال في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م، فقد تولّى عدداً من المناصب السياسية والحكومية؛ إذ كان المسؤول الأول في تنظيم الجبهة القومية فرع حضرموت، ووزيراً للعدل والأوقاف في حكومة ما بعد الاستقلال، وتعددت محطات حياته العملية الدبلوماسية، فعمل بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية في دمشق، ثم في تونس.

والشاعر خالد عبدالعزيز تعلّم في مدارس مدينة المكلا، فالابتدائية في المدرسة الغربية التي ضُمَّت اليوم إلى حرم مستشفى باسرا حيل، ثم التحق بوسطى غيل باوزير، ثم سافر إلى السودان بمدرسة حنتوب السنة الأولى من المرحلة الثانوية، ثم أكمل الثانوية بمصر، وحصل على شهادة البكالوريوس في الحقوق في جامعة بغداد، له دواوين شعر بالفصحى، منها: ديوان المكلا.



– انطلقت رائعته الغنائية (بعد المكلا شاق) في مطلع سبعينيات القرن الماضي، أي قبل نصف قرن من الزمان، ولم تزل أيقونة عشق وكيونة انتماء وديمومة هوية، رائعة كانت، وستظل عالقة في ذاكرة الفن والطرب في بلادنا، وفيها يهمس عاشق المكلا بلوعة واشتياق:

يشتاق لك كل عاشق من حين لآخر وأنا دُوب المدى مشتاق
ما أنسى المكلا إلى شق ذايومنا في المكلا سيّد العشاق
بُعد المكلا شاق ما طيق في بُعدها عالشوق
يا النوخذه بامعاكم لو هو على سنبوق مشعوق

* * *

حيّا زمن فيك رايق عدّي وياريت ما عدّي الزمن لي راق
عالبُعد قلبي يعانق أصحاب في برع السدة طوال أعناق
قول في هواهم قاق عالراس باحطهم من فوق
يا النوخذه بامعاكم لو هو على سنبوق مشعوق

* * *

حيّاك راعد وبارق يا سيف قوة ولاهلك زادت الأشواق
لُو بالخير ما نفارق في الديس والشرح والحارة صحاب ورفاق
صيتهم ملا الآفاق من حُبهم قَطّ ما بافوق
يا النوخذه بامعاكم لو هو على سنبوق مشعوق

* * *

يا عاذلي لا تعالق لا لوم ينفع معي يكفسي عتاب وعلاق
حُب الوطن دُوب عالت علقّت قلبي في الخيصة على معلق
في بُعدها ما لاق قلبي وعاشوفها محروق
يا النوخذه بامعاك لو هو على سنبوق مشعوق

* * *

يشير الأستاذ الدكتور عبدالله حسين البار في مقدمته التي كتبها لديوان الشاعر خالد عبدالعزيز الذي اطلق عليه (المكلا)، إلى أنها ليست مجرد أرض يحن إليها سكّانها، ويتوق إلى الأوبة إليها، بعد أن نأت به الأيام عنها، وأرغمته كرهاً على مبارحتها إلى سواها من أصقاع الأرض، ولكنها – أي المكلا –

” كان قولي لهذه القصيدة
(بعد المكلا شاق) عبارة عن
موقف احتجاج ورفض ضد هذه
المسميات الجديدة الدخيلة،
وبذلك تراني عمدت إلى ذكر هذه
الأسماء في القصيدة نفسها
لأؤكد على وجودها، وأؤكد
على الاحتجاج على اقتطاعها
من مكونات المكلا.“

كما يؤكّد الدكتور البار معشوقة تدلّ بها قلبُ العاشق خالد عبدالعزيز، فلم يقوَ على الانسراب في محراب عشقه إيّاها إلى سواه من محارِب العشق والهوى والهيام، ألم يقل:

يُصبحُ الشعرُ جُلناراً ودفلاً كلما قيل في عيون المكلا
تتحلّى بالشعر كلُّ بلاد فإذا قيل في المكلا تحلّى
ساحل طاهر وماء طهور وبلاد أنى وقفت مُصلّى
هي بنت المحيط، مذ كان بحراً وهي بدر السّماء إذا كان طفلاً

– بهذا الاستهلال الرقيق والرشيق، الذي بدأناه بهذا الهمس النبيل للشاعر المبدع والمناضل الوطني والسياسي والدبلوماسي خالد محمد عبدالعزيز، دفعنا إليه ما لمسنه من عشق عميق يحمله للمكان الذي ولد فيه، المدينة البيضاء، جارة الجبل، وحارسة البحر، المكلا مسقط رأسه، المدينة التي يتحلّى بها الشعرُ ويزدان، المكلا المدينة والحياة النابضة التي صاغها البحر من لآلئه هلالاً على صدره، يتماوج ويتدلّى، واحتواها الجبل سنداً ورحلة حياة وظلاً.

– فالمكلا منذ أن جعلها السلطان صالح بن غالب القعيطي منتصف ثلاثينيات القرن الماضي عاصمة للسلطنة بحضر موت، صارت سؤول عدد من المبدعين والشعراء والفنانين، ولكنها مدينة البراءة الأولى، لا تبادل العشق إلا لمحبيها وعشّاقها الخُلص، ونحن هنا نجد متعة عبر صفحات



هذا الموقف الرافض الاحتجاجي الذي تعبّر عنه هذه القصيدة لم يكن معروفاً في ذلك الحين، وإلا لحوسبت عليه، كان التفسير الغالب أنها قصيدة اشتياق للمكلا، وأنا سكت ولم أحاول أن أقول ما هي مناسبة القصيدة، ولكنها في الحقيقة كتبت احتجاجاً ورفضاً لكل المسميات الدخيلة على المكلا.

فكان قلبي لهذه القصيدة عبارة عن موقف احتجاج ورفض ضد هذه المسميات الجديدة الدخيلة، وبذلك تراني عمدت إلى ذكر هذه الأسماء في القصيدة نفسها لأؤكد على وجودها، وأؤكد على الاحتجاج على اقتطاعها من مكونات المكلا، وربما كان هذا الموقف الرافض الاحتجاجي الذي تعبّر عنه هذه القصيدة غير معروف في ذلك الحين، وإلا لحوسبت عليه، كان التفسير الغالب أنها قصيدة اشتياق للمكلا، وأنا سكت ولم أحاول أن أقول ما هي مناسبة القصيدة، ولكنها في الحقيقة قلت احتجاجاً ورفضاً لكل المسميات الدخيلة على المكلا.

• هذا البوح الموجه الذي سكبته الشاعر العاشق خالد عبدالعزيز في منزله بفاتنته المكلا في مساء الخميس الثامن من فبراير من عام خمسة وألفين من الميلاد، سهل لنا مقارنة أجواء النص، والاقتراب من عوالمه في لحظة الخلق والإبداع، التي سبقت بأكثر من ربع قرن من الزمان، ودفعت بنا إلى تبيان تلك الأجواء التي حركت دواخله، ومكنته من استلهم رؤيته السياسية لمناضل عتيق، أثر البوح وجدانياً وشعرياً في لحظة تاريخية فارقة، سكب فيها كوامن روحه، واحتفاءه بالأمكنة، وعشقه للديار، وافتتانه بالتراب والرمال، وكل زاوية من زوايا مكلا الأثيرة الحائمة في خلايا روحه ووجدان الشفيف، فأجاب:

مجلتنا (حضر موت الثقافية) في الاقتراب بوداعة وحنو من هذه الساحرة، فيها يتكثف بوحنا وأحد عشاقها الأوفياء، إذ نجد روحه الشفيفة تأخذنا إلى تفاصيل التفاصيل لتلك الأمكنة المكلاوية التي تشكلت جبلاً وبحراً وتراباً وإنساناً، ولما لهذا النص الغنائي من خصوصية وتفرد في تاريخ الأغنية الحضرمية خاصة، والمحلية في بلادنا عامة؛ إذ تجلت المكلا في هذه الرائعة الغنائية فاتنة، حاك تفاصيلها أزمعتها، ورسم ملامح أيامها، وبات شاعرهما خالد عبدالعزيز لا يطيق ابتعاداً عنها، فقد تماهى فيها، وذابت كينونته الصغيرة في تفاصيل تفاصيلها الرائقة والخلاصة، واستنطقها شبراً شبراً، وحجراً حجراً.

• لذا كان لابد لنا من مقارنة الأسباب الحقيقية والأشجان النابضة التي دفعت بالشاعر خالد عبدالعزيز إلى الهمس بهذه الرائعة المكلاوية التي افتتحها بهذه الجملة الشعرية الدالة: (يا النوخدة با معاكم لو هو على سنبوق مشعوق)، فهمس قائلًا:

- الحقيقة سئلت أكثر من مرة عن حقيقة هذه القصيدة، وكثير من الناس كان يعتقد أنني قُلتها عندما كنت بعيداً عن المكلا، ألهمت فيها حنيني وأشواقِي إليها، والحقيقة أن هذه الأبيات كتبت في أوائل السبعينيات عندما اتخذت السلطة الحاكمة آنذ بعض القرارات بتغيير الأسماء التاريخية لأحياء المكلا وأبدلتها بأسماء جديدة، فشعرت وكأننا سلبنا جزءاً من تاريخنا، وكأن المكلا فقدت بعض الأسماء التي تعد من مكوناتها الثقافية التاريخية، مثل: برع السدة، الحارة، الشرح، الديس، هذه الأسماء تاريخية لها مدلولات عميقة، وتكون في مجموعها المكلا التاريخية التي نعشقها جميعاً،





” أنا أشعر أن الصَّبَّانَ عندما كان يدندن باللحن وعمل البيت الأول، كان كأنه مشارك معي في كتابة القصيدة، اللهم إنه كان يكتبها بالنغمات، وأكتبها بالكلمات والحروف “

حديث الشاعر المبدع خالد عبدالعزيز، وهو يوثق لثأثيره
شعراً ولحناً للفنان إبراهيم الصَّبَّان، وما أضافه محمد
سالم بن شامخ الفنان.

– أنا أشعر أن الصَّبَّانَ عندما كان يدندن باللحن وعمل البيت
الأول، كان كأنه مشارك معي في كتابة القصيدة، اللهم إنه كان
يكتبها بالنغمات، وأكتبها بالكلمات والحروف، فهي
تكوّن مع بعض في آن واحد، الكلمات واللحن في وقت
واحد، لذلك كان اللحن خير حامل لخير محمول، تماهى
اللحن مع القصيدة، وهذا من أسرار انتشار القصيدة
ونجاحها حتى اليوم.

– أما الأستاذ الأخ الكبير الفنان محمد سالم بن شامخ
فأعجب بالأغنية، وكان يتمنى لو أنه غناها أولاً؛ لأنه هو أيضاً
من أبناء المكلا، فمسقط رأسه المكلا، لذلك أخذها على
الرغم من أنها ملحنة من الأستاذ إبراهيم الصَّبَّان، وأداها بطريقته
الخاصة، أراد أن يعطي المكلا شيئاً من عندياته، أراد أن يسهم
في بناء الأغنية هذه بنفسه هو محمد سالم بن شامخ، ولذلك
ظهر بعض الاختلاف، ولكن القصيدة لها لحن واحد، ولكن
بأداءات مختلفة.

مرسال أيضاً من مواليد المكلا، لما نسمع اللحن بصوت
مرسال نشعر أن الصوت كذلك فاعل في اللحن، وفي الأغنية،
وكذلك ابن شامخ، الاثنان حاولا أن يُعطايا اللحن دفقاً شعورياً
خاصاً بهما، لأن القصيدة كما اعتقد لقيت هوى في نفوسهم،
ولذلك كل تغنى بمكلا، على طريقته المكلاوية الخاصة.

– ذكرت في البداية أن القصيدة قبلت احتجاجاً على موقف
سياسي من واقع تاريخي في المكلا، ولذلك تعمّدت أن أستخدم
مفردات القاموس الذي كان موجوداً حينئذ، مثل الكلمات
التي ذكرتها، والتي تكاد تكون منقرضة في هذه الأيام؛ للتأكيد
على أن المكلا ليست بقعة جغرافية، وإنما هي مكوّن ثقافي،
يتكوّن من أسماء تاريخية، وتميّز لهجة أهل المكلا بكلمات
خاصة، مليئة بالتدفق الشعري، وإن كانت لم تعد تستعمل الآن،
فهي جزء لا ينفك عن التاريخ، وحاولت أن أربطها بالأسماء
القديمة، للتأكيد على حرصنا للحفاظ على المكلا التاريخية
التي تسكن ذاكرتنا، والتي يعزّ علينا أن تطالها يد التغيير والتشويه،
فالكلمات التي استخدمتها كانت مقصودة؛ لأنها تتناسب مع
تقسيمات المكلا إلى (حويف)، قديمة بأسمائها القديمة أيضاً.

• لم تزل رائعة بعد المكلا شاق، عالقة في الوجدان
الجمعي المكلاوي خاصة والحضرمي وطناً ومهجراً عامّة،
وتستعيد ألقها في ذاكرة الفن الأصيل والزمن النبيل،
فمنذ انطلاقتها الأولى بصوت الفنان الكبير كرامة سعيد
مرسال، وحتى اللحظة وهي أيقونة العشق التي ما انفكت
تجدد الوفاء، وتعمّق الانتماء للفاتنة المكلا حاضرة
حضرموت، ولكن!، كيف ترجمت هذه الكلمات الشعرية
والصور الفنية والتراكيب الجمالية لهديل لحنى وجمل
موسيقية بإيقاع رقصة العدة الصاخب، همس الشاعر
خالد عبدالعزيز قائلاً:

– النصّ كتب – كما قلت في بداية السبعينيات وظلّ كما هو،
وكنت بمعيرة الفنان القدير إبراهيم الصَّبَّان، وهو عازف على
مختلف الآلات الموسيقية، وملحن، فكان أحياناً يدندن على
العود ويقول لي: أيش رأيك تعمل كلمات على هذه الدندنة،
فوضعت قصيدة المكلا، وغالب أبياتها قُلْتُها في بيت الصَّبَّان،
لذلك ارتبطت بتلحين الصَّبَّان.

• بعد ذلك، تردّدت هذه الرائعة بصوت الفنان المكلاوي
الكبير محمد سالم بن شامخ، الذي قضى جُلّ عمره في
الفاتنة عدن، وقد أضاف لهذه الرائعة نفساً أدائياً
ونغمياً خاصاً، كلّه بالإنزياح في هذا الأداء عما عُرِفَتْ
به هذه الرائعة في شدوها من قبل عددٍ من المبدعين
المخضرمين والشباب، وهو ما حاولنا أن نستشفّه من



• وعندما عاد بنا الحديث إلى مكلا الخمسينيات والستينيات ومطلع السبعينيات وهي الفترة الزمنية الباذخة بذكريات الصبا والشباب للشاعر العاشق خالد عبدالعزيز، حاولنا أن ننشئ في دهاليز تلك الذاكرة العابقة بحنين الأيام المكلاوية الساحرة، ونستعيد مكلا الأمس التي تغيّر الكثير من ملامحها الإنسانية والتاريخية، فاندثرت معالمُ وبادتُ أمكنةٌ وشوّهتُ آثارُ واتسع فضاء المدينة ليشمل عدداً من المناطق والأحياء الجديدة، التي صارت اليوم منها .. وزاحمت الجبل والبحر العشق والمدى البعيد، كيف تبدو مكلا اليوم في سويداء عيون العاشق الشاعر أو سيّد عشاقها كما يصف خالد عبدالعزيز نفسه.

- أنا أعتقد أن الوطن، أو مسقط الرأس هو اختزال للوطن كله، ومسقط الرأس يعد حقيبة الذكريات، نحفظ بهذا الوطن في ذاكرتنا مهما اعتوره من مظاهر التغير، المكلا بالنسبة لي لا تزال طفلة، كتلك المكلا التي عهدتها عندما كنت أنا طفلاً أيضاً، المكلا - في نظري - لا تزال في نظري تلك المدينة البسيطة البيضاء، التي كانت تتمدد بين حضن الجبل والبحر، والتي كانت تغشى أوديتها البساتين والنخيل، فأنا أنظر للمكلا العالقة في ذاكرتي، المكلا التي عشتُ فيها طفلاً، ولذلك ستلاحظ بعض القصائد التي أكتبها عن المكلا صورة المكلا القديمة، إذ كانت فوة فيها متنزهاً، وكانت فيها البساتين، وكانت الدير أيضاً عبارة عن متنزهٍ ومخرفٍ يُصيّف فيه الناس، خاصة في موسم الخريف، هذه المكلا هي التي عهدتها وعرفتها في عهد الطفولة، لا تزال متشبّهة بذاكرتي، ولذلك لا بد أن تتطور مع الزمن، غير أن ذاكرة الطفولة تحتفظ بمحيطها الذي تعودت عليه، لذلك لا زلتُ أنظر إلى مكلا الأربعينيات والخمسينيات، وأحتفظ بها في ذاكرتي، وإن تغيّرت في واقعها الحاضر.

في هذا النص احتفى الشاعر المبدع بالأمكنة التي عرفتها المدينة في تشكيلها الإنساني التاريخي، ففي برع السدة وهو الاسم التاريخي لحي السلام، الذي بني خارج السدة الأولى للمدينة، التي كانت تقع في امتداد مسجد عمر باتجاه البحر، فانتسعت المكلا خارجها فكانت برع المكلاوية هي خارج السدة، ويبدو أن أحبته الملهمين في هذا الحي، ألم يقل:

” محمد سالم بن شامخ أداها
بطريقته الخاصة، أراد أن يعطي
المكلا شيئاً من عندياته، أراد
أن يسهم في بناء الأغنية هذه
بنفسه هو، ولذلك ظهر بعض
الاختلاف، ولكن القصيدة لها
لحن واحد، ولكن! أداءات مختلفة.“

” لما نسمع اللحن بصوت مرسال
نشعر بأن الصوت كذلك فاعل
في اللحن، وفي الأغنية، وكذلك
بن شامخ، الاثنان حاولا أن
يعطيا اللحن دفقاً شعورياً خاصاً
بهما، لأن القصيدة - كما أعتقد
- لاقت هوى في نفوسهم،
ولذلك كلُّ تغنى بمكلاها، على
طريقته المكلاوية الخاصة.“



أصحاب في برّع السدّة طوال لعناق - أي جمع العنق، وهم من وصف عشقهم قل في هواهم قاق، في لفظة موغلة في اللهجة المحلية المكلاوية وتعني الخضوع والاستسلام والانقياد دون تردد أو تعنت أو مقاومة تذكر.

والشاعر خالد عبدالعزيز العاشق لم يقف عند هذا الحي السكني الذي عاش وترعرع فيه، برّع السدّة بالأمس البعيد، حي السلام الماضي القريب واليوم، وإنما استعرض ما بقي من الأمكنة التي عرفتها المدينة، فالبارق والراعد يذكره بسيف أي شواطئ مدينة فوة، الامتداد الغربي لقلب المدينة المكلا، فهناك (الديس والشرح والحارة) وقد امتزجت هذه الأمكنة لتكتمل ملامح المكلا كما يعشقها سيدُ عشقاها خالد عبدالعزيز..

- ولأن الشاعر المبدع خالد عبدالعزيز هَامَ بالمكلا تيهًا وغرامًا فقد احتدّ معاتبًا عاذله الذي يحاول ثنيه عن عشق فاتنته المكلا، قائلاً: (يا عاذلي لا تعالّق علّقّت قلبي في الخيصة على معلاق)، وهنا نجده قد استخدم هذه التراكيب الدالة، فمن فعل علّق، انبثقت لفظة معلاق، أي مكان التعليق أو خطاف المشجب، وسبقته لا تعالّق: أي لا تكثر من العتب واللوم ورفع الصوت، فلن ينفعك ذلك بشيء، فالقلب قد تركته مُعلّقًا على مشجب الرائعة الخيصة، وهو أحد الأسماء القديمة لهذه المدينة المعشوقة السامقة.

” أنا اعتقد أن الوطن، أو مسقط الراس هو اختزال للوطن كله، ومسقط الراس يعتبر حقيبة الذكريات، نحفظ بهذا الوطن في ذاكرتنا مهما اعتوره من مظاهر التغيير، المكلا بالنسبة لي لازالت طفلة، كتلك المكلا التي عهدتها عندما كنت طفلاً أيضاً “

“

- الشاعر خالد محمد عبدالعزيز لم يُعرف إلا بهذه الرائعة الغنائية التي تجاوزت العقود الخمسة، ولم تزل قابضةً على عبق التاريخ الفني الغنائي لعشق المدن، وتكاد من النصوص التي سافرت إلى أرجاء المعمورة وتركت ولم تزل صدًى كبيراً في قلوب الكثير من مُحبّي حضر موت عامة والمكلا خاصة، ويبدو أن الشاعر خالد عبدالعزيز لم يستمر كثيراً في فضاء الأغنية الحضرية، وأثر - الفصحى - إذ لم يُعرف له بعد هذه الرائعة، إلا ثلاثة نصوص أخرى، لم تزل شهرةً (بعد المكلا شاق)، فهناك رائعته: (ع الكهر يصبر من بغى الحداد)، ومتنّها يغترف من القاموس الشعري ذاته، لرائعة بعد المكلا شاق.

مِنْ طَبِّي عَامِدْ بَرَّعِ السَّدَّةِ يَحْمَسُ بِلَا حِجَّةٍ وَنَالَهُ سَادَ
لَا جِيتْ دَكْ دَكْ، قَلَّ السَّدَّةِ حَتَّى الْحَمْسِ بَعْدَهُ رَضَى وَسَدَادَ
لَكِنْ حَمَسُهُمْ زَادَ

* * *

يَوْمُهُ يُمُوسُ لِي وَلَهُ مُدَّةٌ قَاعِدَ نَعْدَ عِيدَانِ سَقْفِ الْمَادِ
لَوْ هُوَ طَلَبْنَا الْقَلْبَ بِأَمْدِهِ مِنْ وَقْتِ الْيَدَيْنِ نَابُهُ مَادِ
فِي الْقَلْبِ حُبُهُ مَادِ

* * *

لَا عَمَدَتْ حَدِّي مَاعَمَدَ حَدِّهِ وَالْقَلْبَ عَنْ دَرْبِ الْمَحَبِّ مَا حَادَ
سَكَيْنَ طَرَفُهُ لَا فَتَرَ حَدِّهِ سَنَّهُ وَقَطَعَ فِي الْحَشَا بِالْحَادِ
لِي قَرَّحَ الْحُسَادَ

* * *

مَا شَفْتُ حَدَّ يَعْنُدُ كَمَا عِنْدَهُ كَمْ مِنْهُمْ صَالِبَتْ شَفْ وَعِنَادَ
يَغْلُظُ وَنَالِي نَعْتِزِرْ عِنْدَهُ وَنَحْطُ بِالْقَهْوَةِ كَمَا نَعْتَادَ
صَابِرٌ عَلَيْهِ مَعْتَادَ

* * *

لَوْ كَانَ مَرَّةً قَامَ عَا وَعَدَهُ وَصَدَّقَ وَنَفَذَ شَيْءٍ مِنَ الْأَوْعَادِ
بَلَقَاهُ بِالْغَيْهِ وَبِالْعَدَةِ بِأَسِيرِ بِالشَّعَالِ لَهُ لَوْ عَادَ
مَهْمَا بَطَى الْمِيْعَادَ

* * *



البيت إلا من أساسه

ما يجي قط للخساسه غير خس الناس

* * *

عدى معلى فوقنا لي كان وايطي الراس

خله يوكي هان هو ماهنت بين الناس

يومه تبع شقه ورأسه

* * *

خاتمه مطلبي غشنا خلط ذهب بنحاس

والفص لصلبي جاب صهدود قال ألماس

مغشوش في صهده وماسه

ما يجي قط للخساسه غير خس الناس

* * *

- لقد استطاعت رائعة (بعد المكلا شاق)، أن تستحوذ على قلوب عشاق المكلا، ولم تدع فرصة لأي رائعة أخرى أن تقترب من فضاء شهرتها وحضورها، على الرغم من تعدد التجارب الغنائية في عشق المكلا المدينة والناس والحياة، بما حملته من وجع البعد وانهمار الشوق في خلايا الوجدان، وهي المعاني التي وجدت صدى نبيلاً لدى كل عشاق المكلا في داخل الوطن وخارجه، وأعطاهها سمة البقاء والخلود حتى اللحظة.



وهناك راعته التي قدمها لحنًا وأداء الفنان الكبير كرامة سعيد مرسل، وقد حصدت حضوراً في المشهد الغنائي، فلم تزل تتردد بأصوات المبدعين حتى اليوم، ولكن لمرسال الفن كرامة سعيد عقب خاص لحنًا وشدوا:

ظني من با يصيبه دوب يمشي خيب

بخت من هو نصيبه ما ابتخص في النصيب

ليه ياعين تبكي بس كفى من نحيب

* * *

القناصة صعيه والشبك ما انتصب

من مسافة قريه من ضرب ما يصيب

ليه ياعين تبكي بس كفى من نحيب

* * *

ايش لي بايجيه لا قريته هرب

كل حركة تريه وايش لي مايرب

ليه ياعين تبكي بس كفى من نحيب

* * *

ظني الله يشيه وسط قلبي وتب

كلما جي كتيه ضاع بين الكتيب

ليه ياعين تبكي بس كفى من نحيب

* * *

كان قصدي نهيه جا نهني وهب

وايش يطفي لهيه قلب يلهب لهيب

ليه ياعين تبكي بس كفى من نحيب

* * *

ايش هذي المصيه لا نصبت النصب

رميتي ما تصيه وإن رماني يصيب

ليه ياعين تبكي بس كفى من نحيب

* * *

أما النص الشعري الغنائي الأخير الذي يظهر بعضاً من ملامح التجربة الشعورية للعاشق خالد محمد عبدالعزيز، فهو هذا النص الذي اتخذ فيه من حكمة المثل الشعبي منطلقاً لكل نوازع البوح الإنساني في لحظة صدق وانكسار، كقوله:

ماحد يخلّي ساس داره فوق طين وهياس

والا يعلّي قصر لاقد ماحقر للسّاس

الشاعر السوداني الهادي آدم

في رحاب مدينة العلم والمعرفة - غيل باوزير



(وقصة ميلاد كلمات أغداً ألقاك)

العلمية، التحق به غالب أبناء السودان، وقد أنشئ المعهد في عام ١٩٣٤م في قرية بخت الرضا الزراعية الريفية بالقرب من الدويم على النيل الأبيض، وكان ذلك في فترة السيادة البريطانية على السودان، لتدريب معلمي المرحلة الابتدائية في هذا الموقع الريفي ذي البيئة النظيفة الزراعية والهادئة.

أما مؤسس المعهد فهو البريطاني المستر (قريفس) وعميدها الأول، وقد ساعد في تأسيس المعهد وتطويره نخبة من التربويين السودانيين والبريطانيين، منهم عبد الرحمن علي طه نائب العميد، وكان يتم اختيار الطلاب المتفوقين من مراحل التعليم الأساسي للالتحاق بالمعهد، وقد تخرج في معهد بخت الرضا عدد من طلاب البلاد العربية بما فيها أبناء حضر موت.

بالإضافة إلى ذلك مدرسة حنتوب الثانوية التي افتتحت رسمياً في مارس ١٩٤٧م في موقع ريفي أيضاً (قرية حنتوب) بعيداً عن مؤثرات الخرطوم السياسية والاجتماعية، وقد أنشئت



أ.د. محمد بن هاوي باوزير*

السودان وغيل باوزير:

ارتبطت علاقة غيل باوزير بالسودان من خلال جاليتها من المعلمين السودانيين في مدارس الغيل، وطلابها المبعوثين للدراسة في السودان، ومن خلال معهد التربية بخت الرضا ومناهجه وأنظمتة التعليمية وعلاقاتها بالمؤسسات التعليمية والتربوية في الغيل وحضر موت عامة. وقد كان معهد بخت الرضا في السودان أبرز منار للعلم، وحقلًا خصبًا للتجارب



في أيام الحكم البريطاني لتخدم جامعة الخرطوم، وكان لاحتساب الدور الرائد لترشد السودان والكثير من البلاد العربية كل عام بما يحتاجونه من كتائب خريجيها، وقد تخرج فيها الكثير من أبناء حضرموت، كان أبرزهم الأستاذ فرج بن غانم رئيس الوزراء الأسبق وغيره، وهكذا كانت أيقونات التعليم الثانوي السودانية بحتوب خالدة في ذاكرة خريجيها السودانيين والعرب، والحضارم على وجه الخصوص، فهي أيام عز التعليم السوداني. كل ما تقدم كان من أسباب ارتباط حضرموت بالسودان، بل انتقلت إليها تلك التجارب التعليمية التربوية السودانية، واختيرت غيل باوزير لتلك التجارب لتمثل المنطقة التعليمية لحضرموت فترة حكم السلطنتين القعيطية والكثيرية، لتصبح الغيل قبلة للعلم والمعرفة بمدارسها كالمدراس الابتدائية والوسطى ودور المعلمين والمعهد الديني.

وعلى هذا الأساس وقد إلى حضرموت وخاصة غيل باوزير عدد كبير من المعلمين السودانيين منذ عام ١٩٤٤م، وكذا المشرفون التربويون الذين زاروا غيل باوزير وحضرموت عامة ومنهم الأستاذ الشاعر الهادي آدم.

من هو الهادي آدم؟

الشاعر الهادي آدم من مواليد قرية الهلالية بالسودان (١٩٢٧-٢٠٠٦م) ولا شك في أنه بدأ تعليمه مبكراً عبر خلوة من خلوات مدينته، أي عبر الزوايا والكتاتيب (العلمه

كما ينطقها الحضارم)، ومن ثم انتقل إلى التعليم النظامي في مدارس السودان، ولعل معهد التربية بخت الرضا أحد المحطات التعليمية للهادي آدم.

كما التحق بكلية دار العلوم بالجامعة المصرية، فحصل على درجة الليسانس في اللغة وآدابها، وحصل على دبلوم عالٍ في التربية من جامعة عين شمس،

ثم حصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة الزعيم الأزهرى بالسودان، وعمل معلماً بوزارة التعليم بالمرحلة الثانوية بمدينة رفاعة، ومن ثم مشرفاً تربوياً.

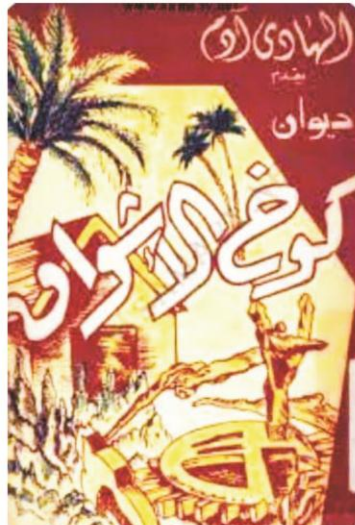
أبرز أعماله الشعرية:

له عدد من الأعمال الأدبية الشعرية منها:

١- ديوان كوخ الأشواق، صدر في عام ١٩٦٢م، وجاءت أشعاره على أسلوب أهل التصوف ونمطه بالغزل في الذات الإلهية والتشوق للحياة الآخرة. ومن أعماله أيضاً، نوافذ العدم، ومسرحية سعاد.

٢- مراثية للرئيس العربي الراحل جمال عبدالناصر، وتعد من القصائد الجميلة بعنوان: (أكذا تفارقنا)، من مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة ١٩٧٣م:

أكذا تفارقنا بغير وداع يا قبلة الأبصار والأسماع
ماد الوجود وزلزلت أركانه لمانعك إلى العروبة ناع





٣- أغدأ ألقاك:

وهي من روائع الشاعر الهادي قصديته البارزة التي ذاع صيته وشهرته من خلالها، ولقاؤه بسيدة الغناء العربي كوكب الشرق "أم كلثوم" التي أبدعت في غنائها، بل (أغدأ ألقاك)، من الأغاني التي ما زال يتغنى بها الأجيال إلى اليوم، وقد وردت القصيدة الأصل بعنوان (الغد) في ديوان كوخ الأشواق، وكانت هذه القصيدة من ألحان

الموسيقار محمد عبد الوهاب بعد تعديل عنوانها إلى (أغدأ ألقاك) وكذا تعديل عبد الوهاب لمطلع القصيدة، وقد ألحق هذا التعديل ضرراً ملحوظاً بالمعاني العاطفية الرقيقة التي أراد الهادي آدم التعبير عنها في مطلع القصيدة الأصل بقوله:

أغدأ ألقاك وا.. لهف فؤادي من غدٍ

وأحييك ولكن بفؤادي أم بيدي؟

وهذا المطلع الجميل يدل على عاطفته ومدى شوقه وحنينه عندما يلتقي بالمحبيب بعد طول فرقة واحتجاب. وأما التعديل الذي فرضه وأقحمه الموسيقار عبد الوهاب على مطلع القصيدة قد ألحق أبلغ الضرر بالمعاني العاطفية الرقيقة.. بحذفه لعبارة: (وا.. لهف فؤادي) واختياره لعبارة (ياخوف فؤادي من غدي)، وشتان ما بين (اللهفة) و(الخوف) في حياة الإنسان من معاني وأبعاد.

كلمات الغد أو أغدأ ألقاك:

أغدأ ألقاك يا خوف فؤادي من غدٍ

يا لشوقي واحترائي في انتظار الموعد

آه كم أخشى غدي هذا وأرجوه اغتراباً

كنت أستدنيه لكن هبته لما أنابَ

وأهلت فرحة القرب به حين استجابا

هكذا احتمل العمر نعيماً وعذاباً

مهجة حرة وقلباً مسه الشوق فذابا

أغدأ ألقاك

أنت يا جنة حبي واشتياقي وجنوني
أنت يا قبلة روحي وإنطلاقي وشجوني
أغدأ تشرق أضواؤك في ليل عيوني
آه من فرحة أحلامي ومن خوف ظنوني
كم أناديك وفي لحني حنين ودعاء
يا رجائي أنا كم عذبني طول الرجاء
أنا لو لا أنت لم أحفل بمن راح وجاء
أنا أحيا لغد الآن بأحلام اللقاء
فأت أو لا تأتي أو فافعل بقلبي ما تشاء
أغدأ ألقاك

هذه الدنيا كتاب أنت فيه الفكر
هذه الدنيا ليال أنت فيها العمر
هذه الدنيا عيون أنت فيها البصر
هذه الدنيا سماء أنت فيها القمر
فارحم القلب الذي يصبو إليك
فغدأ تملكه بين يديك
وغدأ تأتلق الجنة أنهاراً وظلا
وغدأ ننسى فلا تأس على ماضٍ تولى
وغدأ نزهو فلا نعرف للغيب محلا
وغدأ للحاضر الزاهر نحيا ليس إلا
قد يكون الغيب حلواً.. إنما الحاضر أحلى
أغدأ ألقاك



سكن المعلمين السودانيين في غيل باوزير

(أغداً ألقاك)، وكما سبق أن أشرنا أن هذا غير صحيح لأسباب عدة، منها أن الهادي لم يكن ضمن قوائم المعلمين السودانيين منذ تأسيس المدرسة الوسطى (١٩٤٤-١٩٦٩م)، بل جاء إلى حضرموت في زيارة عمل كمشرف ومفتش امتحان الشهادة الثانوية في ستينيات القرن العشرين، وكانت توجد حينها ثانوية واحدة في المكلا عاصمة السلطنة القيعية (تأسست ١٩٦٢م)، إذن الهادي آدم لم يكن معلماً في حضرموت وخاصة غيل باوزير، بل جاءها زائراً لفترة قصيرة كمشرف ومفتش تربوي؛ لأن حقل التربية والتعليم كان مرتبطاً بكل مراحل نظام التعليم بالسودان حتى عام ١٩٦٧م.

أما علاقة الشاعر الهادي آدم بغيل باوزير فقد جاءها زائراً بدعوة من أحد زملائه المعلمين السودانيين، وقد تم تقديمه أمام الحضور كأديب وشاعر. تجوّل الهادي آدم في المدينة عندما كانت روضة تسر الناظرين، وزار مدرستها الوسطى. وفي أمسية سودانية أبدى إعجابه بالغيل وجمالها الريفي الزراعي، وحفاوة الاستقبال، وما تشهده من نهضة تعليمية، وقد عبّر عن ذلك في بعض الأبيات الشعرية التي سنوردها لاحقاً.

غيل باوزير في عيون الشاعر الهادي آدم:

عند زيارته للغيل وإعجابه بها نجده يصف المنطقة الزراعية ومعانيها (بساتينها)، كما يصف الصالحية كم منطقة تعليمية حافلة بمؤسساتها التعليمية والثقافية، كم منطقة حيوية تعليمية

قصة ميلاد كلمات (أغداً ألقاك):

تناولت بعض الصحف المحلية ووسائل التواصل الاجتماعي (جوجل) قصة ميلاد كلمات هذه الأغنية، وأن ميلادها من على سطح سكن المعلمين السودانيين في الغيل (باللهجة الحضرمية من فوق الريم) في أمسية سودانية بنكهة غيلية، وبحسب المتداول أن الهادي آدم كان مدرّساً في المدرسة الوسطى بغيل باوزير، وعلى هذا الأساس ارتبطت قصة ميلاد (أغداً ألقاك) بالغيل.. ولكن ذلك غير صحيح، ولا علاقة لميلادها بغيل باوزير، بل التبس الأمر على البعض بين ميلاد (أغداً ألقاك) وبين زيارة الهادي آدم لغيل باوزير وقصيدته ليالي الغيل.

الأستاذ والشاعر الهادي آدم في غيل باوزير:

امتداداً لجسور العلاقات السودانية الحضرمية قام الشاعر الهادي آدم بزيارة عمل لحضرموت (المكلا)، وبدعوة من زملائه المعلمين في غيل باوزير قام بزيارتها، واستقبلته الغيل في زمن كانت فيه روضة تسر الناظرين، وقبله يؤمّها الدارسون من أنحاء حضرموت وخارجها في مدارسها الحكومية وخاصة المدرسة الوسطى (١٩٤٤-١٩٦٩م)، والثانوية الصغرى ومدرسة المعلمين (١٩٤٩-١٩٦٩م)، والمعهد الديني المرتبط بالأزهر وأساتذته في مصر (١٩٤٩-١٩٦٩م)، بالإضافة إلى رباط غيل أبي وزير (١٩١٠-١٩٦٩م) المتخصص في علوم الدين وتعلّم القضاء الشرعي، الذي تخرّجت فيه أفواج متعلمة مبادئ اللغة والدين، وكذلك القضاة الشرعيون الذين تقلدوا مناصب قضائية في أنحاء واسعة من ألوية السلطنة القيعية.

وقد أثارت زيارة الشاعر الهادي آدم لغيل باوزير كثير أ من اللغط، فهناك من يعتقد أن الهادي كان معلماً ضمن الطاقم التعليمي السوداني في المدرسة الوسطى بالغيل، وعلى أنه في إحدى ليالي الغيل وأمسيات المعلمين فيها، على سطح (ريم) سكن المعلمين بمنطقة الصالحية بالغيل كان ميلاد كلمات



لحضر موت، وعرفت بالصالحية نسبة للسلطان صالح بن غالب القعيطي منذ العام ١٩٣٦م، وفي عهده شهدت حضر موت نهضة تعليمية وثقافية، بل عُرف عهده بعهد المعرفة والإصلاح الشامل، وكان الأستاذ محمد عبد القادر بافقيه عميداً لتلك المنطقة التعليمية.. لذلك حظيت غيل باوزير بهذا البوح من الهادي آدم المعنونة بـ (ليالي الغيل):

ليالي الغيل:

يا ليالٍ بالغيلٍ أثيرين إحساسي
وهيجن من كوامن وجدي
حين مالت بي الركاب على (الريان)
استنجد التنايف وحدي
أسأل الناس عن ديار امرئ القيس
وأبكي على مضارب سعدٍ
ما وقوفي هنا على جبل بالغيل
مستحصد الشكيمة جلد؟
أكبرت صبره الليالي وملت
صمته البید بین غور ونجدٍ
ترتمي الواحة الحزينة حسرى
تحت أقدامه أسيرة وجد
وهو ينأى بجانب منه تياه
ويزهو بهامه المتحدي
والينابيع لم تزل من قرون
عبر وادي تبالة الممتد
طالما نضرت يداها لجيد الشعر
عقدًا منضداً أي عقدٍ
ألْبسته هنا غلالة مرطٍ
وحبته هناك جنة خلد
وأرى الساحل اليماني مازالت
تواليه بين جزر ومد

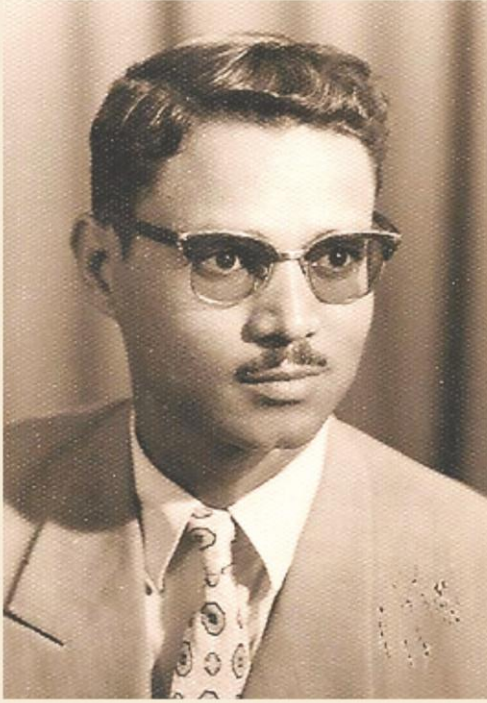
يرسل الموج كالجبال فتفنى
في جبال على الشواطئ صلد
شامخات لولا تماسكها مادت
بنا الأرض تحت خصم ألد
مسحت ذكريات سيف بن ذي يزن
وما قاد من رجال وجند
وتناست أمجاد عمرو بن كلثوم
وإعصافه بعمر بن هند
حينما عاد بالملوك أسارى
تجتلي قبائل من معد
أيها البحر كم بجوفك من كون
عجيب يعطي الحياة ويردي
قد وعته الجبال عنك زمانا
لو تعيد الجبال يوما وتبدي

وختاماً. فالهادي آدم تربويٌّ وأديبٌ وشاعرٌ، اشتهر برائعته الغنائية (أغداً ألقاك) التي تغنت بها سيدة الطرب والغناء العربي كوكب الشرق أم كلثوم، أما غيل باوزير فقد حظيت بزيارة هذا الشاعر السوداني وبألمسية أدبية ليقدفها بذلك البوح وتلك الأبيات الشعرية الرائعة المعبرة عن إعجابه بمدينة العرفان - غيل باوزير. مدينة العلم والمعرفة (ليالي بالغيل..)

* أستاذ التاريخ القديم - جامعة عدن.

المراجع:

- (١) - علوي سالم مدهر: التربوي المدرب الرياضي محمد طه الدقيل (٢٠١٤-١٩٣٥م)، مكتبة الصالحية للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م.
 - (٢) - مجلة الفكر، العدد (٢٤)، الصادر في غيل باوزير ٢٠٠٤م.
 - (٣) - محمد سعيد القدال: الشيخ القدال باشا (معلم سوداني في حضر موت، ومضات من سيرته ١٩٥٣-١٩٧٥م، دار جامعة عدن ١٩٩٧م.
 - (٤) - محمد سعيد مديح: المدرسة الوسطى الأم، ط ١، العربية السعودية، جدة.
- بالإضافة بعض المعلومات المأخوذة من قوقل.

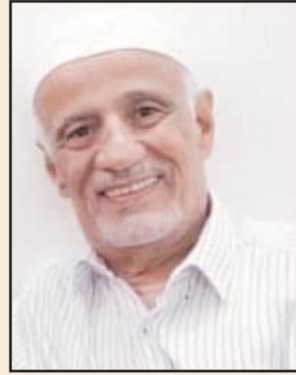


علي عقيل شاعرًا

(١٣٤٢هـ - ١٤٠٨هـ)

(١٩٢٣م - ١٩٨٧م)

(الجزء الأول)

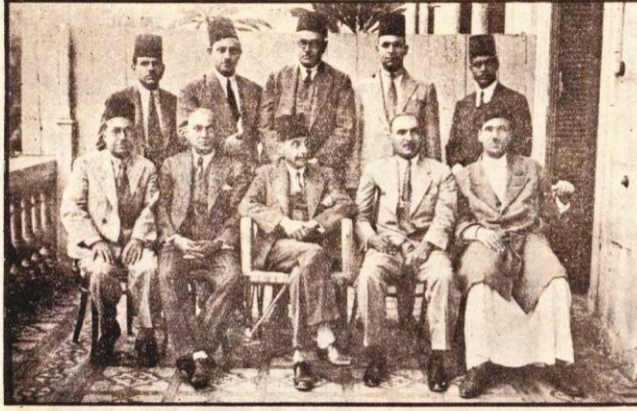


د. أبوبكر محسن الحامد *

ملخص البحث:

يناقش هذا البحث ثلاث تقنيات يستخدمها الشاعر علي عقيل بن يحيى، وهي تقنية الثنائية، وتقنية السرد، وتقنية البناء الدرامي. تتضح تقنية الثنائية من خلال التضاد، والمفارقة، والتوازي، لفظاً وإيقاعاً. وتتضح تقنية السرد من خلال ترتيب الأحداث وعرضها تعاقباً بشكل درامي حيوي مؤثر، ويمكن ملامسة البناء الدرامي من خلال محاولة الشاعر تكوين وتصوير بداية ونهاية لما يريد عرضه درامياً من مشاهد وأحداث. ولإيراد أمثلة واضحة لهذه التقنيات الثلاث، رجعنا إلى ثلاثة نماذج مطولة من نصوص الشاعر، وهي "خواطر هائجة"، "تحية لمؤتمر الأدباء.."، و"أبى الاحتقار أن يكون احتقاراً" وقمنا تارةً بالتحليل وتارةً بفرض الأمثلة وإبرازها للقارئ واضحة تتحدث عن نفسها مباشرة.

اعتمدنا في التحليل على منهج التلقي، فالقارئ يدخل إلى النص بما لديه من معرفة وخبرة، مسجلاً ما لديه من ردود أفعال استجابة للنص وبنية اللغوية الشعرية. فالقارئ، كما يرى رمان سلدن، هو الذي يطبق الشفرة التي كتبت بها الرسالة فيحقق معناها، وإلا ظل هذا المعنى مجرد إمكان فحسب" (انظر رمان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة وتقديم د. جابر عصفور، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩١ / ١٨٢). ولم نغفل عن الاستفادة من بعض مناهج النقد الأخرى، كالمنهج التاريخي، وأهمية السياق بالذات، ومنهج البنيوية، البنية الداخلية للنص على وجه الخصوص، ومنهج النقاد الجدد، وبالذات طريقة القراءة المتأنية للنص، وتفكيكه، ثم اعتباره بنية كلية مترابطة.. يبدأ البحث بتوضيح السياق الأدبي والسياسي العربي الذي بدأ الشاعر خلاله ينشئ قصائده، ثم قمنا بتحليل الثلاثة النماذج المختارة، مُركّزين على استخدام أسلوب الثنائية، والسرد، والبناء الدرامي. وينتهي البحث بالإشارة إلى استخدام الشاعر لبعض مفردات التراث العربي القديم كمفردتي "الدهر" و"المجد"، ونختم بخلاصة تبين موقع الشاعر بين شعراء جيله في الوطن العربي وفي الجنوب خاصة.



﴿الاجتماع التاريخي لمجلس جمعية أبولو برئاسة خليل مطران بك﴾
في يوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٢

أديباً، نشأ الشاعر ابن يحيى والعالم العربي منشغل بقصائد كبار شعراء مصر، وخاصة شوقي وحافظ وبأفكار رواد مدرسة (الديوان)^(٢)، وبمحاولات حركة (جماعة أبولو)^(٣) التجديدية، برئاسة أحمد زكي أبو شادي، ولعل ابن يحيى تشبع من أفكار سابقه الجديدة. كتب إحسان عباس وهو يتابع حركات الأدب، وحركة أبولو، في الوطن العربي والمهجر وتطورها: "وقد كثر تلاميذ هذه المدرسة (يقصد المدرسة الرومانطيقية) سواء بتأثير من مدرسة المهجر، أو مؤثرات مباشرة من أوروبا، فإذا بها تعم البلاد العربية، فتظهر في الزهد والتصوف والإغراق في الروحانية، والميل إلى الطفولة عند التيجاني يوسف بشير، وفي الميل إلى الطفولة وعشق المرأة المشحونة بالوهم في شعر الشابي، كما ظهرت في تقديس الألم والكآبة عند أبي شبكة، وفي الانطوائية الباكية عند أنور العطار، وفي البرج العاجي والهيام بالتطواف في شعر علي محمود طه. (عباس، ٤٦). وخلاصة ما دعت إليه هذه الاتجاهات الأدبية الثلاثة، المهجر، والديوان، وأبولو، هو الحاجة إلى التجديد في الأدب، والشعر منه خاصة، شكلاً ومضموناً، وإلى ضرورة مواكبة التغيرات والتحويلات العلمية والاجتماعية والسياسية، وبدأت مظاهر التجديد تبرز في قصائد شعراء هذه الاتجاهات في المهجر كجبران خليل جبران، والديوان، كعباس محمود العقاد، وأبولو، كعلي محمود طه، وجاءت بعض أفكار ابن يحيى في الشعر ومواضيعه شبيهة لما نادى به مدرسة (الديوان)

الثنائية في شعر علي عقيل بن يحيى^(١):

الثنائية أسلوب بلاغي ينتشر في سور القرآن، وفي الشعر العربي قديمه وحديثه، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما نجده في سورة "الليل" من استخدام لصور التضاد أو الاختلاف، على سبيل المثال، "والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلّى، وما خلق الذكر والأنثى... وإن لنا للآخرة والأولى" فالليل يقابله النهار، والفعل يغشى يقابله الفعل تجلّى وكذلك الحال، من حيث الاختلاف في دلالات مفردتي الذكر والأنثى، ومفردتي الأولى والآخرة. بمثل هذه الثنائية البلاغية يتحقق في عقل المتلقي عمليات شد وجذب، وتداعيات ومعان، وظلال يفرزها هذا التصادم أو الاختلاف بين دلالات المفردات أو التعابير المختارة. يستخدم الشاعر علي عقيل بن يحيى ثلاث تقنيات فنية، هي الثنائية، والسرد، والبناء الدرامي في شعره ليحقق تأثيراً جمالياً في عقل المتلقي من خلال عمليات الشد والجذب والتوتر والارتخاء التي تولدها طبيعة تلك التقنيات. نبدأ بالتركيز على استخدام الشاعر لتقنية، الثنائية المنتشرة، في ثلاث قصائد من شعره وهي: "خواطر هائجة"، "تحية لمؤتمر الأدباء..."، "أبى الاحتقار أن يكون احتقاراً"، ثم نبرز أمثلة ومباشرة من شعره تبين بوضوح استخدامه لتقنيتي السرد والبناء الدرامي. الملاحظ أن استخدام الشاعر لتقنية الثنائية يساعدنا على تبين رؤية علي عقيل بن يحيى الشعرية، وعلى إبراز معجمه اللغوي ودلالاته، لذلك سيتم التركيز على أبيات مختارة من هذه القصائد الثلاث وتحليل تلك الأبيات لإبراز أثر تقنية الثنائية في توضيح الرؤية الشعرية للشاعر مضموناً وشكلاً عموماً. وبعد القاء نظرة كلية شاملة على النصوص الثلاث التي أمامنا تكشف لنا رؤية الشاعر واضحة جلية، فهي: رؤية شعرية فنية جمالية من جهة، وهي رؤية وطنية قومية واقعية سياسية من جهة أخرى، وإذا ما رجعنا إلى السياق الأدبي والسياسي التاريخي اجتماعياً وسياسياً، لاتضح تلك الرؤية أكثر وأكثر.



التيارات الفكرية العربية والسياسية بالضرورة لا تلجأ إلى التوليفية التوفيقية إلا عندما تكون غير قادرة على الوصول إلى السلطة السياسية أو إنها خرجت من "يدها"، ولكن عندما تصل إلى السلطة أو تكون فيها فإنها تنفي الجميع أيديولوجياً. (الحمد، الثقافة...، ١٥٢) وسنورد مثلاً من نصوص الشاعر يؤكد هذا الواقع السياسي المزري في حقيقة عمل الأحزاب السياسية ونشاطها، التي تسيء استخدام السلطة، بل إنهم قد يتحولون إلى "عبيد" للأجنبي، بحسب تعبير شاعرنا في قصيدته "أبى الاحتقار..."، يأترون بأمره طمعا في تسهيل الحصول أو التثبيت في السلطة. يقول ابن يحيى:

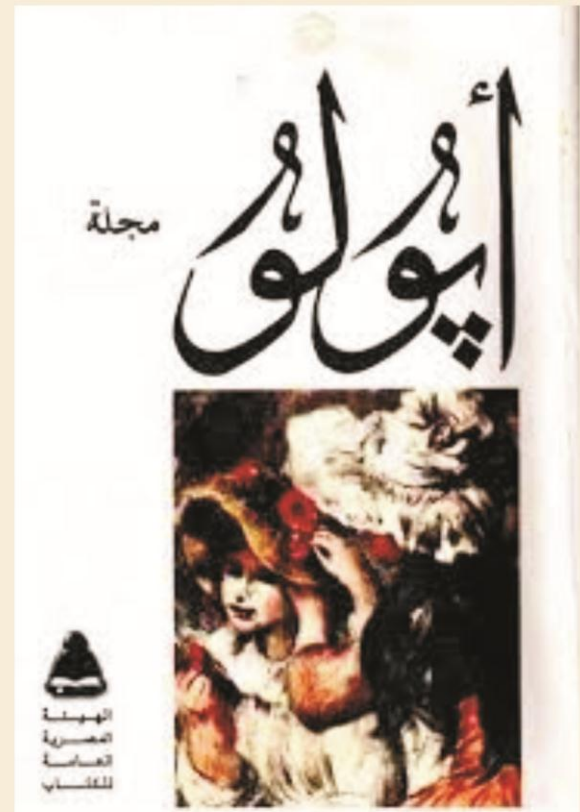
تحكم في قومي خداعاً وغيلة عبيد فسموا المخزيات معاليا
ويفصح عن هؤلاء "العبيد" فيقول:

لقد وطن الانكليز البديل دماً وحديداً ورعباً ونارا
مشوا في الدماء ولوغ ذئاب ونهش الكلاب جيعاً سعاراً
شيوخ تجر جر أحياء سحلا فهلاًرعو ما يبكي الصغار
وهلارعو عبرات النساء تعج ويعلو صداها الديارا
...

محافل تدعى لذبح الرجال وسحل الشيوخ وهتك العذارى
طردتم أذى كل حر كريم وشردتم الشرفاء الغيارى
كذبتم على الشعب وعدا فوعدا فولى الزمان سدى وانتظارا
...

فمالي أرى أوجها كالحات تلفع لؤما وتعري نجارا
محجتكم معبد الكرملين وموسكو طوعية واختيارا
ومأربكم حكم هذه البلاد أكنتم يمينا أكنتم يسارا
فلستم يمينين أو سوفيت ولستم يهودا ولستم نصارى
هو الجهل تستنه صبية وقد خلقت ما تشاء العذارا
مطامحها حفظ هذا الشعار كلام معاد يقال اجترارا
وقات وخمر وعاهرة ويارب جرم أتوه سكارى
لقد تنفع العقلاء العظا إذا ما تلاقوا الأمور اعتبارا

و(جماعة أبولو). كتب شاعرنا ابن يحيى يقول: "الشاعر إما يهيج من طبيعة الحياة نفسها، منطلقاً بأحلامه ورؤاه إلى تجاوز ظروفها وواقعها، لسنا في القرن العشرين نحن أنفسنا أسلافنا في القرن الألف قبل الميلاد، ولا في القرن الأول أو الرابع أو العاشر الهجري، لا ولا الخمسين السنة الماضية، إننا حسب قانون تطور الحياة، وتطورها شيء آخر لا خلاف في ذلك". (ابن يحيى، آفاق، ٧)، وهو يعبر عن هذا الفهم نجده أيضاً يربط تطور الشعر بتطور الحياة نفسها شكلاً ومضموناً، إيقاعاً ومحتوى، فكل عصر له درجة من تطور الفكر عامة، ومن تطور الشعر خاصة، والشاعر الحامد هو الذي لا يدرك ولا يطبق هذه الحقيقة، فلكل عصر تجديده وتحولاته في المجالات الاجتماعية والسياسية والفكرية عامة، فعصر ابن يحيى لم يكن عصر شوقي وحافظ ولا حتى عصر العقاد والمازني، فقد ظهرت الأحزاب السياسية باتجاهاتها الجديدة الأيديولوجية المختلفة وغير الديمقراطية في كثير من حالاتها. كتب تركي الحمد يصف هذه الظاهرة، ظاهرة غياب الديمقراطية أيديولوجياً، في الوطن العربي: "والملاحظ أن



خسستم فإننا بنو الأكرمين أشد تراثاً وأسمى نجارا
لصوص بلادي حكامها فهل ثم بلوى أشد دمارا
حلفنا بأقداسنا منذ كنا ولما نزل للأنام منارا
سنثار طال الزمان أو دنا ونعلي لكل شهيد مزارا
* * *

هذه واقعية ثورية وطنية في صور شعرية من المشهد السياسي القائم بعيداً استقلال جنوب اليمن. ومن ناحية فكرية أو بالأحرى سياسية كان الشاعر ابن يحيى مثل سابقه من الشعراء، بدوي الجبل وأبي ريشة في سوريا، أو لطفي أمان والجرادة في جنوب اليمن مثلاً، يشعرون جميعهم بضغط المستعمر الأجنبي عليهم وعلى هويتهم العربية. وفي حالة شاعرنا الهوية العربية الإسلامية، يقول جابر عصفور: "منذ مطلع النهضة العربية والمحاولات لا تنقطع لتأصيل خصوصية فارقة، تمايز حضارياً وقومياً اعتقادياً وثقافياً وسياسياً ما تنفرد به الهوية العربية في مواجهة غيرها من الهويات" (عصفور، النقد الأدبي...، ١٩٢) ومن هذه المحاولات، محاولات التأصيل، ما يحاوله ويسعى إليه ابن يحيى وأقرانه من الأدباء والنقاد الذين تبسوا الاتجاه القومي. فالشاعر ابن يحيى تبني كثيراً من الآراء السياسية المناهضة للاستعمار وللنفوذ الأجنبي، ولكل ما يمس الهوية العربية الإسلامية، وقد وجد أن طموحاته القومية والمتعلقة بالهوية موجودة في إطار سياسي قومي عربي يفتح ذراعيه لكل العرب من المحيط إلى الخليج من غير استثناء، وعلى اختلاف بلدانهم وألوانهم ومعتقداتهم، مشاربهم ومذاهبهم، ويضمهم جميعاً تحت لواء القومية العربية، هذا الإطار هو حزب البعث العربي الاشتراكي^(٤)، ومركزه دمشق، فانضم ابن يحيى إليه بحماس في أثناء دراسته للمرحلة الثانوية بدمشق أو في أثناء عمله معلماً بمدارس دمشق، وتدرّج في قيادة الحزب حتى وصل إلى درجة قيادية عالية. وابن يحيى هو "مؤسس حزب البعث باليمن" منطلقاً بنشاطه في البداية من حضر موت^(٥)،

كما أصبح، كغيره من شعراء العربية خلال المد القومي في الأربعينيات والخمسينيات يدعو إلى الوحدة العربية التي "ظهرت بصورة قوية واضحة، بظهور الثورة المصرية عام ١٩٥٢م/ (١٣٧٢هـ)، والواقع أن قوة الصوت الذي صدر من مصر يرجع إلى أكثر من سبب، فالمصريون قد خرجوا من عهد إلى عهد يلتزمون فيه أشياء كثيرة فقدوها، ومصر بثقلها العربي والسياسي والعسكري تزعمت هذا الاتجاه، وبصراعها مع الاستعمار الذي كانت أبرز أحداثه اندحار العدوان الثلاثي، عام ١٩٥٦م (١٣٧٦هـ)، وقد انطلق صوت الوحدة العربية قوياً عنيفاً، وكانت كل الأبصار المتطلعة تنو إلى مستقبل جديد للشعوب العربية، خاصة البلاد التي بليت بالاستعمار، فتضامّت الألسنة العربية، نشيداً إلى الوحدة" (الحامد، عبد الله، ٢٢٩). وفي إحدى القضايا القومية الأساسية، قضية فلسطين، معروف عن الشاعر أنه حمل السلاح دفاعاً عن فلسطين إلى جانب المقاومة الفلسطينية في حربها مع إسرائيل على الأراضي الأردنية، مليئاً نداء حزبه للدفاع عن القضية الفلسطينية. وقد جعل الإطار الحزبي بعض الشعراء يُضيفون إلى مضامينهم ما يحفز على الوحدة ويحافظ على الهوية، لذلك "ارتبط الخطاب الأدبي الحديث والمعاصر بالرؤية السياسية والأوضاع السياسية" (أبو أحمد، ٢٣٤)، حدث ذلك خاصة بعد نيل بعض البلاد العربية استقلالها من الاستعمار الأجنبي "فبعد أن كان الناس يُنظر إليهم على أنهم رعايا لهذا الحكم أو ذاك، أصبحوا مواطنين فاعلين وسادة في أوطانهم" (نفسه، ٢٣٥)، وأرى أن اهتمام الشاعر بقضايا الهوية والتراث جعله يقف حذراً من بعض حركات التجديد في الشعر كحركة الشعر الحر أو قصيدة النثر، وظل يكتب شعره بالعمودي، القافوي، ولكنه لا يرفض حركات التجديد وأفكارها؛ فهو يرى أن التجديد في الشعر: "ليس مجرد كسر اللغة واللعب بها، ولا تحطيم الإيقاع، ولا اللجوء إلى الغموض والإبهام والحذقة بحجة إزاحة التخوم حيث لا يفهم أحد



إذا لم أقل الشعر يوماً لنخوتي،

نبذت حياتي لا علي ولا ليا

وإن لم أقل شعري وفاء لمحتدي،

فعالا، رفضت الشعر يوماً تباكيا

وإن لم أقل شعري قوافي شرذا

تثير إذا مانمت ليلي النواديا

أبيت انتمائي لامرئ القيس مربعا،

وجافنتي الأحقاف سفحاً وواديا

تسلت رجال عن هموم نفوسهم،

ولست أراي لو تسليت ساليا

وحقيقة التجديد في الشعر هاجس قوي لدى ابن يحيى ففي مقالته المذكورة يختم آراءه عن التجديد بالإشارة إلى الجواهري مثلاً - وكأني به هنا يعني نفسه - قائلاً: "الشاعر محمد مهدي الجواهري صوت للقصيد العمودية لما يزل حتى الآن فاعلاً قوياً لا يستطيع أحد أن ينكر إبداعه ولا سعة جمهوره وانفعاله به في طريق التغيير وبناء المستقبل والثورة على القديم. إنه يحتل مكانته كما هو قبل خمسين عاماً..." ويعزز هذه الآراء ابن يحيى بنقله للآتي: "سئل الجواهري هل سيأتي البديل عما أنجزتم وأنجز عظماء العمود؟ فأجاب أنا أقرأ لأي كان، ويعجبني من الشعر الشعر!... لا توجد مدرسة غير مدرسة الحرف النقي والنغم، فهي المدرسة الباقية لأنها راسخة وأنا مؤمن بالتطور... ولا يصح أن يكون ما هو موجود بديلاً عن كل التراث العظيم الذي مشى بالدم وبالعصب وبالذهن" (آفاق، ٢٠)، ثم يعقب الجواهري نفسه على هذه الآراء التي يتبناها عن أصالة الشعر فيقول: "الشاعر الأصيل يفرض نفسه بأي نغم كان، وأي نمط كان، وهذا شيء مسلم به عندي، ولكن هذا لا نخلص منه إلى ترويح البضاعة الكاسدة" (نفسه، ٢٠) (منقول عن الحوار

ما يقوله الشاعر إلا نفسه، وطبقة خاصة محدودة تتخرّص الفهم تخرّصاً وليس جماهير الشعب" (ابن يحيى، آفاق، ١٤). ويجادل ابن يحيى بتحليل قضية الحداثة في الشعر فيقول: "الحداثة منشودة والحداثة الحقيقية في وعي الواقع الإنساني في إطار عصره متصل إلى حد النضج، وترهص بها ضغوط عديدة حتى تفرج وتنفجر في لحظة تفاعل وتصادم مع لحظة إثارة أو تذكر أو لحظة تأمل، فتأخذ معمارها الفني من خلال مضمونها الإنساني الشفاف الواعي وهي لحظة الهاجس الخاطفة التي تحدث عنها شعراؤنا القدامى فقالوا بأن لكل شاعر قرينا، ولحظة الهاجس هذه إما أن تقتنص توا وأما إن تفلت ولا تعود..." (ابن يحيى، آفاق، ١٤)، ربما لا يدرك صحة عبارة ابن يحيى الأخيرة هنا عن لحظة الهاجس غير من يكتب الشعر ويمر بتجربته عند التعبير والتدوين، وتلك كما يقول لحظة إبداع "إن الإبداع عملية غير منظورة مولدة من الإلهام، إن المبدع إذ ذاك يكون خارج ذاته، وفي عالمه الخاص، لا عالمنا" (نفسه، ١٤)، ويلخص موقفه من التجديد عامة فيقول مقترباً من آراء أدونيس في هذا الموضوع: "بعد خمسين عاماً يقصد من حين كان يكتب تلك المقالة في المجلة، آفاق، أي حوالي عام ١٩٨٥م) الآن على ظهور الشعر الحديث ما كان منه رومانظيقاً وسيريالياً ومختلطاً بهما، بدا واضحاً أن القضية في الأساس ليست الحداثة هي مجرد التتالي الزمني ولا الحداثة ذاتها مطلقة، وليست هي المقياس الصحيح في التقويم، وإنما درجتها ونوعيتها فهناك شعراء قدماء ألصق بالحداثة والإبداع، كالمتنبي مثلاً من شعراء معاصرين" (ابن يحيى، آفاق، ١٦). وابن يحيى شاعر مجدّد ولكن في إطار ما نسميه الشعر الأصيل، وهو - كالجواهري - يعتقد أن الشعر يعبر عن قوته مهما اختلفت أشكاله وإيقاعاته، فالشعر عندهما هو الإحساس الصادق العميق من جهة، وهو البناء الدرامي المتقن، وهو الصورة والتشكيل والخيال:



مع الجواهري المنشور في جريدة الجمهورية عام ١٩٧٢م). وبعد هذا الحوار تلا الجواهري أبياتاً من قصيدته في تكريم هاشم الورتري، عميد كلية الطب، الذي استقال عام المشانق ١٩٤٩م احتجاجاً على اقتحام الشرطة حرم الكلية. وختم ابن يحيى ما ينقله عن الجواهري بهذه الأبيات من قصيدة الجواهري:

يتبحرون بأن موجاً طاغيا سدوا عليه منافذاً ومساربا
كذبوا فملء فم الزمان قصائدي، أبداً تجوب مشارقاً ومغاربا
تستل من أظفارهم، وتحط من أقدارهم، وتثل مجدداً كاذبا،
أنا حتفهم ألج البيوت عليهم، أغري الوليد بشتهم والحاجبا
(ابن يحيى، آفاق، ٢٠)

والمعروف أن ابن يحيى نفسه، كالجواهري، يكتب شعره عمودياً قافوياً، ويرى أن هذا النوع من الشعر يحمل في نسيجه جوهر التجديد وقوته، كما عبر عن ذلك مصطفى عراقي في قوله: "إن الشعر الأصيل (ولا أقول القديم، المسمى خطأ بالشعر التقليدي والعمودي أو بشعر الشطرين)، الذي وصل إلى آفاق عالية على يد مبدعين كالجواهري وأبي ريشة والبردوني، بما حققوا له من توهج وحيوية ما يزال يواصل تجده، رغم المحافظة على الشكل، على أيدي شعراء أخلصوا له..." (عراقي، مجلة علامات، ٤٥). وابن يحيى يجسد هذه الآراء والأفكار حين يعبر عن حقيقة شعره وماهيته؛ فهو شاعر "المجد والعزة"، شاعر "يرخي السماء"، و"يجابه الدنيا"، ولكنه أيضاً يتمتع "بعفوية وسجية الشاعر"، عاشق الحياة والمولع بالجمال:

ضحكت لي الدنيا كما صورتها

تهويل فنان ولعبة ساحر

هذه الدنى خذها على علاتها

أو فالقها في كف طفل ساخر

أتحار فيمن تصطفيه وتتقي

دعها كما سجية شاعر!

هذه السجية في نظره إلى الدنى يفصح عنها في قوله:
أنا من يعشق الحياة هيأما بجمال ومتعة وصحاب
فرحاً بالشباب يأتي به الحب وباللهو أيها ترحاب

* أستاذ الأدب والنقد والترجمة، جامعة عدن وحضر موت.

الهوامش:

١- علي عقيل بن يحيى (١٣٤٢-١٤٠٨ / ١٩٢٣-١٩٨٧م) شاعر وسياسي من حضر موت، من مواليد قرية المسيلة من ضواحي تريم، تلقى تعليمه الأولي بمدارس تريم، مدرسة جمعية الأخوة والمعاونة، ثم أرسلته الجمعية عام ١٩٤٧ مع آخرين إلى سوريا للدراسة بالثانوية والجامعة، فأكمل الجامعة بكلية الحقوق، انضم إلى حزب البعث الاشتراكي العربي، وتبوأ مراكز قيادية بالحزب، فوصل إلى عضوية اللجنة القطرية واللجنة القومية، وهو مؤسس حزب البعث باليمن عامة والجنوب خاصة منطلقاً من حضر موت ومعه زميله الصيدلاني عوض عبد الله بامطرف، والمحامي محمد عمر الكاف والطبيب النفساني عبد القادر محمد الكاف بعد ذلك. (انظر الحامد، أبو بكر محسن، علي عقيل: الوطني الغيور، حضر موت الجامع العدد (١) يونيو ٢٠٢٢م).

٢- مدرسة الديوان جاء اسم المدرسة من كتاب (الديوان) لمؤلفه عباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤م) وإبراهيم عبد القادر المازني (١٨٩٠-١٩٤٩م) وسجلوا في هذا الكتاب، ومعهم عبد الرحمن شكري، أفكارهم التجديدية عن الأدب والشعر خاصة. (انظر الحامد، العلوي وفروست، ٦٦).

٣- حركة أبولو حركة أدبية تجديدية، تركز على نقد الشعر ونشره، تأسست عام ١٩٣٢ بالقاهرة برئاسة الشاعر أحمد زكي أبو شادي، وأصدرت مجلة (أبولو) برئاسة الشاعر أحمد شوقي ونائبه خليل مطران وأحمد محرم، وأحمد زكي أبو شادي سكرتيراً للتحرير، وعضوية إبراهيم ناجي، ومحمود عماد، وعلي محمود طه وآخرين. (انظر الحامد، العلوي وفروست، ٥٧).

٤- هو حزب قومي عربي نشأ في سوريا ورفع شعار "وحدة-حرية-اشتراكية"، اعتنق أفكاره عدد من طلاب حضر موت الدارسين في سوريا والعراق ومصر، وعلى رأس هؤلاء الأستاذ علي عقيل بن يحيى، والدكتور عوض عيسى بامطرف، وقد وصل الأستاذ علي عقيل بن يحيى إلى عضوية القيادة القومية في حزب البعث الاشتراكي في سوريا ممثلاً للقيادة القطرية في اليمن،... (بامؤن، كرامه ص ٣١٧).

٥- مقابلة مع د. حافظ نعمان، عضو القيادة القطرية لحزب البعث باليمن على قناة السعيدة شوال ١٤٤٥هـ موافق إبريل ٢٠٢٤م.

الوطن في شعر علي أحمد بارجاء



الشاعر علي أحمد بارجاء

الملخص:

تسعى الدراسة بالرصد والقراءة والتحليل إلى الكشف عن مضامين الوطن في شعر علي أحمد بارجاء واستجلائها؛ إذ مثّل الوطن قيمة عليا في نفس الشاعر، وظهّر جلياً، واحتل حيزاً فسيحاً في منجزه الشعري، وهو نابع من حب وجداني صادق، سعى الشاعر لإبراز هذا الحب الجامح، وإظهار حنينه وعاطفته ومشاعره بنبرة شعرية تشعُّ حرارة وحباً، يرتوي من نوره ما يكفل له الاعتزاز والفخر بوحده وتلاحم أبنائه وصبرهم وحكمتهم، يتبدّى في شعره أن لوعته على الوطن والخوف عليه لم تقف عند حد الأنين والتوجع، بل تجاوزته إلى تعرية الواقع مصوراً تشوهات ذبوله، في استقراء للواقع بوحي، ترفده خبرة تمتح من المعطيات التاريخية والدينية، تصهرها الذات الشاعرة في بوتقة من الرؤيا الجمالية والفكرية الرافضة والساخطة، بما يبعث في الحدث لحظة شعرية، انقذ فيها لهب الحلم وروح الاستشراف والرؤية الحاملة بمستقبل يشع بالأمل.

الكلمات المفتاحية: الوطن، الشعر الحديث، علي أحمد بارجاء.

تبدأ أواصر علاقة المرء بوطنه منذ ولادته، فتنشأ لديه تعالقاً روحياً، وارتباطاً مشيمياً برحم الأرض التي اكتفتته بدفء ذرات رمالها؛ لذا يؤلّد حب الوطن مع ولادة المرء على أرضه، وينمو ويتكون هذا الحب لحظياً، يُغذيه بدفء ثراه، ويسري هواه فطرياً في الأحشاء مسرى الدّم في الشرايين.

وقد عرّف الإنسان العربي بأنه كثير التعلّق بوطنه، يدفعه الحب والحنين، فـ"كانت العرب إذا غزت أو سافرت تحملت معها من تربة بلدها رملًا وعفراً تستنشقه"^(١)، هذا الحب والحنين إلى أوطانهم، وجزعهم عن الرحيل عنه حباً أو كراهة، إن يدلّ فيدل على شعور صادق، وارتباط وثيق بهذا الثراء؛ لأن ارتباط الإنسان بالأرض أوثق ما يكون في تعلقه بوطنه وهو مقيم في حماه، وفي حنينه إليه وهو ناء عنه^(٢)، تتراءى أمام عينيه صورة وطنه في حله وترحاله، فلا ينسى موطنه القديم مهما كانت حاله فيه فيرى في الغربة كربة وعدلاً.



محمد عبدالله بن حيدرة *

المقدمة:

الوطن حُبٌّ شريفة، وأمنه ودیعة، ترابه الملاذ الآمن، الذي يكتنف أبنائه، ويحفهم بالأمن والأمان، الوطن جوهره مكونة في نفوس أبنائه، وتربته وهواه وفيافيه نبغاً ثرياً ينهل منه الشعراء مادة تكتنز بطاقة الإبداع؛ إذ وجدوا فيه ضالتهم من صور الفخر والألفة والانتماء، واستشعروا في ذراته طاقة جذب عارم، يحتاج وجودهم، ويستقطب أفئدتهم، فعاش في أفئدتهم، وعاشوا تحت أفيائه، يؤثرون مرارة ما فيه على حلاوة ما في سواه.



الشاعر علي أحمد بارجا

معيداً بقسم اللغة العربية بكلية التربية بسيئون بجامعة
حضر موت للعلوم والتكنولوجيا.

تقلّد الشاعر بارجا في مسيرته الحافلة بالعطاء عدداً من
المهام والمسؤوليات، أبرزها مسؤولاً لدائرة الفكر والثقافة
والإعلام والتربية بوادي حضر موت، ومسؤولاً ثقافياً لجمعية
الأدباء الشباب بسيئون، ومديراً عاماً لمكتب وزارة الثقافة
بوادي حضر موت منذ ١٩٩٩م، ومسؤولاً ثقافياً لشعبة
سيئون لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، ثم رئيساً للشعبة،
ثم انتخب رئيساً لفرع وادي حضر موت لاتحاد الأدباء
والكتاب اليمنيين في فبراير ٢٠٠١م، وعضواً للجنة حصر
الدّان الحضرمي وجمعه وتوثيقه، والمشكلة من وزير الثقافة
في نوفمبر ٢٠١٩م تمهيداً لتقديم ملف الدّان الحضرمي لمنظمة
اليونسكو؛ لإدراجه ضمن التراث العالمي اللامادي للبشرية،
كما أسهم في إعداد برامج ثقافية وأدبية وتقديمها في إذاعة
سيئون، أهمها: مجلة الأدب والثقافة، والمنتدى الثقافي المباشر،
وكُندي شاعر الوطن والاغتراب.

حاز بارجا عدداً من الجوائز والشهادات التقديرية من خلال
نشاطه في المجالات الثقافية والأدبية، منها: المرتبة الأولى
في المسابقة الشعرية التي نظمها قسم اللغة العربية بكلية الآداب
جامعة صنعاء بتاريخ ٨ إبريل ١٩٩٧م، والمرتبة الثالثة
في المسابقة الشعرية لمجلة (تراث) الصادرة عن (نادي تراث

والشعر العربي ما هو إلا انعكاس لطبيعة التفاعل الروحي
بين الشاعر وأرضه حين تشترك مكنوناته الاجتماعية والسياسية
والاقتصادية والثقافية في تخصيب ذلك التفاعل، فالشعر
لا يعدو أن يكون صياغة فنية لتجربة شعرية مُميّزة، تحاول
أن تنقل لنا الواقع، ولكن برؤى وتصورات متباينة.

وبما أن الشاعر أَرهفُ إحساساً، وأرقُّ عاطفة من غيره؛
فإنَّ الوطنَ أعظمُ حضوراً في وجدانه، وأوسعُ امتداداً على
مساحة وجوده؛ إذ يتجذّر ارتباطه بموطنه، ويحتل قيمة عليا
في نفسه، وهذا ما ظهر جلياً في شعر علي أحمد بارجا،
الذي يحمل رؤى ومواقف ذات بعد أخلاقي يحيل إلى
تصوراته نحو ذاته وشعره وواقعه، وهو نابع من حب وجداني
صادق، حظي باهتمام كبير من لدن الشاعر، واحتلَّ مساحة
واسعة ومهمّة في دواوينه، أظهر فيه قدرة فائقة في استثمار
أدوات إبداعه الفني في إعلاء صوت الوطن، ونشر محبته في
القلوب، مُبرزاً مصائب شعبه ووطنه ومشاكله السياسية
والاجتماعية، مُغمّساً في واقعه الراهن في تفاعل شعوري
وجداني وفكري، ينشدُ فجراً جديداً كلّما هبَّت عليه رياح
الزمن الجميل، متطلّعاً لغدٍ جميل يعانق الرقي والسمو.

التمهيد:

أولاً: علي أحمد بارجا

علي أحمد عبد الله بارجا، ولد بمدينة سيئون بمحافظة
حضر موت في ١٩ فبراير عام ١٩٦٢م، شاعر وكاتب وأكاديمي
وباحث يمني، اعتنى بتوثيق التراث الشعبي الحضرمي
وجمعه ودراسته، صدر له عدد من المؤلفات في مجال الشعر.

تخرّج بارجا في قسم اللغة العربية بكلية التربية بمدينة
المكلا عام ١٩٨٨م، تخصص اللغة العربية وآدابها، وعمل
مدرّساً بقسم اللغة العربية بمعهد إعداد المعلمين بسيئون،
ثم نال درجة الماجستير في الأدب والنقد من جامعة حضر موت
عن رسالته الموسومة بعنوان (الأدب العربي في المهجر الشرقي،
إندونيسيا وسنغافورا من عام ١٩٠٠م إلى ١٩٦٧م)، ثم عمل



أما وفاته فقد كانت يوم السبت ٧ مارس عام ٢٠٢٠م للميلاد، بعد صراع مرير مع المرض في أحد مستشفيات القاهرة، تاركاً بصمة علمية ومحبة أكيدة في قلوب من عرفه وقرأ وسمع له.

ثانياً: الوطن

وطن المرء أول بقعة يصفاحها لحظة ولادته، وأظهر مهد يعتنق وجوده، وأدفاً حضن يحتوي كيانه، وأعذب نهر يروي ظمأ حنينه، فينبض قلبه بالوطن شعوراً بالانتماء، وارتباطاً وجدانياً بأهل وأحبة، وتعلقاً حيويًا بحضارة وقيم وتقاليده وعادات تجعل من الوطن هوية الإنسان.

الوطن لغة: "محل الإنسان، وأوطان الغنم؛ أي مرابضها. وأوطنت الأرض، ووطنتها توطيئاً، واستوطنتها؛ أي: اتخذتها وطناً، والموطن المشهد من مشاهد الحرب. قال تعالى: (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) (٤). قال طرفة:

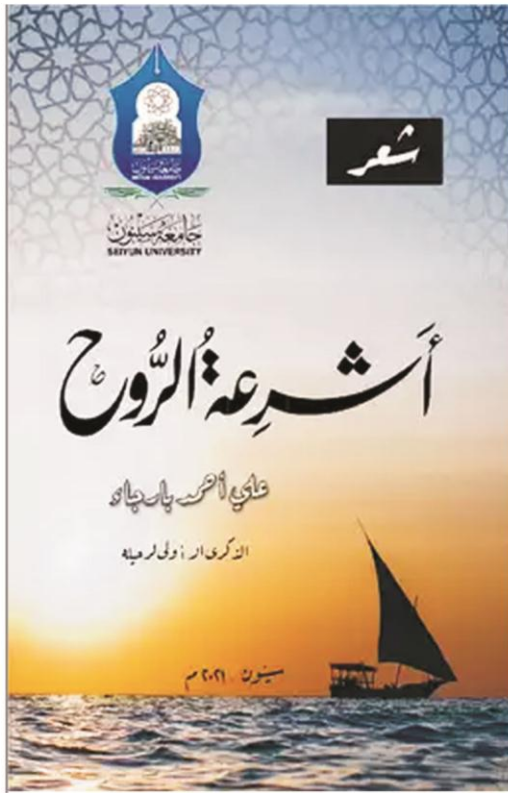
متى تعترك فيه الفوارس ترعد

على موطن يخشى الفتى عند الردى" (٥).

الإمارات) في أبو ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، عام ٢٠٠٠م، بقصيدة (نبضٌ تحاول صوغه الأفكار).

لقد كان للشاعر بارجا عددٌ من المشاركات في الميادين الأكاديمية والثقافية والنقدية؛ إذ قدم عدداً من المحاضرات الأدبية في منتدى الأربعاء لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين بدار الأديب علي أحمد باكثير، وفي مجال الشعر شاعراً وناقداً فذاً شارك في عدد من الملتقيات الشعرية، منها ملتقى الشعراء الشباب العرب الأول: المنعقد في صنعاء ٢٠٠٤م، والثاني: المنعقد في صنعاء ٢٠٠٦م، ومهرجانات الأدب اليمني: الأول في صنعاء ١٩٩٧م، والثاني في صنعاء ٢٠٠١م، والثالث في المكلا ٢٠٠٤م، والرابع في عدن ٢٠٠٦م، التي تنظمها الأمانة العامة لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، كما شارك في يوم الأديب اليمني المنعقد في عدن ٢٠٠٧م، وشارك في لجنة تحكيم مسابقة (شاعر القطن) في دورتين، الأولى عام ٢٠٠٧م، والثانية ٢٠٠٨م، وشارك في عددٍ من المحافل الدولية، منها المشاركة في الأسبوع اليمني في العاصمة الجزائر أثناء فعاليات الجزائر عاصمة للثقافة العربية في فبراير ٢٠٠٧م.

ويشير الأديب محمد القعود إلى مسيرة الشاعر بارجا قائلاً: "تميّزت مسيرته الأدبية والعلمية بالعطاء الثقافي والإبداعي المثمر والمبهر، المتعدد الجوانب، والتي توضح مدى قدرات ومواهب وإمكانات الأديب والمبدع والمثقف والشاعر والباحث الأكاديمي ومنجزه الأدبي والثقافي" (٣). فقد ألف بارجا أربعة دواوين شعرية، (رواء)، و(أشرعة الروح)، و(ردنجمي في سماك)، و(العش الصغير)، وستة كتب أخرى هي (الدّان الحضرمي دراسة تاريخية وصفية) و(في تاريخ الأدب والتراث الشعبي دراسات وأبحاث)، و(الشاعر الحكيم أبو عامر)، و(من أدب النخلة)، و(المعجم الهادي إلى لهجة الوادي)، ورسالة ماجستير قدمها عن (الشعر العربي في المهجر الشرقي...).



وقيل: "الوطن: المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحلّه، والجمع أوطان، وطن بالمكان وأوطن: أقام، وأوطنه: اتخذهُ وطنًا. يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا؛ أي اتخذها محلًا ومسكنًا يقيم فيها"^(٦).

أما الوطن اصطلاحًا: "هو البلد الذي تسكنه أمةٌ يشعر المرءُ بارتباطه بها وانتمائه إليها"^(٧). وهو "الأرض التي ولدت فيها، وترعرعت على كنفها، وعشت في خيراتها، وهو منزل الإقامة، والوطن الأصلي: هو مكان الذي ولد به الإنسان أو نشأ فيه"^(٨).

إنَّ الوطن رابط عريق، فله ماضيه وتراثه، وله حاضره ومستقبله، وله اتصال بالعقيدة والأرض والعادات والتقاليد، ووحدّة الفكر والشعور، جمع بينه أرض واحدة وأشكال متقاربة؛ كونهم بيئة واحدة، ظروف متشابهة، فيكون هدفه واحدًا...

يفتخر كل منهم بانتسابه لوطنه"^(٩)، وذلك مما جعل الإحساس بالانتماء إلى الوطن يتنامى تناميًا لحظيًا بشكل يجعل الإنسان بصورة عامة الشاعر خاصة يرتشف محبته، ويتنفس هواه، ويستشعر حضوره في حلّه وترحاله، ولعلَّ أصدق دليل على ذلك ما تفرزه تجربة البعد والغياب عن الوطن من إرهاصات نفسية، وتجاذبات شعورية تحت وطأة الظروف الاختيارية أو القسرية التعسفية؛ لأنَّ الشوق والحنين إلى الوطن متجذّر في النفس الإنسانية، مستقر في أعماق الذات، لا يوهنه الحدود والتقسيمات الجغرافية، ولا تقطع أحوال وطنه وأزماته، ألف مع حبه البكاء فرحًا أو شوقًا أو قهرًا، ومتى شفه الشوق إليه شكّا.

وقد عرّف الشاعر علي أحمد بارجاء بحنينه إلى وطنه، وانتمائه إلى أرضه، وتشبّهه بهذه الأول، ومرابع صباه، ومستودع ذكرياته، فكان الوطن نُصْبَ عينيه وشُغْلَهُ الشَّاعِلِ، يَرجو أن يَرنو إلى العُليا؛ ويرجع ذلك إلى أن أرض اليمن السعيدة تقاسي الحروب والحوادث والأزمات التي شهدتها، فكانت مهمة الشاعر في ذلك كُلِّه حمل القلم، وإطلاق الصوت لإيصال رسالته عن طريق الشعر بأساليب فنية تكتنز بالجمال، غير متوانٍ في بث النصّح والإرشاد، ورفع الهمم من أجل

الارتقاء بالوطن، مشعلًا به شمعة التنوير في وجه العدو الداخل المتمثل بالظالم والتهميش لأبناء الوطن، أو الخطر الخارجي وما يبيته من سموم الفرقة والشتات والوهن.

إنَّ القصيدة عند بارجاء لم تعد فعلًا كتابيًا تشكله الأحرف الأبجدية؛ بل غدت وطنًا يسكنه، وقصيدة تسكن الشاعر، هذه المساكنة أنجبت وطنًا يوتوبيا هو وطن القصيدة الذي يتمثله الشاعر ويطمح للعيش فيه، ومدمنًا في ممارسة معانيه.

المضامين الوطنية في شعر علي بارجاء:

حب اليمن:

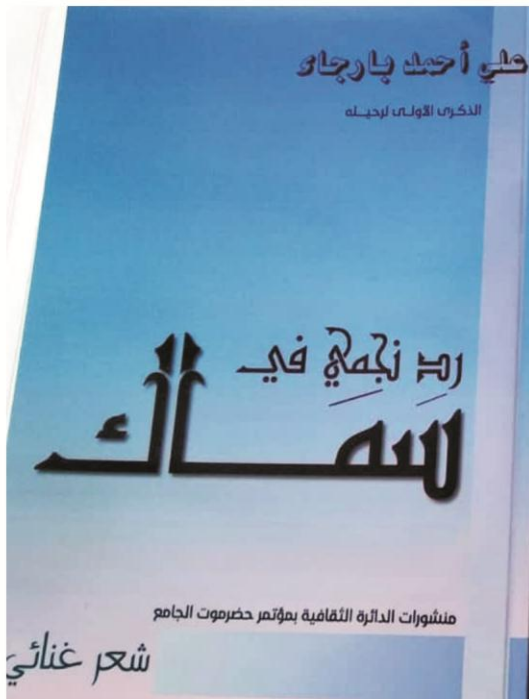
الوطن هو التراب الذي يأنس به الإنسان، وتطمئن فيه جوارحه، فهو قلبه النابض، والحن الذي يزين أنشودة حياته، ينسب إليه كما ينسب لأبيه وأمه، وحب الوطن جوهره مكونة في صدور الصادقين، وليس هتافات في حناجر المتملّقين.

نظم الشاعر علي بارجاء في حب وطنه، وترنم به في أبيات قصائده، وقد سعى لإبراز هذا الحب الجامح في شعره، وإظهار عاطفته ومشاعره بنبرة شعرية تشع حرارة وحبًا،



وفي نص آخر نجد الشاعر في يعبر عن حب صادق مغروس في قلبه يعكس ارتباطاً عاطفياً عميقاً بالوطن قد نما منذ أن وطئ ثراه ليكون ملاذه الآمن والدافئ، يكبر وينمو بهذا الحب الذي يغذي أحلامه وآماله بوطن سعيد مجيد، فيقول (١٣):

"أيها الوطن السعيد
لا شيء أجمل منك يا وطني
أنت الذي الذي استقبلتني في ساعة الميلاد
حضناً دافئاً
وعلى ترابك كنت أكبر كل يوم
تكبر الكلمات في جملي
وتكبر أنت في أُملي
وتكبر في أكبر فيك مُد جاء المعلم ذات درس
حاملاً علماً
ودون أحرفاً في اللوح
قال لنا: انطقوا.. وطن
وقال لنا: اكتبوا.. وطن
وقال لنا: انشدوا.. وطن
وكان نشيدنا لك موعداً لمحبة لا تنتهي".



فنجده يتغزل باليمن كما يتغزل الفتى الولهان بمحبوته الفاتنة، من أجلها يُحبرُ شعراً يملأ الدُني بنغمه المرفه وإيقاعه الرنان، يتغلغل من فؤاد عاشق لوطن شائق، ارتوى من خيرهِ، وأينع حتى بلغ به التعلُّق حد الهيام، فيقول (١٠):

لك يا بلادي أكتب الأشعارا وأذيعها في العالمين جهارا
لا أستحي إن قلت فيك قصيدي حاشاي أن أبدي لك الإنكارا
أنت التي أنبتني غصن محبتي ورويته وملأته أثمارا
أسرفت فيك محبة وجعلتها حكرًا عليك ومذهباً وشعارا
وجعلت حبك عادة لا تنتهي كالشرب لم تترك لدي خيارا
لا تستقيم قصيدي إن لم تكن تلك القصيدة تُذهل الأحجارا
إن لم تكوني فالقصيدة فلتكن أنت القصيدة محتوى وإطارا
يعبر الشاعر في هذه النص الذي عنوانه بـ "أنت القصيدة" عن إحساس صادق بمحبة الوطن، فلم يكن هذا الهيام نابعاً إلا من نفس وطنية عاشقة لليمن السعيد عشقاً أبدياً لا ينتهي ولا يضمحل؛ ذلك أن حبه يفضل عن كل حب آخر، كالماء لا يعدله سواه أهمية عند الإنسان، وأنه هو وحده المتن والعتبة، التي تتشكل منه قصيدته الشعرية وتشع به رونقها، ويلاحظ أن هذه القصيدة اتسمت بوحدة الفكرة وحرارة العاطفة وقوتها، وتميزت بجرس موسيقي، وخاتمة نصية تمثل قاعدة القصيدة؛ لكونها محكمة لا يأتي بعده أحسن منه (١١).

وفي قصيدة أخرى يتبدى محملاً بالتحايا والحب الخالص الحالم بأن ينعم وطنه بالأمن والاستقرار، وتضمّد أوجاعه وجراحه ويكتسي بالهناء والرّخاء، فيقول (١٢):

"وطني الحبيب

تحية

كن هادئاً

كن هائئاً

البس رداء العافية

لك من أحبابي السلام

ولك السلام وخالص الإخلاص مني".

"زمني أثقلته التجاعيد

و الراحلون على متنه متعبون

زمني كان لحنًا تردده الأوردة

زمني اليوم منحدر

زمني يتصحر".

فالتأمل في القصيدة يخلص إلى أن زمان القصيدة غير منفصل عن مكانها أو ما يسمى "الزمان" ف"هيمنة الزمن مكانًا غائبًا حاضرًا ممتد يمثل مسرحًا لهذه الأحداث كلها هذا المكان هو: الوطن، حتى ليصح دلاليًا استبدال كلمة زمني بكلمة وطني"^(١٦)، فالشاعر يحن إلى زمن/ وطن جميل لطالما لهجت به القلوب مُردَّةً حبه ومجدة، أضحي يهوي إلى ذبول ووهن، فذات الشاعر تحن لماضي الوطن في حرقه وإعياء، فيقول^(١٧):

"زمني:

هل تعود كما شاء طفلي

مورقا وبهيا؟

العصافير عند مداخل فجرك

تنتظر الأغنيات".

وفي نص آخر بعنوان (في الريف) يُستشف حنينها من خلال سرد ذكرياته الجميلة التي احتضنها ثراء وطنه:

كالفرشات لعبنا وشدونا كالبلابل

وجرينا جريان الماء عذبا في الجداول

ورقصنا وإبتهجننا كعصافير الخمائل

وظللنا في صفاء نعقد العشق جدائل

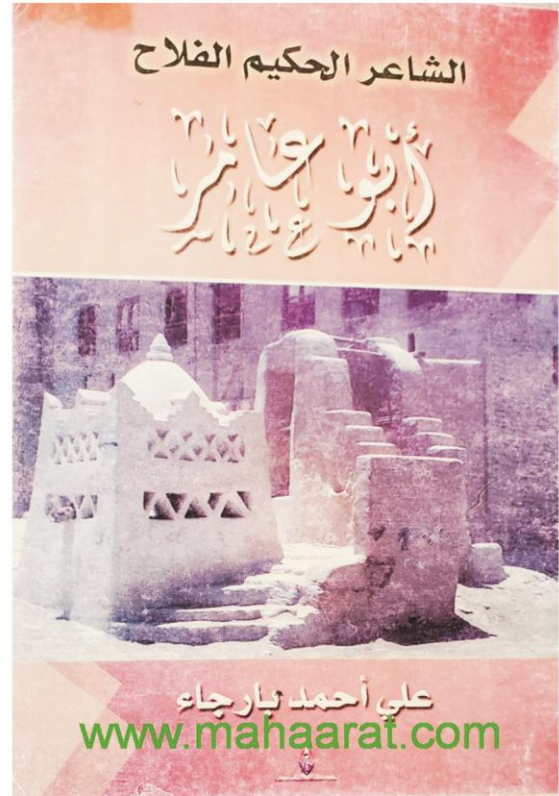
قبلتنا الدوح وجداً واستضافتنا السنابل"^(١٨)

يتبدى الحنين إلى المكان الذي حوى أيام الشباب والصغر والأوقات الجميلة التي مرت عليه في ثراء الريف، الذي هو أجمل بقاع الوطن، وأكثر البواعث الطبيعية المعينة لقول الشعر، فنرى الشاعر يحن إلى الأمكنة وذكريات الصبا المفرحة المفعمة بالحب والغرام وتساقى الود في حقول

هذا الحب الفطري الجميل والصادق في ألفاظ الشاعر واضح وجلي، فهو يترنم باسم الوطن الموجود في وجدان كل أبناء الوطن المخلص والوفي، فهو أول ما نطقت به شفاههم، وخطت به أقدامهم، وصدحت حناجرهم بنشيده حباً لا يفنى ولا يتزعزع، هذا الحب الذي شكل جذوراً لإبداعه الشعري؛ إذ تعلق الشاعر العاطفي والفكري بوطنه، يسهم في إثراء قصائده بالمعاني العميقة والصورة الجميلة الصادقة.

الحنين إلى اليمن:

إن موضوع الحنين إلى الوطن من القضايا التي زخر بها الشعر العربي ف"منذ القدم ارتبط الشوق والحنين بالوطن، فصار الحنين إلى الأوطان شائعاً في كل العصور، سواء للوطن والقبيلة أم الشعب والأمة الكبيرة، وسواء أكان مسقط رأسه أم لم يكن، فالحنين إلى الأوطان انتماء وولاء وحب"^(١٤)، فلا شتيق للوطن والحنين إليه من أكبر العوامل التي تسهم في تأجيج قريحة الشاعر، فيهلل لسانه بفيض من المشاعر والأحاسيس، تتوشح بعاطفة وجدانية صادقة، ويجسد علي بار جاء ذلك في قصيدة له بعنوان (زمني لست أنت)، فيقول^(١٥):





"مذ غادرت قدماي هذي الأرض

لم أفرح كهذا اليوم

لم تفرح؟!

وإن حاولت داهمني شعور بالبكاء

الحزن

والملل الرهيب

أذكر قريني" (٢١).

ما برح الحنين إلى الوطن يضني الشاعر فلا يتراءى له فرح، معشش في حنايا الأسى والحزن، كل ما تسعفه الذاكرة من صور هي انعكاسات لوطنه وساكنيه، سرعان ما تحيله على البكاء، وهكذا؛ فالغربة والحنين من المثيرات النفسية التي تثير كوامن الإنسان الداخلية، فبعد الشاعر عن وطنه وإحساسه بمعامانة بني جلدته يحرك قريحته الشعرية، وهذا ظاهر جلي في دواخل النص.

الفخر باليمن وشعبه:

لاشك في أن أمجاد الوطن وإرثه وما سطر أبنائه من منجزات تثير لدى الشاعر مبعث الفخر والاعتزاز بوطنه وساكنيه، فينسج فيه أجمل القصائد التي تنبعث من حب وإكبار وإجلال لملاذه ومبعث فخره، فيقف في نص له بعنوان (اخضرار الزمن) مفاخرأً بوحدة الوطن وتلاحم أبنائه الذين ضربوا أنموذجاً للتكاتف والوئام ووحدة الصف، مفاخرأً بأبناء وطن العلم والإيمان والحكمة، أهل الخشوع ورقة القلب والانقياد في الحق:

كل من حلَّ في السعيدة خلَّ لأخيه حاشا يكونون خلاً

فهمُ أهل حكمة وقلوب رقيقة أنى يحطون رحلا

إن أبناء حجة اليوم في شوق للقاء إخوانهم في المكلا

والمقيمون في المخالا يطيقون بعباداً عن أهلهم في المعلا

هكذا ظل دأب أبناء قومي لايزالون أقباء وأهلاً (٢٢)

استحضر الشاعر من خلال أحد الأبيات "فهم أهل وقلوب

وطنه، واللحظات السعيدة التي أمضاها مع محبوبته في تناغم ووثام متبادل، فيقول (١٩):

كان قلبي لحبيبي كُلمًا كلَّ وسادة

كنت أسقيه ودادي وهو يسقيني فؤاده

وكان الحقل صدر فوّه نحن القلادة

قال لي وهو يوارى في حياء ما أراده:

ألنا في الحب أشبا هُفتي صبَّ وغاده؟

قلت كلا يا حبيبي فلنا نحن الريادة

ضمير الشاعر ضمير الشعب والإنسان اليمني ينصهر في الفنان، وهكذا يبدو الشاعر بارجاء جزءاً من واقعة، واقع اليمني الذي أثقلته الغربة الطويلة عن وطنه بالحنين والشوق والألم، فيصور تلك المأساة في نص له بعنوان (محاولات لالتماس التوبة)، فيقول (٢٠):

"عاد إلى وطنه بعد غياب طويل استقبله

أخوه في المدينة عاداً إلى قريتهما وعندما أطلا

على القرية وقفا دار بينهما هذا الحوار:

ما هذه الأصوات؟

هذي زغردات!

ما الأمر؟ عرس ها هنا!

أم عاد مغترب إلى أطفاله بعد الشتات؟

أم أن أمّا حاملاً وضعت؟"

يستهل الشاعر قصيدته بعبئة نصية تتمثل في تصدير ذاتي قبل الولوج إلى متن القصيدة بفقرة تعكس دلالات واقع مرير متكرر (عاد إلى وطنه، غياب طويل) ما أكثر مشاهد العائدين من وجد الحنين في هذا الوطن، وما أطول الغياب عنه، مشهد متكرر في حياة اليمني يبدأ بزغردات تعلقو في (العودة/ الميلاد، العرس) ويختم بالبكاء والألم متمثل في (الغياب، الموت، الفراق)، مشهد يخيم عليه الحنين والوجد، ما يكاد ينفك عن ساكني هذا الوطن المصلوب.

رقيقة... الحديث الشريف وذلك مما جاء في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة، الإيمان يمان، الفقه يمان، والحكمة يمانية" (٢٣)، إذ أضفى الشاعر على البيت المعنى نفسه الذي يحمله الحديث، مشكلاً تعالقاً وتفاعلاً مع الحديث على مستوى الدلالة، فاختيار المرجعية الدينية زاد من بلاغة القصد وتأكيده، الذي يصبو إليه الشاعر، وهو شدة حبه واعتزازه وفخره باليمن وأهله. وفي قصيدة له بعنوان (الصابرون) يكرر فخره بصبر وثبات أبناء وطنه الذين طالت بهم الآلام والأحزان حتى أضحت سمة طبعت حياتهم القاسية، لكنهم مع ذلك شعبٌ تحمّل الظروف الصعبة من أزمات وحروب ودمار واغتراب وتشريد وفقر... شعبٌ متسلح بالآمال والطموحات دك بها صخور التحديات متسلحاً بمفتاح الصبر، فيقول (٢٤):

"آمالنا تُنبِتُ في الصَّحارى

لأنها لا تعرف المطر

أحلامنا تزور في الهجير

لأنها لا تعشق القمر

أحزاننا الكثيرة الكبيرة

تطول في حياتنا

لأننا بشر

لكننا في قُوَّةٍ احتمالنا

نعلم الحجر

وسوف تبقى أمةٌ فقيرة

لأننا...

أعظم من صَبَر!!!".

في نص له بعنوان (شموخ)، يقف مفتخراً بشجاعة وقوة شعبه، إذ يحيل عنوان النص من الوهلة الأولى بفخر الذات بشيء جليل في القلب وأي شيء أعز على الإنسان من وطنه وشعبه الأبي، ليصيف فيه أبيات مرصعة بالدرر، لشعب سطر

ملاحم البطولات منذ القدم، فهم أهل الحرب والكر إذا ما دعا داعي الفداء لبوا النداء، فلصانعي الأمجاد لأبناء ذي يزن تُسرج الصافنات الجياد، ولمثلهم يقف المجد احتراماً، فيقول (٢٥):

عرف الحصان طريقه فتقدما ومضى إلى العليا يريد الأنجما يعدو كأن الريح بعض صهيله قد ألهم النبل المضي وعلمنا من يعتلي ظهر الحصان فإن يرقى، فما عثر الحصان وأحجما إن الحصان إلى الحصانة توأم فكلاهما حصن يظل محرما إلا على الفرسان من أبناء ذي يزن يكون إلى المعالي سلما أو ما أريت شموخه فكأن في هيبته يلقي التحية للسماء أو أنه وقف احتراماً عندما جئنا إليه محييا ومكرما ويقول بالأحضان يا من جئتموا الشوق في القلب المحب تضرما هذي السروج تخيروا صهواته وامضوا فإن الخير ثمة قدنما

الواقع والمستقبل:

إن قضية واقع الوطن ومستقبله من القضايا التي اعتنى الشاعر العربي بالتعبير عنها من وقع مشاعر جياشة، سواء كانت هذه المشاعر فرحاً أو أسى أو حزنًا أو حنينًا، فيكون بذلك شعره مرآة للواقع الذي يعيش فيه تعكس التأثير والتأثير والانفعال والتحوير، غير أنها لا تقف عنده بل تتجاوزه لاستشراف الآتي وتصور القادم.

إن علاقة الإنسان بواقعه علاقة لصيقة منذ وجوده في هذه الحياة، تتشكل من وقع التأثير التي تتجسد في مواقفه ولغته وتصوراته، وتكريم الله للإنسان بالعقل إنما ليتفكر في حاله وواقعه ووجوده؛ حتى يقوم بفهم واقعه، وهو الدور الجليل الذي يقوم به الشاعر النبيل، يفتش عن قيمة واقعه، باعثاً فهم الحاضر واستشراف المستقبل، والشاعر بار جاء في مسيرته الشعرية ما يبرح يلامس واقعه، ملتزماً برسالة الأدب وماتحملة من خير وقيم وجمال؛ ففي تجربته الشعرية تتكشف خيوط انغماس الشاعر في تأمل واقعه وتفحصه.



لم تنزع براقعها العتيقة
لم يعانقها الرحيل إلى الشواطئ
هذي قرية مأثومة بالحب".

وفي نص بعنوان "شكوى" يبيث شكواه الحزينة من راهن
وطنه إليه، يتلو حزن الأطفال الذي عاشوا بين روابيه، يلهج
بشقاء أحلامهم التي وثدت في أعياد ميلادهم، يستعطفه ببؤس
الأنقياء المخلصين الذين يضمّدون جراحه؛ فيقول (٢٨):

"أستميحك يا وطني العذر

كي أتلو الحزن بين يديك

هي شكواي ذات طفولة

و شكوى صغاري ورفقتهم كل يوم

لم لا تستضيف العصفير من أجلنا؟

لم لا تجعل البدر في عيد ميلادنا من هداياك

نحن أيضا رعاياك

ولسنا من الأشقياء

اغتنم لحظة الطهر فينا

لأننا سندعو لك الله يا موطني بالشفا".

يعري بارجاء خبايا هذا الواقع الذي يتفوق خلف الصمت
المطبق، واقع يضج بأنين وأسى، أضحى ألم الغياب والغربة
سمة له، تلك الغربة التي أرهقت كاهل هذا الشعب، الغربة التي
سحت دموع الانتظار من مرارتها ومزقت قلوب المنتظرين
على الشرفات الغياب، راهن كابد الراكدون فيه الجوع والعري
والفاقة، راهن يقتض بها هذا المجتمع الكسيح الذي همّش
فيه المخلصون لقضية الوطن وحلمه، فيقول (٢٩):

"أضع صمت البشر

خذ كل شيء لديك

وفتش خبايا الأنين الندي

بكاء الأزقة

والطرق العابسات

إن من يقرأ شعر بارجاء يجده طافحاً بالهم الوطني فقد
ملئ وعجن، فجئح إلى وضع الواقع السيئ على سفود رفضه
وفضح مساوئه، يتسارع إليه ضجيج الأنين والتوجع كلما
غابت شمس الخلاص عن وطنه، وحلّ الظلام القاتم، كل ما
أوقدت شموع للأمل في هذا الوطن، وأشرقت الأحلام في
المآقي ثمة من يجفّفها في مهدها، ويبقى الشاعر هو الذات
المسافرة في أرجاء الوطن العاشق لسلمى / للوطن في قلق
وأسى، يتهجّاه أحرفاً ويستنطقه واقعاً ويرنو إليه أملاً حيناً
ومستحيلاً حيناً آخر، فيقول (٢٦):

"للبيادر عشق السنابل

ولسلى انتظار النهار على الشرفات التي أعتمتها

البكارة

بين سلمى وبين العبور إلى الوشوشات

يتمطى الشتات

كم أضاءت يداها القناديل

كم جففتها المناديل

كم فراشات احترقت

ولسلى احتراق الثواني".

ومن بين النماذج التي برز فيها موقفه من الواقع، ما يظهر
في نص (خبايا المدينة) التي يسترجع فيها بعض المظاهر الواقعية
من راهنه، حيث يتجلى موقفه الساخط من حال وطنه الموحش
الذي أوصد على الأحلام شرفات الفجر، مستنكراً حال هذا
الواقع الذي لم يزل جائحاً في جراحه ومآسيه لم يعانق الأمل
الذي يصبو إليه، قائلاً (٢٧):

"وهل في قريتي حضن وأنداء وأيد ناعمات؟

وهل في قريتي دفء كعاطفتي؟

هذي القرية المهزولة الأحلام

مذ غادرتها ذات صباح

لم تزل عذراء



والعيون المقيمة خلف النوافذ

فتش هنا وهناك

عن مقل لا ترى النور إلا إذا استسلمت للنعاس

فتش عن امرأة تحترق النار في كحل أهدابها

عن طفلة مزقتها أناملها

عن رجل هشمته المدينة

واحترق الحلم بين أصابعه

منذ همشه المدعون".

وييدي الشاعر نموذجاً من واقعة القبلي، الذي تتجلى فيه ظاهرة حمل السلاح والاحتكام، الذي يعد أول منابع تفشي الثارات والقتل، التي تحيل على الفرقة والشتات والتخلف عن ركب الدولة المدنية الحديثة، غير مكثف بتعرية هذا الواقع، معرّجاً في الوقت نفسه على فضح تجاوزاتها، التي جاءت بصيغة ساخرة تهكّمية، وفي الوقت ذاته ناقمة ممّا آل إليه هذا الواقع، مبرزاً الشاعر في ذلك موقفه تجاه تجليات هذا الواقع المنبعث من رؤية تنرنو إلى مستقبل جديد متحضر، متخذاً من العلم والمعرفة ونبد العادات السلبية سلماً لبلوغ ذلك، فيقول (٣٠):

واحمل سلاحك حيث سرت فإنه يكسو الرجال مهابة ووقارا
لا أستحي إن قلت فيك قصيدتي فافعل لكيما تلفت الأنظارا
سر وارف الرأس الفقيرة شامخا لو كنت بين السائرين حمارا
من سار بين الناس وهو مسلح فتحوا الطريق أمامه إثارا
ودعوا له بالنصر في غزواته هزءاً به وب عقله استصغارا
كيف السبيل إلى التقدّم ياترى؟ والجهل ييني في السبيل جدارا
بالعلم والأقلام لا بسلاحنا نمضي إلى ما نبغيه كبارا
بالعلم والأقلام لا برصاصنا نبني البلاد ونبدأ الإعمارا
يكفي التشاحن إننا في حاجة للسلم فاجنح واترك الإصرارا
ودع التخلف إنه مأساتنا واركب إلى العصر الجديد قطارا
وفي نموذج آخر من نماذج هذا الواقع تشكل قصيدة (متسول)

في الإطار ذاته، تطفح بحرارة الألم الذي يسكن الشاعر الإنساني من مرارة ما يرى، يتشبع النص بالأسى عبر تكرار تقنية الاستفهام، حيث يحيل في ذلك على ظاهرة راهنة، ألا وهي التسوّل، ظاهرة اجتماعية مؤلمة، أفرزها واقعٌ عجَز منظومة الدولة وتدهورها الاقتصادي:

"هل جعت مثلي أو ظمئت زمانا؟

هل بت ليلا في الشتا عريانا؟

أو هل أقمت على الطريق ولم تجد

داراً ولا أهلاً ولا اطمئنانا؟

هل خضت تجربتي وحيدا صابرا

وحرمت مثلي مذ ولدت حنانا؟" (٣١).

لم تقف اللوعة على الوطن والخوف عليه عند حد الأنين والتوجع، بل تجاوزته إلى رفض الواقع والصمت المطبق، الذي يعضده الحلم بالخروج بالوطن إلى العلأ والرفعة، والهروب به إلى عالم السمو والرقى، شاحداً همم الأحرار من أبناء وطنه لذلك، فيقول (٣٢):

إذا لم يزدهر كالعشب فينا ويحمل توقنا للفجر بشري
وإلا فالسكوت بنا حريٌّ وهل جعل السكوت المرء حرا

بارجاء شاعرٍ من الشعراء الذين ولدوا وولد معهم الرفض لكل ما ينافي القيم الإسلامية والوطنية، ناشداً بعثاً جديداً في نفوس اليمنيين من خلال تغيير وعيهم، من خلال رفض الواقع والنأي عن سلبياته الاجتماعية والسياسة، والتطلّع لغد يزف الأمان والأحلام، ينفذ غياهب الكبت والعتمة:

"والمدى الرحب فضاء مترع

لأمان مشرقات كالنهار

والرؤى تنفض عن أنفاسها

تعباهم على الرمل و غار

إنها أشرعة الروح إلى

سفر الحلم إلى جوف المحار" (٣٣).



جاءكم شاهرا عشقه".

ينثر القبلات

ويأخذ من بئر أوجاعكم مومياء الشتات

الزمان الجديد يكلمه غصن بُن

تظلمه نخلة في مخاض الولادة".

- الخاتمة:

نقف في ختام هذا الدراسة على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من منطلق الأهداف التي طرحها، تلخص فيما يأتي:

• مثل الوطن قيمة عليا في نفس الشاعر علي أحمد بارجاء، وظهر جلياً في شعره، وهو نابع من من قلب شاعر يكن لوطنه الحب والولاء، وصادق الانتماء.

• حظي الوطن باهتمام كبير من لدن الشاعر، واحتل مساحة واسعة ومهمة في دواوينه.

• سعى الشاعر لإبراز هذا الحب الجامح في شعره، وإظهار عاطفته ومشاعره بنبرة شعرية تشع حرارة وجباً.

• نسج الشاعر أجمل القصائد في الحنين للوطن، الذي يتبدى فيه الشاعر جزءاً من واقعة، واقع اليميني الذي أثقلته الغربة الطويلة عن وطنه بالحنين والشوق والألم.

• أبرز فخر الشاعر بوطنه ملامح الوطن وسماته؛ حيث الفخر بوحدته وتلاحم أبنائه وصبرهم وحكمتهم، فكان الفخر محققاً لتلك المعاني الوطنية في شعر بارجاء.

• لم تقف لوعة الشاعر على الوطن والخوف عليه عند حد الأئين والتوجع بل تجاوزته إلى تعرية الواقع ورفضه والحلم بمستقبل جميل، في استقراء للواقع بوحي ترفده خبرة تمتع من المعطيات التاريخية والدينية تصهرها الذات الشاعرة في بوتقة من الرؤيا الجمالية والفكرية الراضية والساخطة، بما يبعث في الحدث لحظة شعرية انقذ فيها لهب الحلم وروح الاستشراف الرؤية الحاملة بمستقبل يشع بالألم.

والتطلع إلى مستقبل أجمل مرتبط عند الشاعر بالمرجعية الدينية، التي تتجلى من خلال قصيدته (عندما تكلم الرسول)، فكأنه بذلك يعلن أن ميلاد الفجر الجديد للوطن المصلوب في الظلمة، إنما يكون بالتمسك بما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - من هدي قويم يمثل الأمل لانتزاع جذور الظلام والضلال لهذا الواقع، والنهوض لرسم المستقبل، فيقول (٣٤):

"اقرأ الآن بعضاً من النور

كيما تعلمهم

السماوات حبلى بما يكسر المحتمل

وإذا النفس قد يئست من حياة

ففي النور كل الأمل"

وفي نص (عودة الزمن السبئي) نرى الشاعر يلوح بفجر جديد لهذا الوطن قد اقترب، فشمسه في مخاض البزوغ، لا تنير إلا طريقاً واحداً يمتطيه المخلصون لهذا الوطن، لتجاوز الواقع الراهن إلى مستقبل أجمل للخلاص، مستحضراً شخصية الملكة بلقيس وسيف بن ذي يزن، وذلك من خلال إسقاط خصوصيتهما الدلالية كشخصيات يمنية على واقع مأمول ومنتظر، فيقول (٣٥):

"السبل الموصلات إلى الليل مغلقة

لا سبيل إلى السير عكس اتجاه النهار

ها هنا الفجر يمنحكم طهره

وهنا الصبح يهديكم شمس المشرق

أيها المخلصون

الزمان لكم

المكان لكم

الجنين الذي حملته أمانيكم

شب في حضن بلقيس

وارتضع البأس من سيف ذي يزن

كلاكي المحار

الهوامش:

- (١) الجاحظ، عمرو بن بحر، مراجعة: الجزائري، طاهر، الحنين إلى الأوطان، ١١.
- (٢) ينظر: فتح الباب، حسن، الحنين إلى الوطن في تراثنا الشعري، ٩.
- (٣) ينظر: القعود، محمد، مقال ضمن كتاب: فقيد الأدب والثقافة علي أحمد بارجاء، ١٠١.
- (٤) سورة التوبة: آية ٢٥.
- (٥) الجواهري، أبو نصر إسماعيل، الصحاح، دار الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، ١٢٥٤.
- (٦) ابن منظور، لسان العرب، ٤٨٦٨.
- (٧) بدوي، أحمد زكي، معجم المصطلحات السياسية والدولية، ٩٣.
- (٨) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ٥٨٠ / ٢.
- (٩) ينظر: العطوي، مسعد عيد، أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية، ٣٠٧.
- (١٠) بارجاء، علي أحمد، ديوان أشعة الروح، ٧٦.
- (١١) ينظر: ابن رشد القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ١ / ٢٣٩.
- (١٢) بارجاء، علي أحمد، ديوان رواء، ٥٤-٥٥.
- (١٣) المصدر السابق: ٥٥.
- (١٤) ينظر: الجبوري، يحيى، الحنين والغربة في الشعر العربي، ١٠.
- (١٥) بارجاء، علي أحمد، ديوان رواء، ٢٥.
- (١٦) ينظر: عبيدون، أحمد سعيد، أشكال الزمن ودلالاتها في لفة قصيدة بارجاء (زمني لست أنت)، ٥٦.
- (١٧) بارجاء، علي أحمد، ديوان رواء، ٢٨.
- (١٨) بارجاء، علي أحمد، ديوان أشعة الروح، ٣٧.
- (١٩) المرجع السابق: ٤٠.
- (٢٠) بارجاء، علي أحمد، ديوان رواء، ٥٨.
- (٢١) المرجع السابق: ٥٨-٥٩.
- (٢٢) بارجاء، علي أحمد، ديوان أشعة الروح، ٢٨-٢٩.
- (٢٣) العسقلاني، أحمد بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٥ / ١٧٣.
- (٢٤) بارجاء، علي أحمد، ديوان رواء، ٧١.
- (٢٥) بارجاء، علي أحمد، ديوان أشعة الروح، ٤١-٤٢.
- (٢٦) بارجاء، علي أحمد، ديوان رواء، ٣٤.
- (٢٧) المرجع السابق: ٦١.
- (٢٨) المرجع السابق: ٦٦.
- (٢٩) المرجع السابق: ٤٦.
- (٣٠) بارجاء، علي أحمد، ديوان أشعة الروح، ٤٨-٤٩.
- (٣١) بارجاء، علي أحمد، ديوان رواء، ٥١.

(٣٢) بارجاء، علي أحمد، ديوان أشعة الروح، ٤٢.

(٣٣) بارجاء، علي أحمد، ديوان رواء، ١٧.

(٣٤) المرجع السابق: ١٤.

(٣٥) المرجع السابق: ١٩.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن رشد القيرواني، تحقيق: هنداي، عبد الحميد، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده المكتبة العصرية، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.
- ابن منظور، تحقيق: الكبير، عبد الله وحسب الله، محمد، والشاذلي، هاشم، لسان العرب، دار المعارف للنشر، القاهرة، ١٩٨٠م.
- بارجاء، علي أحمد، ديوان أشعة الروح، ط١، جامعة سيئون، حضرموت، اليمن، ٢٠٢١م.
- بارجاء، علي أحمد، ديوان رواء، ط١، مركز عبادي للدراسات والنشر، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، ٢٠٠٤م.
- بوي، أحمد زكي، معجم المصطلحات السياسية والدولية، ط١، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٩٠م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، مراجعة: الجزائري، طاهر، الحنين إلى الأوطان، مؤسسة هنداي، ٢٠٢١م.
- الجبوري، يحيى، الحنين والغربة في الشعر العربي، ط١، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٨م.
- الجواهري، أبو نصر إسماعيل، راجعه: تامر، محمد والشامي، أنس وجابر، زكريا، الصحاح، دار الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٩٤م.
- العسقلاني، أحمد بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- العطوي، مسعد عيد، أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية، ط١، دار التوبة، الرياض، ١٩٨٦م.
- القعود، محمد، مقال ضمن كتاب: فقيد الأدب والثقافة علي أحمد بارجاء، إصدارات الدائرة الثقافية بمؤتمر حضرموت الجامع، ٢٠٢١م.

المجلات:

- فتح الباب، حسن، الحنين إلى الوطن في تراثنا الشعري، مجلة الكويت العدد ٢٣، ١٩٨٤م.
- عبيدون، أحمد سعيد، أشكال الزمن ودلالاتها في لفة قصيدة بارجاء (زمني لست أنت)، المجلة العلمية لجامعة سيئون، اليمن، المجلد ٢، العدد ١، م، يونيو ٢٠٢١م، ص ٥٠-٦٤.



حضر موت، جنوب الجزيرة العربية

القبيلة والمجتمع في ظل التمدن (التحضر)

سيرجي نيكولايفيتش سيريبروف

الجزء الأول

في عام 1984 - 1991م وكجزء من مشروع البعثة السوفيتية اليمنية الشاملة أجرينا بحثاً ميدانياً عن التطور الاجتماعي لمحافظة حضر موت اليمنية. تم استخدام طرق مختلفة لجمع المعلومات، مثل المقابلات، واستبيان سكان المدن، والمحادثات مع السكان من خلال عدد من التنقلات في أودية حضر موت وهضابها. أحد المواضيع المميزة لأبحاثنا كانت قضية نزوح القبيلة (المصطلح المحلي للانتماء للقبيلة "قبيلي")، وفي رأينا أن هذا الموضوع يمكن أن يكون ذا أهمية علمية وعملية كبيرة؛ للتنبؤ بتطور مثل هذه المجتمعات.

الهيمنة القبلية). إن الفترات التاريخية للتطور الناجح للمجتمع نحو تشكيل دولة مركزية، في مثل هذه الحالات لم تؤد في نهاية المطاف إلى التغلب على الإرث القديم، بل على العكس من ذلك، فقد حقق هذا الإرث نجاحاً بدرجة أو بأخرى، وحال دون نضوج الدولة بالمعنى الكامل للكلمة، وبكل ما تحمله الدولة من سمات السلطات والهيئات الحاكمة.

تعد حضر موت مثلاً فريداً في هذا الصدد؛ ففي القرن الخامس والسادس تسببت الهجرات الجماعية والمتكررة للقبائل الحربية من داخل الصحاري العربية إلى مناطق "الجزيرة العربية السعيدة" بالإضرار بالوضع الاجتماعي والسياسي للمحافظة، لكنها لم تستطع تدمير الحضارة العليا لحضر موت، التي لها خبرة تمتد لأكثر من ألف عام لمثل هذه الأحداث. ربما من هنا يجب بدء العد نحو تشكيل نموذج التطور الحضري القادم. فبعد الكوارث المرتبطة بالهجرات القبلية، لم تكن أسلمة مجتمع حضر موت في القرن السابع مصحوبة حتى بتغيير جذري في النخب⁽²⁾.



ترجمة د. مراد محمد باعلوي

1. المجتمع الحضري في السياق التاريخي لعلاقات الجماعة القبلية

أشار ل. أي. ريزنر إلى الدور الأساسي لتوازن القوى للجماعة القبلية فيما يتعلق بطبيعة تطور المجتمع الشرقي بأكمله⁽¹⁾. على وجه الخصوص لفت الانتباه إلى تكرار التطور التاريخي في تلك المجتمعات التي يكون فيها تناسب القوى بين المجموعات العرقية الثقافية، والمُعبر عنها بمفاهيم الجماعة القبلية، يكون في حالة شبه توازن (أو ذو نزعة نحو

في القرن الخامس والسادس تسببت الهجرات الجماعية والمتكررة للقبائل الحربية من داخل الصحاري العربية إلى مناطق "الجزيرة العربية السعيدة" بالإضرار بالوضع الاجتماعي والسياسي للمحافظة، لكنها لم تستطع تدمير الحضارة العليا لحضرموت، التي لها خبرة تمتد لأكثر من ألف عام لمثل هذه الأحداث

وهناك سبب للاعتقاد بأن بعض عشائر المشائخ (من هنا جاء مصطلح "الشيخ" عضو العشيرة) اليوم في حضرموت هم أحفاد مباشرين لطبقة أرستقراطية محلية مثقفة من قبل الإسلام. إن الوصول من البصرة في القرن العاشر وترسيخ أحفاد النبي محمد (السادة) كنخبة أرستقراطية للمجتمع في القرنين الثاني عشر والثالث عشر كان حدثاً مهماً في التاريخ الاجتماعي لمحافظة حضرموت. وإلى يومنا هذا لم تهدأ نقاشات المؤرخون الحضارم ويضعون سؤالاً مفاده هل أسهم تشكيل الطبقة الأرستقراطية العلوية في شخص السادة في تعزيز موقف المجتمع في سياق مواجهة القبائل؟ كان نطاق الأدوار الاجتماعية للسادة واسعاً جداً بدءاً من الانغماس في عالم التصوف والنظر بالشمئزاز تجاه كل ما هو دنيوي، إلى التفوق المسلح في الحروب القبلية، وإنشاء مجموعاتهم المالية الخاصة بهم في الخارج. إن أهم محاولة حتى القرن الحالي لتحويل حضرموت إلى دولة على غرار النموذج "العثماني" كان قد قام بها سلطان حضرموت الكثيري الملقب ببدر بوطويق⁽³⁾ في القرن السادس عشر، لكنها باءت بفشل ذريع، وصاحب الفكرة إنهاء مسيرته السياسية الاستثنائية في سجن سيئون. وفي ثلاثينيات القرن العشرين وبمساعدة من المستشار البريطاني هارولد إنجرامس، الذي كتب حلقة في تاريخ حضرموت تحت مسمى "سلام إنجرامس"، وأصبح مؤلفاً لواحدة من أولى الدراسات الجادة عن حضرموت⁽⁴⁾، بدأت مرحلة الإصلاحات في اتجاه بناء الدولة، التي لم تكتمل، وانتهت بحلول انتصار حركة التحرير في أواخر الستينيات من القرن الماضي.

لا يزال المجتمع في حضرموت حتى وقت قريب يحتفظ بعدد من سمات النظام الطبقي الهرمي الطائفي⁽⁵⁾، والذي إلى وقت قريب أذهل المستشرقين الغربيين برموزه اللغوية المتميزة والفريدة من نوعها. رسم البروفسور ر.ب. سارجنت

من جامعة لندن في خطابه الباهر عام 1956م، رسم صورة رائعة للسيد في حضرموت، ووصفه بصفات عدة، كـ "محافظ، ولكن ليس متعصباً، يدرك جيداً أهمية التعليم، دائماً ما يكون زعيماً بطبيعته، قوياً في وعيه بحقه العالي بالفطرة"⁽⁶⁾.

إن المكانة الرفيعة للسيد أو الشيخ في المجتمع الحضرمي اقترنت بالاعتراف بالقوة العسكرية والسياسية والمكانة العالية للقبائل. وحق للقبائل استخدام كلمة "رفيقي" (هذه الكلمة تمنع الاستمرار أو عمل أي فعل أو حتى الحديث، تشبه كلمة "تجمّد" في لغتنا الروسية، عند نطقها بصيغة "أنت مرفوق" تجاه بعض أفراد المجتمع العاديين - "الضعفاء" واستخدمت كذلك في الفلكلور الشعري. إن غطرسة القبيلي تجاه "الضعفاء" العزل (كان حق حمل السلاح حكرًا على القبيلي) وقلة الحيلة من جانب الضعيف في الحفاظ على الشرف والكرامة كانت جزءاً من الحكايات المتكررة في حضرموت.

نجد في حضرموت ترسانة كاملة من التقاليد الثقافية، التي سمحت للمجتمع بالحفاظ على نوع من الاستقرار دون مشاركة الدولة في هذا الاستقرار، سواء في فترة السلم أو في أثناء الحروب، والتي تتجاوز بشكل كبير مدة فترات الهدوء السلمي.



إلى يومنا هذا لم تهدأ نقاشات المؤرخون الحضارم ويضعون سؤالاً مفاده هل أسهم تشكيل الطبقة الأرستقراطية العلوية في شخص السادة في تعزيز موقف المجتمع في سياق مواجهة القبائل؟ كان نطاق الأدوار الاجتماعية للسادة واسعاً جداً - بدءاً من الانغماس في عالم التصوف والنظر باشمئزاز تجاه كل ما هو دنيوي

وعلى مستوى العلاقات بين القبائل، كانت الوساطة تتم بعناية فائقة؛ لأن الحروب بين القبائل تسببت في الخراب والدمار والمعاناة في جميع أنحاء المحافظة. المقادمة هم زعماء القبيلة على كافة المستويات ويتقلدون زمام القضاء في الخلافات والصراعات بين أبناء القبائل. الحكم هو وسيطٌ مُحكّم معترف به (بتعبير أدق محكم) لمجموعة أو لأخرى من القبائل، ويكون قد برز من بين عدد من زعماء القبائل، ويتمتع بسلطة، وله مكانة بين القبائل المجاورة. ويُجري إجراءات التحكيم وفقاً للقانون العرفي. كذلك زعماء السادة والمشائخ من أصحاب النفوذ كانوا كذلك حكّاماً للقبائل، وكقاعدة عامة هم كانوا مناصب (أي قادة رسميين) للعشائر الأكثر تأثيراً في الطبقة الأرستقراطية. وحكموا المناصب على أساس الشريعة الإسلامية إذا تعرضت للضرر مصالح السكان، أو بالعرف إذا كان الأمر متعلقاً بالقبائل فقط. وكان السادة والمشائخ على معرفة ودراسة تامة بالقواعد الإسلامية والعرفية.

وعلى مستوى العلاقات داخل العشائر في أوساط السادة والمشائخ يكون إجراء الوساطة من قبل مجالس العشائر (النقابة)⁽⁹⁾ ورؤسائها المناصب. ويبلغ عدد بعض عشائر

إن القواعد السلوكية المتأصلة في طوائف حضرموت، والتي هي عبارة عن أداة قديمة للسيطرة الاجتماعية، لم تكن فعالة دائماً في التنبؤ بظهور صراعات قائمة على أساس الاختلافات بين الطبقات، فضلاً عن الاختلافات بين القبائل نفسها. ومع ذلك فإنها تحمل في طياتها عدداً من الخصائص الأساسية للمجتمع الحضرمي. ولا شك أن قاعدة الزواج المتوافق (الكفاءة) تعد إحدى هذه الخصائص. ويكون الانتماء الطبقي لطائفة ما فقط عن طريق اسم الأب، لكن لا يمكن للمرأة أن تصبح زوجة لشخص من أصل أدنى منها. لذلك فإن الغالبية العظمى من حالات الزواج في حضرموت تتم في داخل طبقة واحدة، وعادةً داخل العشيرة أو القبيلة. ومن بين المجموعات السكانية لا يزال البعض يفضل زواج أبناء العمومة. ومن علامات الانتماء لطبقة ما هي الملابس، والسلوك في الشارع وحتى الأسماء⁽⁸⁾. إن وجود الفواصل بين الطبقات في ظل النزاعات الداخلية القبلية غالباً ما تتسبب في حدوث صراعات، وفي هذه الحالات تتدخل عدد من مؤسسات الوساطة لحل مثل هذه النزاعات، مدنية كانت أو قبلية. سنقدم أدناه المرجعية التقليدية "التحكيم" الأكثر نموذجية في المجتمع الحضرمي.

على مستوى التجارة فإن "بضائع البدو" (مثل الماشية، وأغصان النخيل، والبخور، والفحم الخشبي، وغيرها) تكون الوساطة بين الجماعة القبلية وسكان البلدة عن طريق الدلل (الدلال) وهم مشاركون لا غنى عنهم في الأسواق الرئيسة لحضرموت. وعلى الرغم من أن الدلل كانوا يمثلون طبقة "الضعفاء" لكنهم منَحُوا الحق في حل الخلافات بين البدو الذين يُوجدون في المدينة خلال فترة الأسواق المتنقلة (البازار). وفي الماضي لم تتم أي بيعة دون مشاركة الدلل، لقد كان الدلل يتمتعون بثقة البدو، وكانوا يعرفون عاداتهم وأخلاقهم واستخدموا هذه المعرفة بمهارة للتسوية (أو العكس التحريض) لأنواع مختلفة من الخلافات مع سكان المدينة.

* معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم الروسية -
معهد الدراسات الإسرائيلية والشرق الأوسط.

الهواش:

1. Evolution of Eastern Societies: Synthesis of Traditional and Modern, Moscow, 1984.
2. M.B. Piotrovsky. South Arabia in the Early Middle Ages. Moscow, 1985.
3. In 1520, the change of Tahirid rulers in Aden contributed to the transfer of power in Shihir, which was then the capital of Hadhramaut and Dhofar, into the hands of the younger brother of the current sultan, Badr bin Abduldell al-Kathiri, nicknamed Bu Tuwayrak. This ruler is credited with major victories in subjugating tribes and attempts to reform the entire society in line with Ottomanism.
4. Ingrams H., Arabia and the Isles, London, 1952.
5. For more information on the castes of South Arabia, see the article by S.N. Serebrov, 'Traditional Social Stratification in Hadhramaut' in the collection "Islam and Traditional Social Structures of the Countries of the Middle and Middle East", Moscow, 1990, and also M. Rodionov "Is It Possible to Abolish Social Strata? Lessons of Hadramawt" in the collection "Early Forms of Social Stratification. Genesis, Historical Dynamics, Potential and Political Functions." Moscow, 1993.
6. R.B. Serjeant. The Saiyids of Hadramawt. Univ. of London, 1957, p.28-29.
7. M.A. Rodionov. The Tribes of al-Mishkas: al-Humum and Sa'in. In the collection "Kunstkamera", Issue 1, St. Petersburg, 1993, p.64.
8. Sargent cites a popular saying: "Sometimes they give names without meaning: daifu - Alawi, and seidu - Awad", 02. cit. ? . 10.
9. The term "niqaba", which in modern Arabic means "trade union", was even interpreted in the works of M.A. Sabban, a Seiyun scholar and regional historian, precisely in the sense of drawing an analogy with modern trade union organizations.
10. The settlement of Raybun. (Excavations 1983-1987) Proceedings of the Soviet-Yemeni Complex Expedition, Volume 2, Moscow, 1996.
11. فترة الثلاثين عام يقصد بها من عام 1967 إلى تاريخ كتابة المقال عام 1998م.

السادة عشرات الآلاف من الأشخاص وعشرات الفروع العائلية، والتي دائماً ما يكون بينها تنافس مستمر. ويعد الحفاظ على الوحدة والتضامن في مثل هذه الجماعة، وفي الوقت نفسه تعزيز مكانة العشيرة في المجتمع من المهام الرئيسة للقبائل الحضارم. وبفضل هذه المؤسسات التقليدية لا تزال طقوس الزيارات للأسواق (البازارات) القريبة من هود والأماكن المقدسة التي توجد بها أضرحة الأولياء (أسلاف السادة والمشائخ) تجتذب أعداداً كبيرة من الزوار. وتؤدي هذه الهيئات العشائرية دوراً مهماً في الحياة الروحية والاجتماعية السياسية للمجتمع. فهم يسيطرون على المساجد، ويجمعون التبرعات، ويشرّفون على توزيع المساعدات، ويديرّون عدداً من الشؤون المدنية. غالباً ما يتم ترتيب زيارات للمناصب إلى الجاليات في الخارج وتحظى الزيارة بالقدر نفسه من المهابة تشبه إلى حد بعيد زيارة رؤساء الدول.

ومن المستحيل إنكارها، فإنه خلال أكثر من ثلاثين عاماً⁽¹¹⁾ من وجود حضرموت كجزء من الدولة اليمنية، قامت هيئات سلطات الدولة ومؤسساتها بالتضييق وبشكل ملحوظ على الآليات التقليدية للتنظيم الاجتماعي في حضرموت. وفي الوقت ذاته من الصعب عدم ملاحظة أن السنوات الثلاثين الماضية لا يوجد فيها شيء ممكن أن يُقارن مع تجربة الاستخلاف أو الاستمرارية التي راكمتها حضرموت على مدى قرون، بدءاً من العصور القديمة عندما تشكلت دولة سبأ وقتبان وحضرموت، التي كوَّنت أمثلة على الحضارة المتطورة للغاية في جنوب الجزيرة العربية، والتي تظل ذات أهمية في تاريخ الحضارة العالمية. ليس فقط النصوص التوراتية أو القرآنية ما جلبت لنا أنفاس حضرموت في ذلك العصر؛ إذ يشير علم الآثار الحديث إلى وجود ارتباط، لا يمكن تفسيره أو وصل إلينا الثقافة المادية لحضرموت مع ثقافة تبعد عنا ألفي ونصف عام.



من مجالس الشاهي لأدباء سيئون أيام زمان

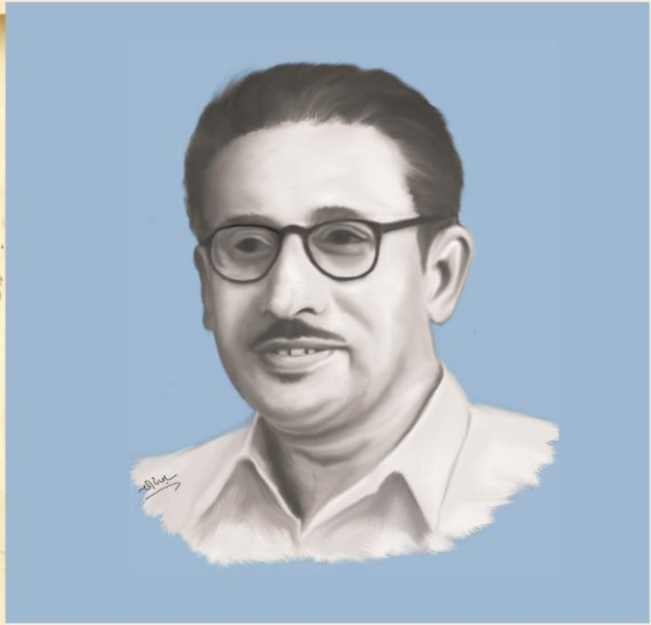
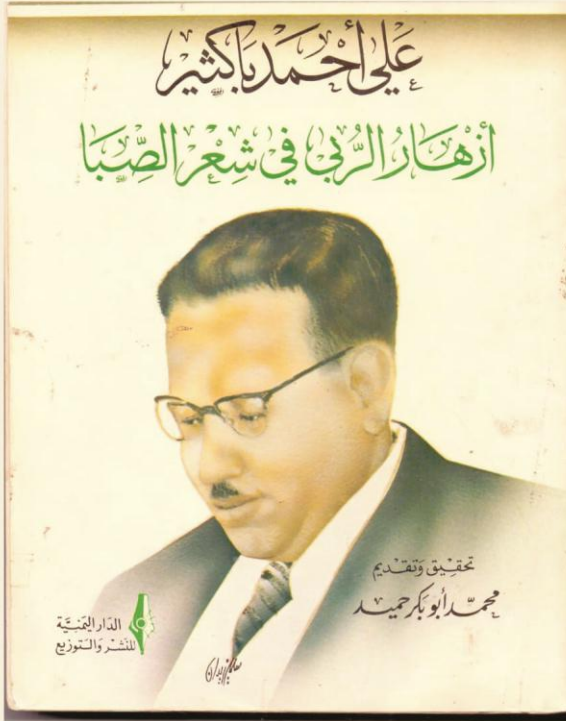
الحامد.. باكثر.. المساوي.. السوم.. السقاف.. عمر باكثر.. سقاف بن محمد

والأستاذ سقاف محمد السقاف، وبعد تناولهم الغداء الدسم؛ طال انتظارهم للشاي، ومن المعروف في سيئون أن تناول الشاي بعد الغداء من الضرورات تقريبا، وبالغ بعضهم وشبهه بالخمرة! وأن مسألة إعداد الشاي بالمنزل كانت تعتمد على النساء في الغالب، وكانت أوقات الشاي: شاي البكرة، وشاي بعد الغداء، وشاي الليل؛ والسمر، غير أن تلك المجموعة من أدباء سيئون كثيراً ما يقومون بإعداد الشاي الخاص بهم، ويجلس أحدهم أمام عدة الشاي، وبهذا يعيشون متعة لحظاتهم، واستغلال وقتهم دون تدخل أو انتظار للشاي؛ حتى بالمنزل، في تلك المناسبة وفي بيت الحامد كان الشاي يعد ويصب من قبل أهل بيت الحامد؛ لذا قد يأخذ وقتاً طويلاً عند التحضير، وعند الإحضار؛ لكبر المنزل واتساعه، وفي ذلك اليوم تأخر الشاي كثيراً، إما لأن جمرة البخاري لم تكن كافية لإنضاجه، أو كان الفحم رديئاً، وانطفأت الجمرة في البخاري، أو أن من على الشاي تنتظر رسوخه؛ فطال الانتظار للشاي، وكانت الأنظار متجهة نحو الباب دون جدوى؛ ليسمعوا من يصفق، أو يقرع الباب، أو صوتاً يعلمهم بوجود الشاي مصبوغاً، وكثر القيل والقال بينهم، وما كان من علي بن أحمد باكثر إلا أن تجرأ مماًزحاً،



غالب صالح الحامد

منذ أكثر من ثمانين عاماً بسيئون، كان أدباء سيئون يكتبون صحفهم بأيديهم، ويتداولونها، والاشتراك فيها، وبيعها، ويختلقون المناسبات لإظهار إنتاجهم الأدبي، وإبداعاتهم الشعرية، ولهم في جلساتهم الخاصة متنفسٌ، وفي عزائمهم المتبادلة موضوع للمساجلات الشعرية، فتراهم ينتقلون بين النخيل والمواقع الجذابة الرومانسية، أو الجبال عند هطول الأمطار، أو مقر النادي الأدبي في سيئون أيضاً، وبرحلاتهم يقومون بطبخ وجباتهم، وفي إحدى العزائم في بيت الشاعر صالح بن علي الحامد، المعروف بسوق الحوطة، حضر زملاء الصبا، الأستاذ محمد بن شيخ المساوي، والأستاذ علي بن أحمد باكثر، والأستاذ عيدروس السوم، والشيخ عمر بن محمد باكثر، والأستاذ مصطفى سالم السقاف،



ومداعباً الحامد، معبراً عن حاجة المجموعة وطلبها للشاي، ففي تلك الجلسة ارتجل باكثر أبياتاً مداعباً فيها صديقه الحامد، ويمتدح فيها الوجبة التي تناولوها، لكنه يلح مطالباً بالإسراع في إحضار الشاي (عن ديوان باكثر أزهار الربى في شعر الصبا) قائلاً من بحر المتقارب:

أكلنا أكلنا إلى أن شبعنا من المأكل الصالح اللذيذ
ولكننا ننتهي أكؤسا من الشاي تفضح كل نبذ
غدا (صالح) اليوم مثل الخليل إذ جاء يوماً بمعجل حنيذ
ففي أكؤس الشاي برد الغليل وطيب العليل وبرء الوقيد
فدخل الشاي محمولاً؛ فقبول من الجميع باستقبال
كاستقبال الأبطال، وعادت الابتسامة للوجه، وشعر باكثر
بنشوة النصر، مضافاً إليها نشوة الشاي، وحجز كل منهم
أكثر من كأس فنجان؛ ليكسر الخرمة، مستعجلين في تناوله؛
لتعود الكرة من جديد.

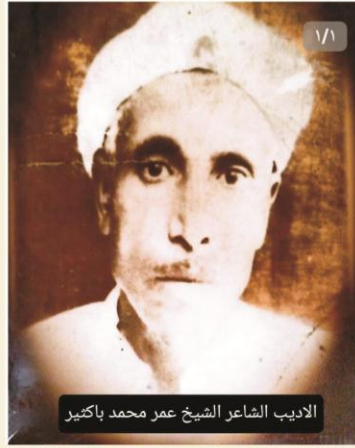
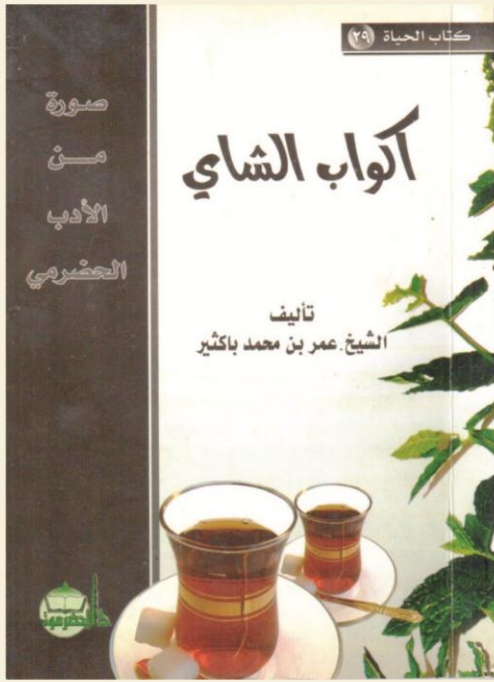
معظم شعراء سيئون قالوا في الشاي شعراً، كما هي قصائدهم في كتاب الشيخ الشاعر عمر بن محمد باكثر أكواب الشاي، وتشهد تلك الجلسات السيئونية مساجلات بالشعر الفصيح، أو الحميني، طالما أن الحضور هم نخبة من شعراء سيئون وأدبائها.

فمن كتاب أكواب الشاي للأديب الشيخ عمر بن محمد باكثر، نختار أبياتاً متقاة لكل شاعر من تلك المجموعة، قد قال الشاعر صالح بن علي الحامد قصيدته المشهورة، من بحر الكامل:

روّ لها ماء الغمام وهاتها لي والحباب يدور في جنباتها
صهباء ماعبت بها يد عابث ما عاشرت إلا أكف سقاتها
لولا انتصاف الكأس خيل أنها في يد ساقية تقوم بذاتها
وقال الأديب علي بن أحمد باكثر، من بحر الهزج:

شراب الشاي خير لي من الدنيا وما فيها
إذا ما أقبلت كأس كخود في تهاديه
تولى الهم من نفسي ودانت لي أمانيه
ويقول الشاعر الأديب محمد بن شيخ المساوي، من بحر الخفيف:

نسخت آية المدامة آيات من الشاي هن أم الكتاب
فاصطبح كؤوساً من الشاي تسامت على كؤوس الشراب
تجلب الأنس والسرور إلى القلوب ولا ينتهين بالألباب
وللشاعر الأديب سقاف بن محمد بن طه السقاف في وصف الشاي وريق الحبيب، من بحر البسيط:



كأس من الشاي أغنانا عن الكأس

الشاي أظهر خافي الشعر من رأسي

ولعت بالشاي بالفنان يطبخه

حلو الحديث خفيف الروح مياس

حادثته وهو يسقيني ويلعب بي

ويمزج الريق خرج الشهد في الكأس

وللأديب الشاعر الشيخ عمر بن محمد باكثير في فسحة لهم:

من أكوس الشاي قد ثابت قرائنا

حتى دنا فاخر الأشعار شارده

لله من أكوس حف السرور بها

كم أترع الكأس ساقى القوم ماجده

حتى كأننا خرجنا من عوالمنا

في عالم الروح غبنا ما نشاهده

وللحامد مكتبة غنية بأهمات الكتب الدينية، والأدبية،

وغيرها، فكما كان الحامد لا يخل باستضافة الأصدقاء،

فمكتبته متاحة لهم وقتما شاءوا للقراءة، واستعارة الكتب

كما يروق لهم، ففي سنغافورة كان الكثيرون يستعبرون

كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين.

وفي سيئون كان الإقبال أكثر، فها هو الأديب علي بن أحمد

باكثير قد استعار كتاب الأغاني المعروف، لأبي فرج

الأصفهاني، لفترة قاربت الستين يوماً، وقال قصيدة بتلك

المناسبة وهي من بحر الخفيف، وأجاب عليها الحامد،

نختار منها:

يا مليك القريض حلّ لسانى
ليس ميداني المديح ولكن
غير أن الفتى إذا طوق الإحـ
بارع الفضل (صالح بن علي)
خصه الله بالبراعة في العلـ
ذو قريض كأن ألفاظه من
أو كؤوس صيغت من الجواهر الشفا
ما نسيت العهود لا أنس إذ أس
دام عندي شهرين يؤنس بالي
باسليل الكرام دونك أبيا
يترجى منك القبول وغض الـ
إنما أنت - والمعالي شهود -
ومر الشعر أن يطيع لسانى
وصف مابي من الهوى ميداني
سان يجزي مولاه بالإحسان
هاشمي العلافى الفتيان
سم وفرط الذكاء وحسن البيان
سرق الخز والمعاني غواني
ف فيها صرف من الخمر قاني
لفني مجده كتاب (الأغاني)
ويسلي مابي من الأشجان
ت ركاكا من قاصر الفكر داني
طرف عما فيها من النقصان
غرة في جبين هذا الزمان

فأجاب صالح الحامد بهذه الأبيات من نفس البحر:

أدباء الورى كثير ولكن
وإذا ما امتريت في فضله في الـ
ولقد شافني الغداة قريض
من فتى لازم العلوم صغيرا
زيد فضلا حتى يعارض في المـ
ورعاه الإله في كل وقت
مارأينا في الفضل كالأصفهاني
سعلم فانظر كتاب الأغاني
قد حكى نظمهم عقود الجمان
فغدا سائدا على الأقران
شورقسا وفي القريض (ابن هاني)
وحماه من طارق الحدثان

رؤية بامطرف للواقع السياسي بحضرموت قبل الاستقلال ومقارنته بواقعنا



حضور مميز مساء السبت ٣١ أغسطس ٢٠٢٤م، مجموعة من النخبة المثقفة في ساحل حضرموت تحضر إحدى أمسيات مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، وفي منتدى عميد الأدب بالمكلا ندوة سياسية عن رؤية المؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف عن تاريخ حضرموت السياسي قبل الاستقلال عام ١٩٦٧م وواقعنا اليوم.

وكما يقول الدكتور أحمد هادي باحارثة أستاذ الأدب والنقد بجامعة حضرموت: لقد عاشر الأستاذ المؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف (١٩١٥-١٩٨٨) لأول مرة حياة السياسيين في أواخر سنة ١٩٣٧م بسفره من الحديدة؛ إذ كان يعمل في فرع شركة البس، مترجماً مع الأمير سيف الإسلام الحسين ولي عهد المملكة المتوكلية آنذاك، إلى عدن وهو عازم على استيطانها؛ لأنه أحبها وأحب أهلها، وربما عبر تلك الشركة تم اختياره ليكون مترجماً للمستشار الإنجليزي بحضرموت بوصفه الرجل الحضرمي المؤهل والأنسب لهذه المهمة، ولم يكن ذلك عن اختيار منه أو رضا، ولعل هذا هو ما يستشف من إحدى كتاباته إذ قال: "كنت أحد المهاجرين الحضارم لعدن، وإن لهذه البلدة الطيبة ولأهلها حق الضيافة والتعليم والعمل، ولي بها إخوة وأصدقاء وزملاء دراسة وعمل أذكرهم بكل خير، ولقد غادرت عدن على كرهٍ مني إلى الساحل الحضرمي مسقط رأسي".



أحمد زين باحميد

والأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف كان كاتباً ومؤرخاً يمينياً شهيراً، عُرف بأعماله التي تناولت تاريخ حضرموت واليمن بشكل عام؛ فقد تناول بامطرف في كتاباته الواقع السياسي في حضرموت قبل الاستقلال عام ١٩٦٧م، مسلطاً الضوء على التحديات التي واجهتها المنطقة في تلك الفترة، مثل الاستعمار البريطاني والصراعات القبلية والمنافسات الداخلية بين القوى السياسية والاجتماعية.



د. أحمد باحارثة يتحدث في ندوة:
"مقارنة لرؤية المؤرخ بامطرف للأوضاع السياسية في حضرموت
قبل الاستقلال و الواقع الراهن" في منتدى عميد الوفاء"

وتحت الإلحاح الشديد سحب هذه الاستقالة وواصل العمل، وفي مايو من العام نفسه قدم استقالته الثانية وطلب إنهاء هذا العقد القائم بينه وبين الحكومة بصورة فورية، وأصر على ذلك رغم محاولات عدة بذلت لإثناؤه عن قراره هذا، فلم تفلح، وبعد مرور شهر من تاريخ قبول الاستقالة - كما هو متفق عليه أصبحت استقالة بامطرف من الحكومة القعيطية نافذة المفعول في ١٩٦٣/٧/١ م وتناقلت الصحف المحلية خبر الاستقالة في صفحاتها الأولى وبعناوين عريضة.

وبهذه الاستقالة نأى بامطرف بنفسه عن مخالطة السياسيين، ولكنه لم يدِرْ ظهره تماماً للسياسة، بل صار يتعاطاها عن طريق الكتابة في الصحف، فعمل نائباً لرئاسة تحرير صحيفة الرائد، ولم تكن كتاباته مقتصرة على الشأن السياسي المحلي فحسب، بل كان أكثر تركيزه على نقده والدعوة إلى إصلاحه، حتى روج البعض إلى إمكانية قيادة بامطرف لقيادة المعارضة الشعبية في حضرموت وتأسيس حزب سياسي معارض، لكن بامطرف نفى عزمه على تأسيس مثل ذلك الحزب مكتفياً بنشاطه القلمي.

لم يهجر بامطرف زملاءه من سياسيي السلطنة القعيطية، بل نجده يرافق وفد السلطنة إلى مؤتمر عقد في لندن بوصفه مترجماً ومستشاراً للوزير السلطنة أحمد محمد العطاس أوائل شهر أغسطس ١٩٦٥ م، الأمر الذي ربما يدل على

وهكذا بدأ بامطرف مشواره السياسي بحضرموت مترجماً للمستشار البريطاني، فكان قرينه حيثما حل أو ارتحل ما بين مدن المكلا وسيئون وعدن، وذلك منذ عام ١٩٣٩ م، وقد شهد بحكم موقعه هذا مواقف تاريخية متعددة، لعل أبرزها مفاوضات ابن عبادات مع الإنجليز؛ إذ كان هو المترجم بينه وبينهم.

وفي عام ١٩٤٦ م استقر في مدينة سيئون بوظيفة الكاتب الأول بإدارة المستشارية الإنجليزية التابعة لوزارة المستعمرات البريطانية، وبقي على ذلك حتى عام ١٩٥٢ م حيث انتقل للعمل في الحكومة القعيطية بالمكلا.

كان انتقال بامطرف إلى الحكومة القعيطية على سبيل التعاقد، كل عقد مدته خمس سنوات قابلة للتמיד، ابتداء من يناير ١٩٥٢ م، وخلال أحد عشر عاماً قضاها في الخدمة الحكومية شغل عدداً من المناصب المهمة، فقد تقلد منصب وظيفة المفتش الإقليمي، أي مسؤولاً عن الحكم المحلي بالألوية، وقد هيأته خبرته تلك في إثراء تجربة المجلس البلدي في المكلا؛ إذ كان له أكبر الأثر في توجيه أعضاء ذلك المجلس وإرشادهم وتنويرهم، ثم كُلف بمهام النائب لوزير السلطنة القعيطية، وقد جدد عقده مرة أخرى، وعُيِّن عضواً في مجلس الدولة، وكان يتوب أحياناً عن السلطان أو وزير السلطنة في بعض النزولات إلى مناطق السلطنة.

وبعد انتهاء العقد الثاني ترك بامطرف منصبه هذا، وأبرم عقداً جديداً مدته ثلاث سنوات لغرض القيام بأعمال تتعلق بشؤون الحدود، والتطور الدستوري، وشؤون الزيت، فأدّى دوراً مهماً في المفاوضات التي دارت بين (شركة بان أمريكان) و(دولتي حضرموت)، وانتهت بتوقيع الاتفاق، كما أسهم في كثير من الأعمال الحيوية الأخرى المهمة.

غير أنه كان قد تبرم من العمل في الحكومة القعيطية؛ إذ لم تمر سنة من تعاقدته الأخير حتى قدم استقالته في يناير ١٩٦٣ م،



”ونتيجة لما كان يتمتع به الحضارة من إبداء الآراء واختلاف النظرات ظهرت كثير من ملامح اختلاف الرؤى والأفكار أسماء البعض تشتتاً، ويمكن أن نقول إن هذه الظاهرة من وجهة نظر المستعمر قد أسهمت في جعل حضرموت تبدو أرضاً خصبة للاستعمار البريطاني، الذي استغل الخلافات الداخلية لتعزيز سيطرته“

وعند مقارنة رؤيته للواقع السياسي قبل الاستقلال بواقعنا اليوم، نجد بعض التشابهات. لا تزال اليمن تعاني من تشتت سياسي والانقسام بين مختلف الفصائل، مما يعيد إلى الأذهان واقع حضرموت قبل الاستقلال. إضافةً إلى ذلك، فإن التدخلات الخارجية لا تزال تؤدي دوراً في تحديد مسار السياسة اليمنية، كما كان الحال مع الاستعمار البريطاني.

لكن من يمحص حالات المسارات التاريخية للدول والأمم يرى أن الفارق الرئيس يكمن في أن الوضع الحالي أكثر تعقيداً نتيجة التحولات الإقليمية والدولية، والصراعات الداخلية المتعددة الأوجه، والتي تشمل الجوانب الطائفية والمذهبية. في الوقت نفسه، كما أنه لا بد من الإشارة إلى أن الوضع الحالي بحاجة ماسة للوحدة الوطنية والشعور بالانتماء المشترك، وهي الرسالة التي كان الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف يدعو إليها في كتاباته كما يقول الدكتور باحارثة في محاضراته.

وبعد تغير المشهد السياسي حين سقطت السلطنة القيعية، ووقعت البلاد تحت إسار جبهة ثورية أعلنت عداها لكل ما يمت إلى الماضي بصله دون تمييز، فكان بامطرف أحد ضحايا تلك العربة الثورية، وزُجَّ به في السجن بتهمة أنه أحد أعداء الثورة، وذلك في عام ١٩٦٨م.

وجود بعض التواصل بينه وبين أولئك بحكم الزمالة القديمة بما يخدم توجههم نحو الإصلاح السياسي، ظهر ذلك من خلال الموقف المتشدد الذي أبداه وفد السلطنة تجاه بعض مطالب المستعمر البريطاني غير المتوافقة مع المطالب الوطنية التي ينادي بها بامطرف.

ومن كتاباته التاريخية وكتاباته الأخرى فإن رؤيته للواقع السياسي بحضرموت قبل الاستقلال (١٩٦٧م) كانت تركزت على تشتت السياسي الذي ساد حضرموت؛ نتيجة تعدد السلطانات والمشيكات المحلية، والتي كان كل منها يحاول بسط نفوذه وتعزيز قوته على حساب الآخر، فالحضارة شأنهم شأن كل الناس كانت لهم صلاتهم الثقافية من خلال أسفارهم وتنقلاتهم في أقطار شرق آسيا حيث إن لهم بصماتهم التاريخية من خلال نشر الإسلام وثقافتهم وصحفهم السيارة التي ذاع صيتها في إندونيسيا وماليزيا وغيرها من الدول.

ونتيجة لما كان يتمتع به الحضارة من إبداء الآراء واختلاف النظرات ظهرت كثير من ملامح اختلاف الرؤى والأفكار أسماء البعض تشتتاً، ويمكن أن نقول إن هذه الظاهرة من وجهة نظر المستعمر قد أسهمت في جعل حضرموت تبدو أرضاً خصبة للاستعمار البريطاني، الذي استغل الخلافات الداخلية لتعزيز سيطرته.

المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف عندما أشار إلى أن غياب الوحدة الوطنية والشعور بالانتماء الوطني كانا من أبرز التحديات التي واجهت حضرموت في تلك الفترة. انتقد بشدة الطبقة السياسية التقليدية التي كانت تتعامل مع الاستعمار البريطاني بنوع من التبعية، الأمر الذي أدى إلى تأخير حركات التحرر الوطني، وتعقيد مساعي الاستقلال. ورأى بامطرف أن الحل يكمن في تعزيز الوحدة بين مختلف القوى السياسية والاجتماعية وتوحيد الصفوف لمواجهة الاستعمار.



71

العدد (35)

يناير
مارس
2025م

ذلك في حينه إذ قال: "النقد الذي نجده في صحافتنا المحلية يقتصر على الأطر الدنيا، في حين كان في صحافة ما قبل الاستقلال، وكنت أحد الأعلام التي تشارك في ذلك، نتقد الأوضاع عامة دون أن نُشير إلى شخصية محددة".

وكرر مثل ذلك في موضع آخر فقال: "الآن هناك نقدي صحافتنا، ولكنه موجه للقيادات الدنيا وحدها".

لقد تنوعت مناحي الكتابة السياسية عند بامطرف، فشملت أموراً شتى، تمثلت في الوضع السياسي المحلي بحضر موت، وفي متابعة الأحداث في الجنوب العربي، وفي التعليق على بعض القضايا العربية والعالمية، وفي نقد شخصيات سياسية، وفي شؤون نظرية ومبادئ السياسة العامة.

”
رفض بامطرف انضمام حضرموت إلى ما كان يسمى باتحاد إمارات الجنوب العربي، مُتحفظاً على صيغته وظروف نشأته معللاً ذلك بقوله: "إن الاتحاد الفيدرالي بشكله الراهن لا يشجع على الانضمام إليه؛ لأنه في رأينا تكتل إقطاعي أتوقراطي ضعيف، تدعمه مشيئة بريطانية غاشمة"، وكان يرى أن "أقل ما يوصف به الاتحاد الفيدرالي هو أنه يؤكد التقسيم القبلي، ويرسي من جديد قواعد الحزابات الإقليمية، وقبولنا هذه المبادئ معناه تسليمنا بكل بلادٍ أن تتحكم فينا العنصرية العشائرية، إنها تتحكم فينا الآن، ولكننا واقفون منها موقف المتربص لنهدمها ونواربها التراب، والزمن والعلم في صالحنا، أما أن نقر تحكُّمها فينا برضانا؛ فذلك ما يأباه كل من يُقدّر قضايا الشعوب حق قدرها“

وبعد أن وضعت الثورة أوزارها عرف رجال الثورة لبامطرف حقه، فصار عضواً في إحدى المؤسسات السياسية للدولة الجديدة (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية)، فتمتع بعضوية مجلس الشعب الأعلى في سبتمبر ١٩٦٨م.

الرؤية السياسية:

كان الاتجاه السياسي هو أبرز اتجاه بدا واضحاً وجلياً في مقالات بامطرف، إذ أخذت الكتابة السياسية لديه مناحي شتى، داخلية وخارجية، وقضايا فكرية، وتجارب شخصية، غدت ممارسته للسياسة ومخالفته للسياسيين، مع ثقافة غزيرة عربية وغربية في هذا المجال من مصادر قديمة وحديثة، حتى نستطيع أن نصف مقالاته السياسية بأنها تشكل تاريخاً حياً للحقبة التاريخية المعاصرة من تاريخ حضرموت، بما فيها من وصف للأحداث التي شهدتها، والتجارب التي عايشها بامطرف، وتشكل أيضاً معيناً للفكر السياسي الحديث بما فيها من رؤية وتحليل وعبرة.

وكان بامطرف قد كتب المقالة السياسية في وقت مبكر من عمره لا يتعدى الثامنة عشرة، تناول قضايا محلية تتعلق بحكومة الدولة القيعية، أي منذ حوالي عام ١٩٣٢م، وفيها كان ينحى باللائمة على الحكومة القيعية فيما يراه من أوضاع حضرموت السيئة، خاصة في شؤون الأمن المفقود، وقد نشرها في بعض الصحف المصرية، على عادة بعض المثقفين الحضارمة، وذلك قبل انتشار الصحافة المحلية في حضرموت.

إذن فالسياسة كانت هي الدافع الأول لبامطرف للكتابة، وهي التي صارت المستحوذة على أكثر مقالاته بعد ذلك؛ إذ استمر بامطرف منذ ذلك الحين في الكتابة السياسية والنقد السياسي؛ موجهاً ناصحاً تارة، ومستنكراً ساخراً تارة أخرى، وذلك حتى سقوط السلطنة القيعية، ثم انقطع عنها لعدم توافر المناخ المناسب لها بسبب طبيعة الحكم الذي ساد البلاد بعد الاستقلال سنة ١٩٦٧م، وقد شكى بامطرف من

لقد مثل المؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف رمزاً بارزاً في تاريخ حضرموت، إذ حمل هموم شعبه وأمتة الحضرمية وتطلع إلى مستقبل مزدهر بعد الاستقلال لكن، هل تحققت رؤيته؟ وما هي أوجه التشابه والاختلاف بين الواقع الذي تخيله والوضع الراهن في اليمن؟

يقول الدكتور أحمد هادي باحارثة تحت عنوان: وحدة حضرموت:

فعلى صعيد كتاباته عن الوضع السياسي بحضرموت والتي كانت تقتسم السلطة فيها سلطتان، هما السلطنة القيعطية والسلطنة الكثيرية، نجد بامطرف شغل منذ وقت مبكر بمسألة وحدة حضرموت في إطار سلطة واحدة، ودولة مستقلة، معتبراً هذه التجزئة مفتعلة بين بلد واحد وأمة واحدة فيقول:

"لقد كانت حضرموت ساحلها وداخلها قطراً واحداً وأمة واحدة قبل إنشاء السلطنتين القيعطية والكثيرية، ولا زالت إلى اليوم في روحها، ومشاعرها، وثقافتها، وغاياتها، وآمالها في المستقبل".

وكان يرى أن تلك الوحدة ستكون سبيلاً إلى إصلاح عام للأوضاع في حضرموت اجتماعية وسياسية واقتصادية، وتكون سبيلاً إلى التحرر من الهيمنة الاستعمارية التي ترزح تحتها هاتان السلطتان، إضافة إلى حل عدد من المشكلات الخلافية الناتجة عن توتر العلاقة بين الدولتين.

ورفض بامطرف انضمام حضرموت إلى ما كان يسمى باتحاد إمارات الجنوب العربي، مُتَحَفِّظاً على صيغته وظروف نشأته معللاً ذلك بقوله: "إن الاتحاد الفيدرالي بشكله الراهن لا يشجع على الانضمام إليه؛ لأنه في رأينا تكتل إقطاعي أتوقراطي ضعيف، تدعمه مشيئة بريطانية غاشمة"، وكان يرى أن "أقل ما يوصف به الاتحاد الفيدرالي هو أنه يؤكد التقسيم القبلي، ويرسي من جديد قواعد الحزابات الإقليمية، وقبولنا هذه المبادئ معناه تسليمنا بكل بلادة أن تتحكم فينا العنصرية العشائرية، إنها تتحكم فينا الآن، ولكننا واقفون منها موقف المتربص لنهدمها ونواربها التراب، والزمن

والعلم في صالحنا، أما أن نقر تحكّمها فينا برضانا؛ فذلك ما يأباه كل من يُقدّر قضايا الشعوب حق قدرها".

إذن ما نوع الوحدة التي يريدها بامطرف لموطنه وشعبه؟

يقول بامطرف:

"إن مفهومنا عن الوحدة هو أن تكون وحدتنا شعبية، بمعنى أن الشعب هو الذي يجب أن يكسب من قيام الوحدة الحضرمية، ومن وجود كل حالة تترتب على تلك الوحدة، وإن الوحدة ينبغي أن تزيل عنا التبعية للتقسيم العشائري، وتدفن الأحقاد القديمة؛ ذلك لأن بامطرف يرى أن العشائرية بصراعها القديم، هي من تسبب في تقسيم القطر الحضرمي؛ لذا نراه يدعو دائماً إلى جعل الانتماء والولاء لحضرموت، وليس للعشيرة أو القبيلة، ويبدأ بنفسه حيث يقول:

"سوف أكذب على نفسي وعلى القراء إذا قلت إنني من وجهة سياسية أفضل أن أدعى تابعاً لهذه أو تلك العشيرة على أن أدعى جزءاً من الشعب الحضرمي بأسره".

ومن ثم رفض بامطرف الحكم السلاطيني الوراثي إذ قال:

"إن الزمن الذي كان يصبح الفرد فيه حاكم ولاية؛ لأن أباه كان الحاكم فيها ينبغي أن يولي إلى غير رجعة".

وللسبب نفسه رفض بامطرف التوجه شمالاً إلى الاتحاد بين السلطنة القيعطية والمملكة العربية السعودية ذات الحكم العشائري، واستنكر سعي وزير السلطنة آنذاك أحمد العطاس لفرض ذلك الاتحاد، وقال: "نستنكر بشدة إبرام وزير السلطنة القيعطية واثائق التمهيد للدخول في اتحاد مع المملكة العربية السعودية بدون الرجوع إلى الشعب"، وكان خبر سعي وزير السلطنة أحمد العطاس لضم حضرموت للسعودية قد سرّبته صحيفة كويتية، لكن الوزير العطاس سارع بإنكار ذلك الخبر.

وعليه فاننا نعتقد أن رؤية بامطرف حلم لم يتحقق بالكامل بعد نيل حضرموت استقلالها عام ١٩٦٧م، كان بامطرف يتطلع إلى بناء دولة مدنية عادلة، تحافظ على خصوصية حضرموت وتحقق التنمية الشاملة. ركز في رؤيته على:



"الحكم الرشيد والتنمية الشاملة والحفاظ على الهوية"

إن بامطرف لم ينزع عن نفسه ستار الاسم المستعار، بل نزع عنه كل تحفُّظ كان يديه في العمل الوطني الثوري للتخلص من سطوة الأجنبي وأذنبه في الداخل، فصار يتحدث عن النضال، وعن التضحية، بعد أن كان يركن إلى الإصلاح التدريجي، والتطور الدستوري، وبعد أن كان ينظر إلى الحديث عن النضال والتضحية بأنه مراودة لأمر بعيدة مستحيلة، أصبح الآن يقول مُعلنًا وبكل وضوح: "إننا في الواقع بحاجة إلى ضحايا، وبحاجة إلى شحذ همم، وبحاجة إلى ما هو أكبر وأقبح من ذلك، إننا بسبيل مطلب صعب لن يكون من السهل علينا تحقيقه، إنه مطلب الحرية، وعلينا أن نوطد العزم على الجور أن يحقق بنا على أيدي الطغاة، وستحمل ذلك فرحين مستبشرين".

لم يكتف بامطرف الآن بالكلمة، إنه يدعو للدعم المالي لمن صار يصفهم بالأحرار، ويحث على ذلك التجار بحضرموت وفي المهجر، مبتدئًا بنفسه، واعتبر ذلك عملاً نضالياً، وبين فائدته بقوله: "إن العون المادي سوف يساعد في إبراز طاقات فينا اضطرها الفقر والعوز أن تحني رأسها، وأن تلجم فاهها بلجام النفاق، وأن تسير ذليلة مستكينة في ركاب الشر والخذلان".

هذا الموقف السياسي لبامطرف المناوئ للحكومة المحلية وللمستعمر البريطاني، والذي تحول من الكلمة الناصحة إلى الكلمة الفاضحة، إلى الدعوة للنضال والتضحية، وطلب الدعم المالي لكل معارض، أو لكل وطني حر، جعل كثيرًا من الناس ينظرون إلى بامطرف كزعيم (للمعارضة) السياسية بحضرموت، وروَّجت بعض الصحف خارج حضرموت لذلك، وأشاعت عزمه على تكوين حزب سياسي لذلك الغرض، وهو الأمر الذي لاقى رواجًا عند الكثيرين ممن كتبوا في الصحف المحلية، يعلنون تأييدهم لبامطرف، وحثه على إنشاء حزب سياسي، يقود المعارضة ضد



حكومتي حضرموت والمستعمر الإنجليزي، لكن بامطرف اكتفى بدوره في الكلمة والتوعية السياسية.

وخلو حضرموت من حزب سياسي يتبنَّى حركة التغيير التي كان يشرب بها بامطرف ونظراؤه من أصحاب الفكر الحر والناقد كسعيد عوض باوزير، وأخيه أحمد عوض باوزير، وحسين محمد البار، وعلي محمد حميد وغيرهم، ترك حضرموت ساحة لاستقطابات الشباب الغر لمكونات من خارجها، ربطت مصيرها بمصيرهم، وكان هؤلاء الرؤاد أول ضحاياها، ماديًا ومعنويًا، فلم تعرف لهم أقدارهم، فخفت آثارهم، وخفيت أدوارهم، بل وصل الأذى بعضهم إلى دارهم، مثلما حدث لبامطرف نفسه، وما زالت الأزمة مستمرة. فاليمن يعيش صراعًا داميًا منذ سنوات، وتأثرت حضرموت بشكل كبير بهذا الصراع. تشمل أبرز التحديات التي تواجهها حضرموت حاليًا:

- **الانقسام السياسي:** تعاني اليمن من انقسام سياسي حاد، مما أضعف مؤسسات الدولة، وأعاق جهود التنمية.
- **الصراع المسلح:** تشهد حضرموت، مثلها مثل بقية مناطق اليمن، صراعًا مسلحًا بين مختلف الأطراف، مما أدى إلى تدهور الأوضاع الأمنية وتهجير السكان.
- **التحديات الاقتصادية:** تعاني اليمن من أزمة اقتصادية خانقة، مما أدى إلى ارتفاع معدلات الفقر والبطالة وتدهور الخدمات الأساسية.
- وأخيرًا بالرغم من مرور عقود على استقلال حضرموت، لكن عددًا من التحديات التي واجهها بامطرف لا تزال قائمة حتى اليوم. فالحكم الرشيد والديمقراطية والتنمية الشاملة تبقى أهدافًا بعيدة المنال في ظل الصراع المستمر.
- ويبقى سؤال: هل ستمكن حضرموت من تحقيق حلم بامطرف وبناء دولة عادلة ومزدهرة؟ الجواب يعتمد على قدرة اليمنيين على تجاوز الخلافات والتوصل إلى حل سياسي شامل للواقع السياسي القائم حاليًا في اليمن بشكل عام.

قراءة في كتاب:

"القائم عبدالله بن عوض مخارش

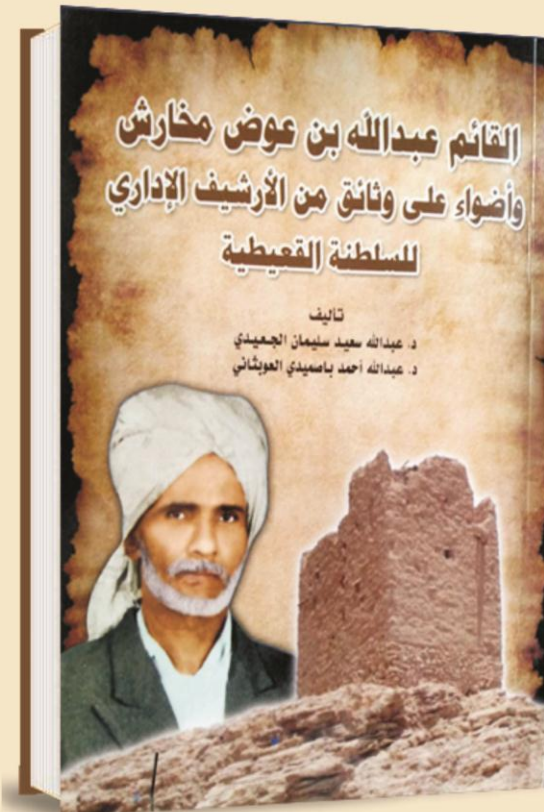
وأضواء على وثائق من الأرشيف الإداري للسلطنة القعيطية"

(١ - ٢)

قد لا أجافي الحقيقة إن قلت إن الإنسان الحضرمي وخصوصاً الشباب هو الوحيد من بين شعوب العرب الذي تم تغييره ربما عمداً عن تاريخه الحديث والمعاصر، ومن هنا لا عجب أن نجد نسبة كبيرة من الشباب الحضرمي المثقف اليوم يعيشون حالة من الفقر المعرفي عن الأحداث التي شهدتها حضرموت في عهد السلطنتين السابقتين، وعن مراحل التحديث في ذلك العهد في الجوانب الحياتية المختلفة، عن نشأة التعليم في حضرموت الحديثة، ورواد النهضة التعليمية الحضرمية، كالشيخ القدال والشيخ سعيد عوض باوزير مثلاً،



عمر عبدالله حمدون



ماذا يعرف الجيل الحضرمي المعاصر عن تاريخ حضرموت الحديث؟ وأقصد بالحديث هنا منذ أن بدأت تشكل في حضرموت معالم وأسس الدولة الحديثة بأنظمتها التشريعية وقوانينها المدنية، والتي تمثلت خلال فترة ما قبل الاستقلال بدولتي السلطنتين القعيطية والكثيرية.

كم من الشباب الحضرمي المثقف اليوم يمتلك من المعلومات المعرفية عن تاريخ حضرموت السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والتشريعي في فترة السلطنتين السابقتين؟! أسئلة كثيرة تتبادر إلى الذهن، ويفرض طرحها ما تشهده حضرموت من أحداث وفعاليات متتالية، وخصوصاً منذ العقدين الأخيرين من الألفية الثالثة، حيث يمثل الشباب الحضرمي اليوم عماد هذه الفعاليات والأنشطة.



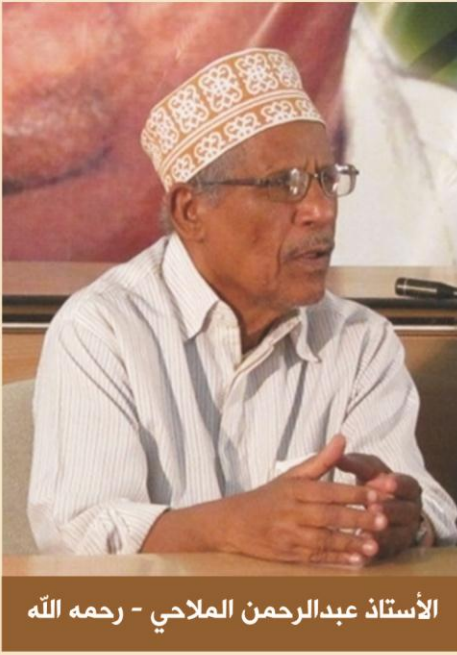
أ.د. عبدالله بن جَسَّار الجعدي و أ.د. عبدالله باصميدي العوبثاني
مؤلفي الكتاب

"القائم عبدالله عوض مخارش وأضواء على وثائق من الأرشيف الإداري للسلطنة القيعيطية" في طبعته الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م من تأليف كل من أ.د. عبدالله سعيد الجعدي وأ.د. عبدالله أحمد باصميدي العوبثاني، إحتوى الكتاب بعد الإهداء والشكر على مقدمة عامة ذات أهمية لموضوع الكتاب ذاته كتبها الأستاذ المرحوم عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي، الشخصية الاجتماعية بمدينة الشحر، والباحث التاريخي بشؤون منطقة المشقاص منطقة شرق حضرموت الساحل بوجه خاص، أخذ هذا التقديم ٣٠ صفحة من صفحات الكتاب البالغ عددها ٢٣٥ صفحة. بعد التقديم يصل القارئ إلى الموضوع الأساسي للكتاب حيث إحتوى على قسمين رئيسيين وملاحق وصور بآخر الكتاب، القسم الأول حمل عنوان "القائم عبدالله بن عوض مخارش ومضات من سيرته وعصره"، أما القسم الثاني فقد حمل عنوان "وثائق القائم عبدالله بن عوض مخارش"، أما في الملاحق فنجد حوالي ٧٦ وثيقة من وثائق القائم مخارش بخط يده، وكذلك مجموعة من الصور التوثيقية لمراحل الإعداد للكتاب. بالعودة إلى المقدمة فإنها كما أشرت ذات أهمية بالغة؛ كونها أعطت القارئ المطلع على الكتاب تمهيداً وخلفية تاريخية / اجتماعية عن هذه المنطقة المشقاص التي حكمها القائم عبدالله مخارش كحاكم يمثل السلطة القيعيطية الحاكمة لغالب أراضي

عن الحياة السياسية وظهور الأحزاب...، عن تطور الأنظمة التشريعية وظهور القوانين المدنية الحديثة، ودور المجالس البلدية في ذلك العهد، ودور بعض السلاطين القطعة في التحديث والتمدن، عن الشخصيات الحضرمية التي كانت لها أدوار مهمة في تشكيل الوعي القومي والوطني في حضرموت، أمثال الشيخ المناضل عمر سالم بأعباد وغيره في الحياة السياسية الحضرمية ما قبل الاستقلال، عن الصحافة ودور النشر... عن... عن... إلخ !!!

إنني لست هنا بصدد سرد الأسباب والدوافع الذاتية والموضوعية التي أوصلت الشباب الحضرمي إلى حالة من القطيعة مع تاريخه الحديث، وإلى حالة من الجهل والتجهيل بذلك التاريخ، يعاني منها اليوم بقدر ما أودُّ أن أوضح كم هي الحاجة ماسة اليوم إلى حد الضرورة في أن يستعيد الحضرمي وعيه الثقافي المفقود بذاته، وإدراكه المعرفي بتاريخ حضرموت في عقودها الحديثة ما قبل الاستقلال ١٩٦٧م. من هذه الضرورة الملحة تأتي أهمية الإصدارات التي تخرجها لنا المطابع اليوم، وتبحث أو تتناول جزءاً من التاريخ الحضرمي الحديث في العهد السلطاني القيعيطي أو الكثيري، وهي تناولات بحثية تظهر بعضاً من الحقائق والوقائع التي لم يكن من السهل تناولها بالبحث والدراسة بمهنية عالية وبموضوعية وتجردٍ عن الهوى الذاتي السياسي أو التعصب الأيديولوجي في مرحلة ما بعد الاستقلال الوطني، وهي وقائع وحقائق إذا استعصت عملية طمسها أو إخفائها خلال تلك المرحلة فإن الكثير منها لم يسلم من التجاهل واللامبالاة في أحسن الأحوال، وفي أسوأها لم تسلم من التزييف والتعسف والتطويع والتوظيف خدمة لأهداف مرحلة ما بعد الاستقلال.

من هذه الإصدارات الجديدة التي صدرت مؤخراً في حضرموت، والتي أودُّ تسليط الضوء عليها، وتعريف القارئ بها في هذا الحيز المكاني كتاب حمل عنواناً طويلاً إلى حد ما، وهو



الأستاذ عبدالرحمن الملاحي - رحمه الله

تأتي أهمية المقدمة لا من كونها تعطي القارئ تمهيداً لفهم موضوع الكتاب فحسب، بل وأيضاً من كونها تعطينا لمحة عامة وشاملة عن تاريخ المنطقة، هذا التاريخ وتلك الأحداث التي شهدتها منطقة المشقاص منذ ما قبل الإسلام وما بعده، والتي يكاد غالب أبناء حضرموت يجهلونها، والسبب في هذا الجهل كما يقول الأستاذ الملاحي أنه "لم يحظَ مخلاف المشقاص (الريدة وقصيعر) بالكتابة عن تاريخه وعن نشاطه الاجتماعي، فلا زال تاريخه مجهولاً، وأن الدراسات الحديثة عنه نادرة، وتحدث عن المرويات الشفاهية وتراثه الشعبي... أما

التنقيبات الأثرية فلا توجد، ماعدا تنقيب أثري قامت به بعثة فرنسية عام ١٩٩٥م بميناء المصينة" ص: ١٤ - ١٥. يكتب الأستاذ الملاحي مقدمته المهمة للكتاب واضعاً ثلاثة عناوين فرعية لها، العنوان الأول "المشقاص مخلاف أهملهُ التاريخ"، وفيه تحدث عما ذكرناه آنفاً من خلفية تاريخية اجتماعية للمنطقة وسكانها، والعنوان الثاني كان "المشقاص والتطلعات القيعية"، وفيه عرض بعضاً من أحداث الصراع الدامي الذي دار بين الكثيرين والوجود اليافعي بحضرموت، متمثلاً هذا الوجود أساساً في التحالف الكسادي القيعي؛ وذلك للسيطرة على حضرموت،

حضرموت، ويمكن القول إن المقدمة بحد ذاتها تمثل بحثاً تاريخياً وأثروبولوجياً مهماً خاصاً بمنطقة المشقاص وسكانها، فقد توسع الاستاذ الملاحي في تقديمه للكتاب، ذكراً لمعلومات مهمة عن تاريخ المشقاص عبر العصور الماضية، متناولاً أيضاً تعريف الاسم ودلالته، وموقعه الجغرافي بالنسبة لخطوط الطول والعرض، وتضاريسه المختلفة، وكذلك لمحة تعريفية عن النسيج الاجتماعي المكوّن الإنساني لهذه المنطقة، والمشمتم على فصائل، وكل فصل يُعرف بيت كذا (بيت نمور، بيت هزيل بيت مطر... إلخ: ص ١٦)، وأيضاً التحالفات القبلية التي شهدتها المنطقة عبر تاريخها خصوصاً بعد القرن السادس الهجري ١٢ الميلادي حتى اليوم، مثل التحالف الثعيني مهري، الذي انضوى تحت لواء الحلف الضني العام - حضرمي -، ويشير الأستاذ الملاحي لأسباب توسّعه في تقديم الكتاب إذ كتب: "وكمحاولة للتعريف بها بمنطقة المشقاص كتبتُ هذه المقدمة، وهي خلفية تاريخية مبسّطة للمشقاص المكان والسكان وللظروف السياسية والأمنية التي تولّى فيها مخارّش حكمه حتى تُعَيّن القارئ على معرفة الأحداث والأعلام والمواقع عند اطلاعه على ذكرها" ص ٣٥.



أ.د. عبدالله الجعدي وعبدالرحمن عبدالكريم الملاحي في مدينة الريدة الشرقية في أثناء نزولهم الميداني وإجراء المقابلات الشخصية مع المعاصرين للقائم عن السلطنة القيعية الشيخ عبدالله بن عوض مخارّش



١٩٤٠ - ١٩٥٠ م، الذي أقره الجميع. خلاصة الأمر أن هذه الأحداث التي يشير إليها الأستاذ الملاحى في مقدمته للكتاب والمتغيرات المدنية والأمنية التي شهدتها إقليم المشقاص كانت مرهونة بحكمة الحاكم مخارش وجهوده ومساعدته، والذي لم يكن مجرد حاكم منفذ لأوامر القيادة القعيطية وتوجيهاتها فحسب، بل كان حاكماً مدركاً للواقع الذي يديره ويحكمه، دارساً لعادات مواطنيه وعلاقاتهم وثقافتهم. هكذا ينهي الأستاذ الملاحى بحثه مقدمته للكتاب - كاشفاً في دواخله عن جزء من تاريخ الدولة القعيطية وطريقة إدارتها لشؤونها ذات العلاقة بالمحكومين المواطنين وكيفية تعامل ممثليها مع هؤلاء المواطنين، وما الحاكم مخارش إلا نموذجٌ لهؤلاء الحكام القعيطيين، الذين حكموا أقاليم السلطنة القعيطية، وقد كان كما كتب الأستاذ الملاحى: "حاكماً متمتعاً بالحزم والصلابة مع حكمة ومرونة في التعامل مع الزعماء القبليين والشخصيات الاجتماعية المرموقة... وقد أكسبته تلك العلاقة الحميمة في معظمها مكانة في قلوب المشقاصيين فأحبوه وعدّوه أخاً كبيراً لهم وظلت هذه العلاقة ثابتة متينة مستمرة إلى ما بعد إحالته للتقاعد عام ١٩٥٣ م" ص ٣٥. أكتفي هنا بما تم استعراضه عن مقدمة الكتاب آملاً استكمال قسمي الكتاب في حلقة قادمة بمشيئة الله.

حيث كانت الغلبة في هذا الصراع للقعيطي عندما سيطر على الموانئ الشرقية لحضرموت، ومنها ميناء مدينة قصير، وهي الميناء الرئيس للمشقاص، ودحر آل كثير، واعتراف بريطانيا بالوجود القعيطي، ومن ثم تأسيس السلطنة القعيطية بحضرموت. أمّا العنوان الثالث فكان "مخارش حاكماً"، وتحته سرد الأستاذ الملاحى كيف ومتى تم تعيين القائم مخارش كحاكم قعيطي على الريدة (ريدة عبد الودود) وملحقاتها، إذ أوضح أن تعيينه قد تمّ عام ١٩٠٦ م، أي بعد مرور تسعة وثلاثين عاماً من سيطرة القوات القعيطية على ميناء قصير، هذه الفترة الزمنية الطويلة تعني أن استتباب الأمر والوضع للقعيطي لم يكن سهلاً في منطقة المشقاص حيث شهدت تلك السنوات توتراً شديداً بين الوجود القعيطي والوجود السكاني لقبائل تلك المنطقة، وكان على القعيطي تلمس وسائل سلمية لتجنب المواجهات المباشرة مع تلك القبائل، وكان السبيل إلى ذلك عقد اتفاقيات مصالحة واعتراف، مثل اتفاقية صلح المسندة عام ١٨٧٧ م ص: ٢٩ والتي تمت فيها المصالحة والاعتراف المتبادل بين آل كثير وحلفائهم والقعيطيين وآل يمانى التميميين، وترسيم الحدود بينهم، وعدم تدخل كل منهم في شؤون الآخر ص: ٢٩. غير أن هذه الاتفاقيات لم تمنع نشوب صراع مؤثر في الواقع الاجتماعي بين قبائل الحموم والسلطة القعيطية، ويشير الأستاذ الملاحى إلى هذه المصاعب التي حدثت في عهد القائم مخارش، مثل اعتقال حاكم الشحر القعيطي لأفراد من الحموم وإعدام ٢٧ زعيماً من زعمائهم، وكانت ردة الفعل الحمومي على هذا الاعتقال والإعدام فيما سمي باحتلال الحموم لمدينة الديس الشرقية عام ١٩٢٥ م، هكذا تزعزعت الثقة بين السلطة القعيطية والوجود القبلي بالمشقاص، التي يسيطر عليها القعيطيون، وصولاً إلى عام ١٩٣٧ م. حين دعا السلطان صالح بن غالب القعيطي، وبتأييد من بريطانيا إلى عقد صلح عام بين عموم قبائل حضرموت لمدة ٣ سنوات، وإلغاء ما كان بينهم من خلافات وصراعات وثورات، وتجدد هذا الصلح العام لعشر سنوات من عام

مجرد قراءة بصوت مسموع في كتب مختارة (سلسلة أحاديث على السجية)

الصنيع (أي جامع الديوان) .. وأشار في الإهداء، إلى أن الديوان
يحتوي على أشعار جمعتها من شتات خلال سنوات عدة،
إذ تراكم عليها الإهمال والنسيان ومزقتها أيدي الضياع ..
وقد تحدث الكثير من العلماء والأدباء والشعراء عن حامد
السري، يقول صالح بن علي الحامد (ضمن مقاله شعراء
وأدباء آخرون):

الحامدُ الجُهْدُ النحريرُ

مَنْ بَهَّرَتْ

أوصافه الغرُّ من وافى يناظره

ويقول علي أحمد باكثير:

إنَّه حامدُ السَّريِّ حليفُ العلمِ قد سادَ بين قاصٍ ..

وداني



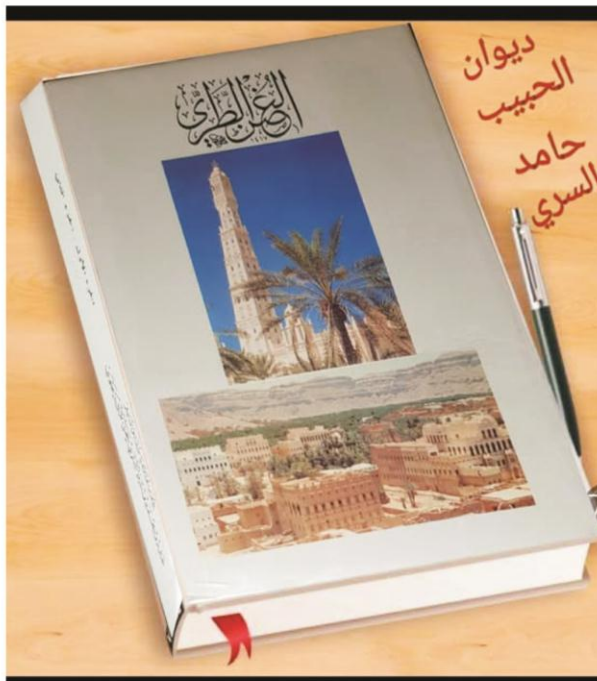
صالح سالم عمير

الغصن الطري من حدائق الفكر الثري

هذا الكتاب الموسوم (الغصن الطري .. من حدائق الفكر
الثري) للعلامة الشاعر الناصر حامد بن محمد بن سالم السري
جمل الليل باعلوي (١٣١٠ - ١٣٩٦ هـ) .. جمعه الفنان
المعروف حسن علي حامد السري جمل الليل (حفيد الشاعر) ..
يتألف هذا الكتاب أو الديوان وهو في مجلد أو سفر عظيم
من جزئين .. ويتضمن حياة الشاعر السري وأدبه وشعره ..
(الفصيح والعامي).

الكتاب طبع في القاهرة بمطابع المكتب المصري الحديث
في محرم ١٤٢١ هـ الموافق إبريل ٢٠٠٠ م ..

يُشير جامع الكتاب في المقدمة إلى أن العلامة الأديب محمد
بن أحمد الشاطري راجع الكتاب وأشرف على تصحيحه
حتى خرج في هذه الحلة القشبية، وأنه لم يسبقه سابق إلى هذا





الشاعر حامد بن محمد بن سالم السري
جمل الليل باعلوي

نماذج من شعر حامد السري:

يقول في قصيدته (دمعة رثاء) يرثي ابنته الصغيرة:

كنتِ مثلَ الخَمِيلَةِ الغَضَّةِ الغَنَاءِ أَنْتِ

وفي يديكِ دَوَائِي

أَنْتِ رُوحِي وَرُوحَ رُوحِي

وراحي

وإذا ما مرضتِ أَنْتِ شِفَائِي

وإذا ما لثمتُ مِنْكَ خَدُودَا

كنتِ حَقًّا مَنْ أَسْعَدَ السَّعْدَاءِ

ويقول:

وإذا ما سمعتُ مُنْطَقَهَا العَذْبَ وَتَبْدِيلَ رَائِهَا.. بِالْيَاءِ

فكأنِّي سَمِعْتُ نَغْمَةَ دَاوُدَ يَدِبُ الرِّحْقُ فِي أَعْضَائِي..

وثمة تقاريط للكتاب السفر بأقلام أدباء وشعراء مشهورين
في المُستهل في حوالى ٢٠٠ صفحة من متن الديوان الذي
يقع في ٩١٥ صفحة..

يكتب الأديب محمد بن أحمد الشاطري قائلاً:

(وحامد السري هو العالم الذي لم يُثْنِ علمه عن الشعر،
كما لم يُثْنِ الشعر عن العلم)..

ويكتب في موضع آخر قائلاً:

(وبما أنه توجد في مدينة تريم نشأ وشب بها كثير من
نجوم الأدب اللامعة ومن فحول الشعر ممن هو في مستواهم
وعلى شاكلتهم كالشاعر المُفْلِق أبي بكر بن شهاب
والشاعر المعروف محمد بن حسن بن شهاب، فكثيراً ما
توجد بينه وبين البعض منهم مساجلات ومطارحات سواء
في الشعر الحكمي أو الحميني، ومعظم شعر شيخنا حامد
السري الحكمي أو الحميني كله جيد)..

ومن غرر قصائد حامد السري الغنائية التي ينسبها البعض
أحياناً لشعراء آخرين قصيدة:

بالغواني

قلبي مولع هايم وفاني

دايم يدير الفكر

كم يعاني

في حب خرعوب سوس مباني

في القلب له دور.. وحصون!!

ويعلق الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري على هذه الأغنية

(بالغواني) قائلاً:

فإنها من أبدع قصائده، وقد شاعت في الأوساط الحضرية..

وتغنى بها المغنون بنغمات شجية في مجالس الأُنس والسمر..

وغیرها)..



الفنان حسن علي حامد السري جمل الليل
(حفيد الشاعر)

وفي قصيدته عن سيئون يقول:

بسيئون على تلك الرّحابِ
ذكرتُ على النوى عهدَ التصابي
وأوحشني التباعُدُ عن أهيلي
وأشجاني وهيجَ بعضَ مابي
وَبِتُّ أَحِنُّ من شوقي إليها
كما حَنَّ المَشِيبُ إلى الشبابِ
فيا سيئون أشكو إليك مابي
ويَعذُبُ في تَجَنُّيكِ عذابي!!

وفي الديوان أكثر من قصيدة عن تريم يقول في قصيدة
(الحنين إلى تريم):

إنَّ لي في الحبيبِ خيرَ خصالِ
باقيات من الهوى صالحاتِ
يعشقُ الحُسْنَ والملاحَةَ قلبي
كيفَ لا والجميلُ من عاداتي
ليتَ شعري هل (تسمحو) بوصالِ

يا أحبيبابُ قد ملكتم حياتي
وإذا ما النسيمُ هبَّ لنا يوما
ذكرتُ حميدَ تلك الصفاتِ
من ربُّوع الغناء تريمَ وحيّا
ما مضى لي بها من الأوقاتِ

ويقول عن تريم أيضاً:

بلدةٌ تُنبِتُ الشُهامةَ والعِلْمَ وفيها ترى الوجوه الصِّباحا
كم حضرنا بها مجالسَ عِلْمٍ
تُكسِبُ النفسَ بهجةً.. وارتياحا
ويقول في قصائد أخرى:

رشاً من هواه لستُ بناجي
مرّضي في جفونه.. وعلاجي!!

وكذلك قوله:

أدر لي أحاديثَ الصبابة .. والوجدِ
وعرّضْ بذكرى منتهى السؤل .. والقصدِ
وعلّلْ بمن قد مازجَ الروحَ حبه
وفتّتْ أكبادَ المُحِبِّينَ.. بالصدِّ

ويقول:

إن غبتَ عني فإني
لم يَصْفُ عيشي .. بعدك
فإن شوقي شديدٌ
إذا تخيلتُ.. خدكُ
إن تنسى عهدي فإني
والله لم أنسَ عهدكُ
قدْ قُدَّ بالحزن قلبي
لما.. تخيل.. قدكُ

* * *



نفسها حتى اللحظة، وقد غُبن هذا الشاعر ولم يُصَف ولم يُذكر
أو يُكرَّم بما يليق بريادته الفنية، ونختار من النص ما يأتي:

قال حامد ليالي تقلَّب سامر الجاه قلبي معذب
ناحل الجسم والرأس شيب من هوى كاحل الطرف نعلان
هيج القلب صوت الحمايم بات يسجع ونا بت هايم
ذكر القلب حلو المباسم باهي الخد منسوع لسيان
حاز حُسن الحضَر .. والبدواة والروش والترف والطراوة
والنعومة وكل الحلاوة كامل الحُسن للغيد سلطان
ناعس الطرف زين الفعالي في عيونه سكب للقتالي
والقمر في جبينه يلالي شارقة منتصف شهر شعبان!!
عذب عذبتنا بالقساوة يارضِي خل هذي الغباوة
لو تبا مامعي ف ارض جاوة عاهد الله من خان لا كان
لو سمح لي حبيبي بخصله في الوجن با تمتع بقُبلة
علّ يرضى ويسعف بوصله فضل منه مع جود وحسان!!
باللقا للمعنّى تكرم جد بلقياك في الليل لظلم
وانت يا عذب تدري وتعلم إنني صادق الود... حبان
والمحبة لها في فؤادي يأمئى مُهجتى ألف وادي
بينهن صرت رايح وغادي ذاهل العقل ولهان حيران
شعب عديد ياخير وادي باكرته المزون الغواي
للصفا فيه والأنس نادي يجمع الشمل ما بين لاختوان
يا رعى الله زمان التهاني حين نجني لذيد المجاني
في حمى اهل الوجوه الحساني نحتمي خمرة الحب... ألحان
قد بسطنا بساط المودة والصفاء بـ...يتنا فاح نده
نحمد الله في خير بلدة تتم الله لنا القصد... والشان
في تريم البلد ماكماها دايم النور يعلي سماها
دايم النفس تطلب هواها .. إلخ ..

وثمة قصائد عدّة في ديوان الغصن الطري في الرثاء، وفي المديح
ومنها قصائد عدّة في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم،
وفي مدح آخرين كثر... مثل شيخه العلامة علي بن محمد الحبشي
والملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، وعلوي المالكي،
والحضراني ومحمد بن عيدروس الحبشي وأعضاء جمعية
الحق بتريم وغيرهم..

وثمة قصائد قليلة أطلق عليها جامع الديوان (أرجوزات)
وهي قصائد بالفصحى ولكنها متنوعة القوافي وبحورها واحدة..
ثم (الشعر الحميني) كما أسماه الجامع للديوان.. وهي
نصوص دارجة عذبة ووفيرة.. تبدأ بتقاريط شعرية أيضاً
لشعراء كبار، مثل حداد بن حسن الكاف والمحضر
وصالح بن محسن الحامد.. وجعفر السقاف.

* * *

(الجزء الثاني الشعر الحميني)

ولا بأس أن نلقي بعض الضوء على ديوان حامد السري
الحميني، فقد نظم كثيراً على ألحان الدان الحضرمي وعلى
ألحان أخرى متنوعة، ويتمثل في أشعاره الغنائية الذوق الفني
العذب، حيث ترق المشاعر ويسود الانسجام والصفاء بين
الشعراء وهواة هذا الفن الجميل، ويتغنى المغنون بنغمات
شجية في مجالس الأُنس والسمر والدان!!

وقد اخترنا نماذج من أشعار (الغزل)، ونماذج من أشعار
الغربة ومعاناتها التي يُصوّرها الشعر.. ثم نختم بنماذج من
أشعار التقريظ للديوان.

لعلّ من أجمل نصوص حامد السري الغنائية النص التالي
على لحن (بابقع عرس في ذي الليالي) وهو نص طويل وجميل،
ومكتنز ومترع بالغنائية العذبة.. ويتبيّن لنا من خلال هذا
النص أن الشعراء الغنائيين الذين أتوا بعد الشاعر الرائد..
مازالوا يكرّرون ويجتروّن هذه الصوّر الشعرية نفسها والمعاني



وقد نَظَمَ الشاعر السري على ألحان الدان الحضرمي
القديمة المتنوعة - فحفظها من خلال المحافظة على أسمائها
وأوزانها .. يكتب في مُستهل القصيدة وهي على لحن كذا وكذا ..
وأحياناً يكتب في عبارة (قال على لحن الدان الحضرمي):

ياناس ايش الوسيله

في ظبي حُلُو المقل

لي فاق ظبي الطويله

قلبي أنا منه عليل

ويقول في نص آخر:

القلب دايم يحبك والعين دايم تراعيك

العين قط ما رأت في الزين يازين ثانيك

متى متى يا حبيبي اصبحك أو أماسيك

وما تريده تفضل حاشاي اقصر أمانيك

سبحان رب السما كل ماله الا يحليك

حسيت دقات قلبي يا نور عيني تناديك

ومن رحيقك متى تسقيني إنته وأسقيك!!

ونظم حامد السري على بعض الألحان الصنعانية مثل
لحن (أحبة ربى صنعا عجب كيف حالكم) وعلى أصوات
الدحيقة (حبيبي مولع للوطن مشتاق).

ويقول:

يا فايق الغزلان ما مثلك ينافس

تزري بأغصان الربى ذيك الموائس (أي المياسة)

خذني حبيبي لك انا دايم موانس

با ذوقك طعم الهوى رابع وخامس

قد زاد شوقي والشجن هي والوساوس

لجلك سمير الليل .. يازين المجالس

إلى متى قلبك يظل بي ماهو .. حاسس

في العشق ما مثلي ولا لي حد .. ينافس!!

* * *

ومن الأشعار التي تعكس آلام ومعاناة الاغتراب يقول على
لحن (سقى الله روضة الخلان):

إلى الغنّاء بلادي دوب

يحن قلبي بها مشغوب

وأشواقي بليل ونهار

بجاوه طالت الغربه

حياتي كلها كُربه

علينا طالت الأسفار

بدعوه اذكروا .. حامد

إلى الغنّاء يقع وافد

على الموبيل والطيار



الحمد الطيّب

١٤١٧

مِنْ خَدَائِقِ الْفِكْرِ الثَّرِيِّ

لِلإمام العلامة الشاعر النابغة
خامد بن محمد بن سالم السري جمل الليل بأعْلُوِي

جمعه الفقير إلى ربه حسن علي حامد السري جمل الليل

الجزء الأول - الجزء الثاني

حياته أدبه شعره

حقوق الطبع محفوظة لعلي حامد السري وأولاده

يوزع مجاناً



ما اليوم ياغارة الله دائما نشتكي
سيئون لوما علي حبشي مابانجي
غربة وكربة ودمع العين ماينتهي !!
سيئون لوما علي حبشي مابانجي

نماذج من أشعار تقريظ الديوان (نختار من كل قصيدة
أبيات معدودة):

يقول حداد بن حسن الكاف:

حامد سري الذي له .. في المجد أعلى مقر
في الكون قد شاع صيته عمّ بحرا .. وبر
يابن محمد يكفّي من طول هذا السفر
تريم ترعب وصالك قد استجاب القدر

ويقول أ. جعفر بن محمد السقاف:

يا نجم شارق وألحانك وشعرك نفخ بالمسك والعنبري
تريم تسجع بأنغامك وذكرك وسَطَ عيديد كالزهري
الدان يذبح تنسّس به وتنوح مع الشعّار في المسمري
ويقول حسين أبوبكر المحضار:

يكفيه ويشرفه إن شيخه وصهره الشاطري
ولا قرأ مثلك علي باحارته والجابري

والشكر والتقدير لك يا جامع الغصن الطري

ويقول حسن عبدالله باحارته:

حامد محمد السري نذكره جيلاً بعد جيل
شاعر حُميني حكّمي في الشعر أمثاله قليل
تريم تشهد له وجاوى والمدينة .. والسحيل

* * *

ختاماً.. أسمى تحية لجامع الديوان الفنان حسن علي
حامد السري، ولكم أحبّتنا ...

يشير جامع الكتاب المزدان بالصور حفيد المؤلف حسن
السري في مستهل أغلب القصائد بقوله (وقد مزّقها أيدي
الضباع) أو قوله (لم أعر عليها كاملة فقيدت ما وصلني منها) !
فشكراً له، فلو لم يتولّ طبع هذا الكتاب الفخم، لربما ضاع
كل هذا الموروث الفني الرائع والوفير.

ويقول على لحن (قال بن هاشم انا قلبي سلي):

لا متى حامد في الغربه سنين
غاب عن أهله وصحبه والبنين
آه ياما بي طعمت الحلو .. قار
عود الله من تغرّب .. للديار
يا مسيكن الذي مثلي بلي
في فراق الزين وفراق الهلي
كل شي مقبول إلا الانتظار

ضاق انا صبري وشوقي جيم ميم
جسمي في جاوه وروحي في تريم
ارحموا من فارق احبابه وسار
عود الله من تغرّب .. للديار

ويقول على صوت الدحيّة:

يامرّوح إلى الغنّا بلادي

قف تفضّل فضيله

برسلك لا أحيابي وسولي

قل لهم إنّ حامد في تناكيد

* * *

ولأننا قد تحدثنا في المستهل عن أغنيته الشهيرة (بالغواني)
نختار لكم هنا أبياتاً من قصيدته (سيئون لولا علي حبشي
مابانجي) الدارجة - (وبالمناسبة كل العلماء والشعراء الكبار
في حضر موت أو أغلبهم كتبوا أشعاراً باللهجة بالدارجة):

سيئون لوما علي حبشي مابانجي

النود من حيّها لاهب نسّم علي

سيئون لوما علي حبشي مابانجي

عالقرن من حين تقبل ينشرح خاطري

سيئون لوما علي حبشي مابانجي

وعاد لي في أنيسه يوم ماينتسي

سيئون لوما علي حبشي مابانجي

ونقطف أثمار من خرف الحبيب الرضي

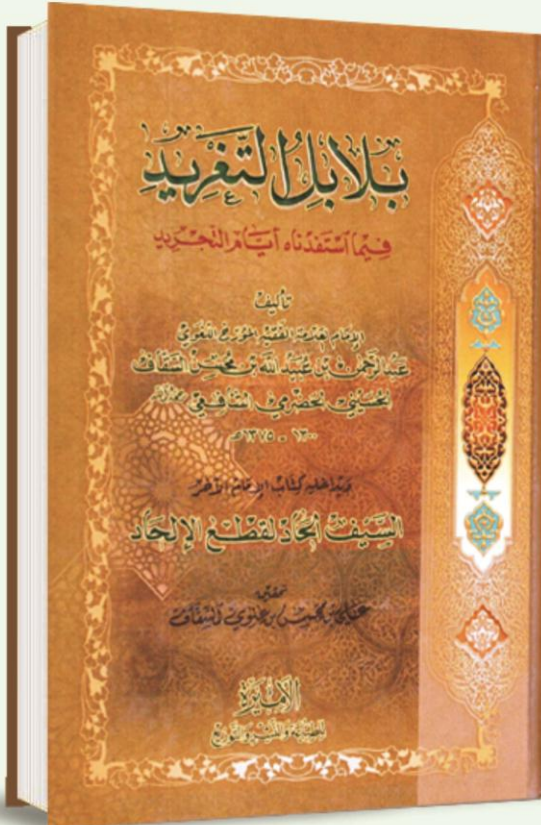
سيئون لوما علي حبشي مابانجي

أكبر أغراض الزوجية وما يضادها عند العلامة ابن عبيد الله السقاف

فلنصحب السيد السقاف في نثره من الدرر في هذا الموضوع؛ إذ قال - رحمه الله -: (ص ١٠٤-١٠٥): "إن أكبر أغراض الزوجية؛ التأسي في المُلَمَّات والتعاون على المهمَّات. فمن لم تكن له زوجة يُفْضي إليها بحزنه، ويتحدث لديها بما يهمه. فمن أين يعرف قلبه السكون، أو تطرق خاطره الراحة؟. فأما إرضاء الشهوة المستعجلة، وابتغاء اللذة المحدودة، فأتفه مقاصد الزوجية.



طارق بن محمد سكلوع العمودي



لقد كشف لي الكتاب القيم النافع الضخم: "بلابل التجريد" فيما استفدناه أيام التجريد" لدى عكوفي على قراءته في هذه الأيام المباركة من العشر من ذي الحجة. على عبقرية ابن عبيد الله السقاف؛ وأنه موسوعة في كثير من العلوم. ومن ذلك مشابهيته لابن خلدون في التخصص الاجتماعي، فتجده يصرح بالمشكلة الاجتماعية، ثم يقررها، ويحللها، ويأتي بعدها بالحل والعلاج. وكل ذلك بقالب أدبي بليغ رفيع، ومن درر الكلام وجواهره. ومن هذا الباب كلامه عن رباط الزوجية بين الرجل والمرأة، وأكبر أغراضه التي تبقى على عافيته، فيجنبه الملل والرتابة، وربما إلى الطلاق.



العلامة ابن عبيد اللاه السقاف

فقد أورد في كتابه: "إدام القوت في ذكر بلدان حضر موت" (ص ٥٩٦-٦٠١) صورة اجتماعية ناصعة عن رباطه الزوجي مع زوجته رحمها الله، وأورد من الحقائق ما لا يكاد يذيعها أي أحد منا عن رباطه الزوجي الشخصي، ولكنه هو قد فعلها! فلله درّه من مربٍّ، ينثر تجاربه بكل صدق وأريحية لجيله ولمن بعده؛ للاتعاظ وأخذ العبرة.

ويكفيينا من كلامه الطويل السلسيل البليغ عن رباطه الزوجي قوله: "وأنا وإياها - والله الحمد - في عيش طيب، وبال رخي، وسكون تام، ومودة ورحمة، واسترسال ومؤازرة، لا نختلف في شيء قط من أمر الدنيا...".

والله حري بكل واحد منا الوقوف على ما قاله حيال ذلك؛ ففيه ما يحلُّ الحبوة، ويحملق العيون اندهاشا.

ولذا ضمنت ذلك في كتابي: "النساء الحضرميات إشرافات ونوادر من أخبارهن"، والله ولي التوفيق.

ولو لم تكن كذلك لما كان أرقى الخلق حظاً منها أدناهم منزلة وأصغرهم قدراً، وهو الذباب؛ إذ يظل متزاجاً مع منكوحته طيلة النهار.

وأحرى بمن توفّق لزوجته صالحة، تشاطره متاعب حياته، وتفرّج عليه كرباته: أن تنبسط روحه، ويكثر فتوحه، ويصح جسمه، ويزيد غنمه، ويطول عمره، ويدوم بهاؤه، ويشمل هناؤه، ويقل عناؤه، ويتلأأ ماءُ خدّه، وتنصع بضاضة جلده. وقد كان ذلك موجوداً بسوق الطبيعة في الأزمنة السابقة. وربما بقيت آثاره في القرى والبوادي إلى اليوم.

أما في الحواضر، فلن يوجد إلا بالتربية الصحيحة، البعيدة عن المصائب العصرية.

فكثير من سفهاء الأحلام، وصغار العقول، ومعدومي المروءة، يغبطون الإفرنج والمتفرنجين على تعلم نسائهم ومشاركتهم لهم في بعض الأعمال. ولو كشفوا عن سرائر قلوبهم لألفوها تحترق بنار الغيرة من مفاصد السفور الفاحش، التي اضطر كثير منهم إلى إثارة العزوبية. إذ هم ليس إلا كما قال أبو الطيب:

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها

إني بما أنا بك منه محسود

لأنه لا ينفذ إلى قلوبهم شيء من السكون الذي امتن الله به في الزوجية على عباده؛ إذ يستحيل دون أن يكون قلب المرأة خالصاً للزوج.

فأما التي تمارس الشباب، وتراقص الأحباب، فلن يبق في قلبها إلا أرذل المواضع لزوجها، وما بين العينين لا يوصف. فالاعتناء بشأن المرأة حجر الأساس، وأول المهمات، وألزم الواجبات، والله اعلم.

قلت: ولم يكن أعلاه كلام نظري من السيد السقاف؛ فلقد كان مترجماً واقعاً، والله الحمد في حياته.

الشيخ الفقيه عمر حاج باقمري ومسيرة من العطاء الفقهي



مقدمة:

الحمد لله ناشر الشَّاءِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامِ الْأَتْقِيَاءِ، وَعَلَى آلِهِ أَهْلِ الْفَخْرِ وَالْإِصْطِفَاءِ، وَأَصْحَابِهِ نُجُومِ الْإِهْتِدَاءِ، وَبُذُورِ الْاِقْتِدَاءِ.

وَبَعْدُ: فَهَذِهِ تَرْجُمَةٌ لِلْعَلَامَةِ النَّبِيَّةِ، وَالشَّيْخِ الْفَقِيهِ: عُمَرُ بْنُ حَاجٍ بَاقُمْرِي، قَيَّدَتْهَا مِنْ لَفْظٍ فِيهِ، وَرَقْمَتْهَا مِنْ دُرَرٍ لِآلِهِ، وَهِيَ خُلَاصَةٌ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ جُلُوسَاتٍ

مَعَ جَنَابِهِ وَمَعَالِيهِ، وَقَدْ زِدْتُ فِيهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِتَرَاجُمِ شُيُوخِهِ وَمُعَلِّمِيهِ، [وَسَمِيتُهَا بِ(النَّفْحِ الْعَطْرِيِّ فِي تَرْجُمَةِ الْعَلَامَةِ الْفَقِيهِ عُمَرَ بْنِ حَاجٍ بَاقُمْرِي)]، وَنَسَأْتُ اللَّهَ أَنْ يُزَيِّنَ بِإِفَادَةِ الْأَنَامِ أَيَّامَهُ وَلِيَالِيهِ، وَيَجْعَلَ مَا كَتَبْنَاهُ مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُهُ وَمَرَاذِيهِ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ حَكِيمٌ فِيمَا يُقَدَّرُهُ وَيَقْضِيهِ.

[وَبِحَكْمِ أَنْ الشَّيْخَ اطَّلَعَ عَلَى التَّرْجُمَةِ وَقَرَّظَ لَهَا، فَقَدْ أَبْقَيْتُهَا كَمَا هِيَ، وَجَعَلْتُ الزِّيَادَاتِ الَّتِي زِدْتُهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ بَيْنَ قَوْسَيْنِ مَعْقُوفَيْنِ].

وَهَذَا أَوَانُ الشَّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ.

اسْمُهُ:

هُوَ الشَّيْخُ الْفَاضِلُ: عُمَرُ بْنُ حَاجٍ بْنِ مُبَارَكٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بَاقُمْرِي.

وَالِدُهُ:

حَاجٌ بْنُ مُبَارَكٍ بَاقُمْرِي، كَانَ يَعْمَلُ فِي الزَّرَاعَةِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَلَدَةِ (غَفِيَّتْ): بِفَتْحِ الْغَيْنِ، فَكَسَرَ الْفَاءَ الْمُشْدَدَّةَ، وَسَكُونِ الْيَاءِ، آخِرُهَا تَاءٌ مَفْتُوحَةٌ: قَرْيَةٌ قَرِبَ بَلَدَةِ الْعُيُونِ [تَشْرِفُ عَلَى وَادِي حَوِيرَةٍ، بِهَا مَاءٌ وَنَخْلٌ]، وَتَقَعُ ضَمْنِ مَدِيرَةِ غِيلِ بَاوَزِيرِ.

[وَجَدَهُ: مُبَارَكُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَاقُمْرِي كَانَ مَزَارِعًا كَذَلِكَ، وَكَانَ يَمْلِكُ نَحْوَ نِصْفِ مَزَارِعِ بَلَدَةِ (زَمَنْ)].

أُمُّهُ:

مِنْ آلِ بَاقُمْرِي مِنْ أَهْلِ بَلَدَةِ (زَمَنْ بَاهِيرِي)، وَهِيَ (زَمَنْ السُّتْلَى)، وَهِيَ تَابِعَةٌ لِأَرْيَافِ الْمُكَلَّا، وَتَقَعُ فِي وَادِي حَمَمٍ: بِكَسْرِ الْحَاءِ.

إِخْوَتُهُ:

لَهُ مِنَ الْأَخْوَةِ خَمْسَةٌ: أَرْبَعَةٌ ذَكَوْرٌ، وَأَخْتُ وَاحِدَةٌ تَوَفِّيَتْ وَهِيَ صَغِيرَةٌ.



محسن علوي أبوبكر باعلوي



87

العدد (35)

يناير
مارس
2025م

وكان ضمن طلبة الرباط سنة (١٣٥٧هـ)، و(١٣٥٨هـ) في دفعة سعيد بن عميران، وأبي بكر بن الشيخ محمد بلحيد، ثم أصبح في الدرجة السابعة سنة (١٣٥٩هـ) في دفعة يسلم رجب، ومحفوظ باسواقي، وكذا سنة (١٣٦٠هـ)، وفي الدرجة الثانية سنة (١٣٦١هـ) في دفعة إبراهيم مشمّع باوزير، ومحمد عتوت باوزير، وقد ذكرناه في كتابنا: «معجم تلامذة السيد محسن أبي نمي».

٢- أحمد بن سالمين باقمري:

صديق الشيخ عمر باقمري في طلب العلم، وهو في الأصل من سكان المكلا، وكان ينزل أيام الخريف إلى بلدة (كثبة)، وقد طلب العلم في رباط الغيل بصحبة صديقه الشيخ عمر باقمري، وفي الغيل حضر دروس الشيخ أحمد باغوزة البخاري، وحضر عنده أيضاً في بعض المختصرات الفقهية ك«السفينة»، أو «المختصر اللطيف».

وفي المكلا أخذ عن الشيخ سعيد باوزير، وعن الشيخ عبد القادر بن سعيد بن علي الحاج في مسجد (ورسما)، وعن الشيخ سعيد الرباكي، وعن القاضي محمد باجنيد قرأ عليه «المقدمة الحضرمية» في مسجد (عمر).

ثم اشتغل بالتجارة، وانقطع عن مدارس العلم، وقد ذكرناه ضمن تلامذة الشيخ محمد باجنيد في ترجمتنا للشيخ باجنيد المسماة بـ«حلل الأيد»^(٢)، وكذا ضمن تلامذة الشيخ عبد القادر ابن علي الحاج في ترجمتنا المسماة بـ«الابتهاج بترجمة الشيخ الفقيه القاضي عبد القادر ابن علي الحاج»^(٣).

زواجه:

١- تزوج وهو في سن أربع عشرة سنة، أرغمه والده على أن يتزوج بابنة عمه، وكانت تكبره سناً، ولم يكن الشيخ راضياً بذلك، فذهب إلى أخواله في بلدة (زمن) وكلّم جدّه ليتوسط له في فراقها، فتمّ له ذلك، وقد رزق منها بابت وبت توفياً.

ثم ذهب إلى بلدة (ثلة العليا) من أرياف المكلا وهو أعزب للإمامة في مسجدّها، وأوسكن في بيت الفضلي قريباً من مسجد باراجح، ومكث مدة يسيرة وهو كذلك.

مولده ونشأته وبداية طلبه للعلم:

وُلد -[رحمه الله]- في بلدة (زمن باهيري) بتاريخ: ٥ / ٢ / ١٩٤٤م) على مادون في بطاقته الشخصية، ثم نُقل وهو ابن الأشهر إلى قرية (غفّيت)، ثم انتقل وهو صغير إلى السكن في بلدة (كثبة) القريبة من (غفّيت)، وقد انتقل إلى كثبة جميع آل باقمري الساكنين بغفّيت.

[و(كثبة): بلدة بقرب العيون تتبع غيل باوزير].

وبداية طلبه للعلم كانت برباط غيل باوزير، فقد كان يذهب مع صديقه ونسيبه أحمد بن سالمين باقمري من بلدة (كثبة) إلى رباط الغيل مشياً على الأقدام، فيصليان في الرباط صلاة العصر، ثم يحضران درس البخاري للشيخ أحمد باغوزة شيخ الرباط في حينه، وكان يقرأ «البخاري» مع الشيخ باغوزة جملة من الشيوخ منهم: الشيخ سعيد بن عبد الصمد ابن قويرة باوزير، والشيخ عوض بن خميس بارادم، والشيخ محمد عتوت باوزير، والشيخ أحمد بارفعة، ودرس عند الشيخ أحمد باغوزة بعض المتون الفقهية المختصرة بعد درس «البخاري» كما سيأتي بيانه.

وحضر في هذه المدة دروس قاضي الغيل الشيخ علي بن سعيد بامخرمة في رمضان بعد عصر كل ليلة في المسجد الجامع.

ثم انتقل بعد ذلك إلى المكلا بقصد طلب العلم، وقصد الشيخ سعيد بن عمر باوزير، وسكن عنده في غرفة في بيته الكائن بالحارة جعلها الشيخ باوزير لطلبة العلم، وهي في الأصل غرفة الضيوف، وسكن معه من طلبة العلم: محمد باعبية العكبري، وسيول عمر من حجر^(١)، ومحمد سعيد باغيل.

[وكان في هذا الوقت يشتغل ببيع اللحم في خلف بالمكلا، وكان الشيخ سعيد باوزير يعينهم في نقله].

من عرف يطلب العلم من آل باقمري:

١- صالح بن يسلم باقمري:

من طلبة رباط غيل باوزير، أخذ به عن السيد محسن أبي نمي، والشيخ أحمد باغوزة، والشيخ محمد بلحيد باوزير،



بيت الشيخ عمر باقمري في حالة باعبود

٢- ثم تزوج وهو في ثلثة بامرأة من آل باحشوان من المكلا، وجلس معها نحو سنتين، ولم تنجب له، فأخبرها بأنه يريد أولاداً، ويريد أن يتزوج، فرفضت البقاء معه، وفضلت الفراق على أن يتزوج عليها، ففارقها.

وقد مكثت معه أغلب مدة مكوثه في ثلثة العليا، ونحو شهر في الشرج بعد رجوعه من ثلثة، ومكوث الشيخ بثلثة يقرب من السنتين.

[وأخبرني أنه أدرك في ثلثة منصب آل باعلوي وثلثة العليا جدنا الحبيب عمر بن محمود بن عبد الله باعلوي، قال: أدركته وهو شيخ كبير].

٣- ثم تزوج بامرأة أخرى من آل باحشوان من المكلا، وأصولها من بلدة (الهوتة): بلدة بأرياف المكلا، [وهي أم أولاده الكبار].

وسكن الشيخ عمر في باعبود بالشرج في بيت استأجره [ويقع في الجهة البحرية لمسجد باعبود] وتعود ملكيته للسيد هاشم بن محمود بن علي باعلوي كان وزيراً في دولة الواحدي، وهو من آل باعلوي أصحاب قوة، ثم بعد مدة بنى الشيخ باقمري له بيتاً في حافة باعبود قريباً من مسجد باعبود.

٤- [ولما انتقل إلى المهرة لم توافق زوجته على الانتقال معه، فزوج عليها، وقد انجبت له هذه الأخيرة أولاداً] (٤).

أولاده:

له ستة ذكور، وثلاث بنات، والذكور هم:

سامي، ومحمد، وحسين، وفهمي، وصلاح الدين.

وله من زوجته الأولى ولدان: ابن وبنت توفيا صغاراً.

شيوخ الشيخ عمر باقمري:

١- الشيخ العلامة المريني أبو محمد أحمد بن محمد باغوزة (١٣٠٩-١٣٩٨هـ):

وُلد بغيل باوزير سنة (١٣٠٩هـ)، وتخرج بالفقيه الأزهرى محمد ابن سلم (ت: ١٣٢٩هـ)، ثم رحل إلى سيون بعد وفاة ابن سلم، وأخذ عن الإمام السيد علي بن محمد الحبشي (ت: ١٣٣٣هـ)، وقرأ كذلك على الشيخ عمر بادباه (ت: ١٣٦٧هـ) بالصداع، وله إجازة من الشيخ المحدث عمر المحرسي

(ت: ١٣٦٨هـ)، ومن الفقيه ابن سلم، وتولى مشيخة الرباط بعد وفاة زميله السيد محسن أبي نُمي (ت: ١٣٧٩هـ)، واستمر عليها حتى وفاته سنة (١٣٩٨هـ) (٥).

ويعد الشيخ أحمد باغوزة أول شيخ فتق قلب الشيخ عمر باقمري بالعلم، درس عليه أكثر من سنة، كان يذهب إلى الرباط من بلدة (كثيبة) مشياً على الأقدام مع صديقه أحمد بن سالمين باقمري، ويصليان العصر في الرباط ويحضران درس الشيخ أحمد باغوزة في «صحيح البخاري»، وأخذ عنه أيضاً بعد درس البخاري بعض المتون الفقهية المختصرة كـ «أبي شجاع»، أو (٦) «المختصر اللطيف»، إضافة إلى المناقشات والأسئلة العلمية، وكل ذلك بعد العصر، وكان الشيخ أحمد باغوزة يجلس بالقرب من الباب البحري للرباط بعد درس البخاري.

قال الشيخ عمر باقمري: «وكان الشيخ باغوزة شديد الحياء والورع، وله عمامة يسدلها حتى لا يرى بعينه شيئاً آخر».

وقال: «ما رأيت في الورع مثل الجوهي في المكلا، ولا باغوزة في الغيل».



89

العدد (35)
يناير
مارس
2025م

توفي الشيخ سعيد باوزير رحمه الله في (١٨ ربيع أول سنة ١٤٢٦هـ) = (٢٧ / ٤ / ٢٠٠٥م) (٨).

ويُعدُّ الشيخ سعيد باوزير أولَ شيخٍ للشيخ باقمري عند قدومه إلى بلدة المُكلا، وأعظم شيخ له في بدايات الطلب، وفتح الأبواب، فإنَّ الشيخ باقمري أولَ ما نزل المُكلا سكن عند الشيخ سعيد باوزير في غرفة في بيته الكائن بالحارة، وهي غرفة الضيوف جعلها الشيخ باوزير لسكن طلبة العلم الغرباء، وسكن معه في هذه الغرفة مُحمَّد باعبيَّة العُكبري، وسيول عمر باحسن من بلدة حَجَر، ومُحمَّد سعيد باغيل.

[وفي هذه المدة كان يشتغل ببيع اللحم في خلف، وكان الشيخ سعيد باوزير يعينهم في نقله].

ومكث عند الشيخ باوزير أربع سنوات درَّس عنده كتباً عدَّة: كـ «تنوير القلوب» للكردي، و«سفينة النجاة»، و«نيل الرجاء»، و«المقدمة الحضرمية»، و«شرح ابن قاسم»، و«فتح المعين»، ودرس عنده كذلك التوحيد والتَّصوف.

٤- الشيخ القاضي عبد الله بن عوض بن مبارك بكير رئيس مجلس القضاء العالي (١٣١٤-١٣٩٩هـ):

وُلد بغيل باوزير سنة (١٣١٤هـ)، واشتغل على الشيخ عُمر بادباه (ت ١٣٦٧هـ)، ولازمه نحو خمسة عشر عاماً، وأخذ عن الشيخ عُمر بن يعقوب باوزير (ت ١٣٦٠هـ)، ورحل إلى سيون وأخذ عن الإمام السيّد علي الحبشي (ت ١٣٣٣هـ)، ووُلِّي القضاء بالمُكلا سنة (١٣٥١هـ)، ثم وُلِّي رئاسة المجلس العالي، وتوفي سنة (١٣٩٩هـ) (٩).

والشيخ باقمري حَضَرَ دروس الشيخ عبد الله بكير التي كان يلقيها في مسجد الروضة بالمُكلا بعد صلاة العصر في شهر رمضان، وكانت هذه الدروس التي حضرها الشيخ باقمري هي آخر دروس الشيخ بكير في مسجد الروضة، إذ ضعفت صحته بعدها؛ فلم يستطع إقامتها، فأقامها بدلاً عنه ابنه الشيخ عبد الرحمن.

وقد حَضَرَ الشيخ باقمري جميع هذه الدُّروس أي دروس الشيخ عبد الله - من أول شهر رمضان إلى آخره، وكان الشيخ

وقال: «ومما علَّقَ بدهني أنه سُئل يعني باغوزة - عن الأوضاع في البلد، وذلك في بداية عهد الجبهة القومية، فقال: دع الاعتراض فما الأمر لك، ولا الأمر في حركات الفلك، الأمر لله عزَّ وجل، وما شاء الإله فَعَلَ».

٢- قاضي الغيل الشيخ علي بن سعيد بن أحمد بامخرمة (١٣١٤-١٣٨٩هـ):

وُلد بغيل باوزير سنة (١٣١٤هـ)، وأخذ عن الشيخ مبارك بن أحمد باحمدان (ت: ١٣٤٤هـ) أحد طلبة الفقيه ابن سلم (ت: ١٣٢٩هـ)، ثم رحل إلى سيون، وأخذ بها عن الإمام السيّد علي الحبشي (ت ١٣٣٣هـ)، ووُلِّي بعد ذلك قضاء غيل باوزير سنة (١٣٤٥هـ)، ولم يستمر فيه طويلاً، ثم وُلِّيَه مرة أخرى سنة (١٣٥٧هـ)، واستمر فيه إلى أن تقاعد سنة (١٣٧٦هـ)، ورحل إلى عدن بقصد العلاج، وتوفي بها سنة (١٣٨٩هـ) (٧).

والشيخ باقمري حضر دروس الشيخ علي بامخرمة التي كان يلقيها في رمضان بعد صلاة العصر مباشرة في المسجد الجامع جامع عبد الرحيم بن عمر باوزير -، وكان يقرأ في كتاب في فضائل الصلوة على النبي عليه الصلوة والسلام.

قال الشيخ عُمر باقمري: «ودرسه جميلٌ جداً، وصوته واضحٌ جميل ما تريده أن يقف، ولا أحد يقوم من الحاضرين، ولا زالت بعض مسائل الدرس عالقة بدهني إلى الآن، منها قصة المُربي الذي تحوَّل رأسه عند موته إلى رأس حمار، ومن ذلك الوقت وأنا أحب الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلّم».

٣- الشيخ سعيد بن عُمر بن عوض ابن طاهر باوزير (١٣٥٧-١٤٢٦هـ):

وُلد بالمُكلا سنة (١٣٥٧هـ)، وأخذ العلم عن السيّد القاضي حسين بن مُحمَّد بن الشيخ أبي بكر (ت ١٤٢٥هـ)، وعن الشيخ القاضي عبد الله بن عوض بكير (ت ١٣٩٩هـ)، والشيخ مبارك الجوهي (ت ١٣٩٤هـ)، والشيخ القاضي مُحمَّد بن عبد الله باجنيد (ت ١٣٩٥هـ)، والعلامة السيّد عبد الله بن محفوظ الحداد (ت ١٤١٧هـ).



90

العدد (35)

يناير

مارس

2025م

بكبير يشرح حديثَ عمرَ في أركان الإسلام، واستغرق ذلك منه جميع الشهر.

يقول الشيخ باقمري: «وشرُّهُ جميلٌ، ما تود أن تقوم منه، وصوتهُ جهوري، وكلامه مُرتَّب، لا تمل من مجالسته».

٥- الشيخ أحمد بن العلامة عبد الله بن محمد ابن طاهر باوزير (١٣٤١-١٤١٩هـ):

وُلد بالغيل سنة (١٣٤١هـ)، ونشأ بمدينة المكلا، واشتغل بالتدريس، وعملَ مُدرِّسًا في كثير من المدارس في المكلا والغيل وغيرهما، ودرَّس بالمدرسة الشَّرْقِيَّة بالمكلا ومن طلبته بها الأستاذ سعيد بن العلامة عبد الله بكير، وعُين مديرًا للمدرسة الوسطى بالغيل، وقام بالخطابة في مسجدي عمر والشهداء بالمكلا، وارتحل إلى الحجاز وعملَ إمامًا وخطيبًا لمسجد المشورة بجدة، وله إجازة من العلامة المحدث عمر المحرسي، وتوفي سنة (١٤١٩هـ).

والشيخ عمر باقمري درَّس على الشيخ أحمد ابن طاهر في بلدة (ثلة العليا) كتاب «قطر الندى»، وكان للشيخ أحمد ابن طاهر بيت في (ثلة) ينزل فيه أيام الخريف، وقد التقاه الشيخ باقمري عندما تولى إمامة مسجد باراجح بـ(ثلة).

[قال لي الشيخ عمر: (عندما كنت في ثلة قلت للشيخ أحمد ابن طاهر: أريد أن أدرس النحو عندك، وكان هذا في أيام الخريف، ففتح لي قطر الندى، وكنت مبتدئًا، فلم أفهم شيئًا].

٦- الشيخ عبد الله بن أحمد النأخي (١٣١٧-١٤٢٨هـ):

وُلد سنة (١٣١٧هـ) ببجل يافع، وانتقل إلى (حضر موت)، واشتغل بتحصيل العلم سنة (١٣٣٣هـ) على الشيخ سالم الكلاي (ت ١٣٦٢هـ) ببلد (تبالة) من قرى الشَّحْرَا ثم انتقل إلى (المكلا) وقرأ على السيد محسن بن جعفر أبي نُمي (ت ١٣٧٩هـ) في الحديث: البخاري ومسلم، وفي التفسير، وفي علم المنطق، والبلاغة، والبيان، وعلم الأصول، وهو صاحب فطنة وذكاء، وشهامة، وله معرفة بالتاريخ والأدب والأنساب، وُلِّيَ نظارة المكتبة السلطانية، وشغل سكرتير لجنة الشؤون الدينية وعمل مفتشًا عامًا في المعارف ثم نائبًا عن مدير المعارف، ثم رحل إلى (الحجاز) وأقام (بجدة) وتديرها،

وُلِّيَ إمامة وخطابة مسجد بابيضان، توفي سنة (١٤٢٨هـ) (١٠).

والشيخ باقمري درَّس على الشيخ عبد الله النأخي في مسجد بازرة بحي السلام بالمكلا في غرفة خاصة بالإمام في الصَّباح، وذلك عندما تقاعد الشيخ النأخي، درَّس عليه: «الملحة»، و«شرح ابن عقيل على الألفية».

٧- الشيخ مبارك بن سالم بن محمد الصَّدِّي الجوهي (١٣٩٤-١٣١٨هـ):

وُلد ببلدة (ريدة الجوهيين) سنة (١٣١٨هـ)، وطلب العلم برباط تريم، أخذ به عن العلامة السيد عبد الله الشَّاطِري (ت ١٣٦١هـ)، وارتحل إلى الحجاز وأخذ بها عن السيد علوي المالكي، والشيخ عمر المحرسي (ت ١٣٦٨هـ)، واشتغل بالإمامة في مساجد عدة بالمكلا منها مسجد بازرة، ومسجد بايعشوت، ثم انتقل إلى مسجد النور بعد وفاة إمامه الشيخ عوض بن سالم بلقدي (ت ١٣٥٤هـ)، واستمر على إمامة المسجد نحو (٣٥) سنة، وتوفي في (٢٨ صفر ١٣٩٤هـ) بمدينة الخبر بالسعودية (١١).

والشيخ عمر باقمري أخذ عن الشيخ مبارك الجوهي بمفرده بعد صلاة الفجر في مسجد النور بالحارة درَّس عليه «الآجرومية» بشرح دحلان مرتين أو ثلاث مرات، وأخذ عنه كذلك بيته الكائن في المنقذ بالشرج في الصَّباح في حدود الساعة التاسعة والنصف.

ودرس عليه كتبًا عدة مثل «منهاج النووي» درسه عليه مرتين، في المرة الأولى لم يكمله، وفي المرة الثانية افتتحه وأكمله، ودرس عليه كذلك «متممة الآجرومية»، و«الملحة»، وكتاب «قطر الندى» مرتين ولم يكمله، و«الرحبية» في الفرائض.

[وقال لي في بعض جلساته: (ثم ذهبت إلى الشيخ مبارك الجوهي، ودرست عليه الآجرومية، ثم شرح دحلان عليها، ثم حاشية الكفراوي، ثم الكواكب الذرية، ثم القطر، والشيخ الجوهي أكثر من استفدت منه في النحو].

وذكر لي أن أخذه عن الشيخ مبارك الجوهي كان بعد سفر الشيخ النأخي إلى الحجاز.



91

العدد (35)

يناير
مارس
2025م

فاستشرتُ شَيْخِي الشَّيْخَ سَعِيدَ باوزير فنصحتني بعدم الدخول، وقال لي: حتى لو رسبت ستوظف قاضياً، فامتنعتُ من الدخول مع أني كنت حينها في أشد الحاجة للقمّة العيش.

قال الشَّيْخُ عُمَرُ باقُمري في شَيْخه ابن علي الحاج: «العلامة عبد القادر بن سَعِيد بن علي الحاج النَّحْوِي، الأَصُولِي، الْمُحَقِّقُ المُدَقِّقُ، الشُّجَاعُ البَطْلُ، لا يخافُ في الله لومة لائم، يقول الحقَّ، ولو كان مرّاً».

٩- الشَّيْخُ عَبْد الرَّحْمَنُ بن الشَّيْخِ عَبْدَ اللَّهِ بِكَيْرٍ (١٣٤٢هـ) - ١٤٣٧هـ):

وُلِدَ سنة (١٣٤٢هـ) بالصداع من أعمال الغيل، واشتغل على يد والده الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ بِكَيْرٍ، وأخذ عن غيره من علماء عصره، منهم السَّيِّدُ محسن أبو نُمي، والشَّيْخُ عوض بلقدي، ورحل إلى السُّودان ودرس بجامعة الخرطوم، واشتغل بالتدريس، وعمل مساعداً إدارياً بالمجلس العالي، ثُمَّ مَفْتِشاً قضائياً، وتوفي يوم الاثنين (١٥ ربيع الثاني ١٤٣٧هـ) (١٣). وقد جالسه الشَّيْخُ باقمري في بيته كثيراً واستفاد منه، ومن المناقشات معه.

وللشَّيْخِ عُمَرُ ترجمة مختصرة عن الشَّيْخِ عَبْد الرَّحْمَنِ بِكَيْرٍ ضاعت عليه.

١٠- الشَّيْخُ الْقَاضِي سَعِيدُ بن مُحَمَّدٍ بَرَعِيَّةٍ (١٣٤٠هـ) - ١٤٣٤هـ):

وُلِدَ بغيل باوزير سنة (١٣٤٠هـ)، والتحق بالرباط سنة (١٣٤٧هـ)، وأخذ به عن السَّيِّدِ محسن أبي نُمي، والشَّيْخِ أَحْمَدَ باغوزة، وغيرهما، وبعد تخرجه من الرباط عمل مدرّساً، ثُمَّ التحق بكورس القضاء الرابع عند السَّيِّدِ محسن أبي نُمي، ووُلِّيَ القضاء بالغيل، وحورة، والقطن، ودوعن، وسيون، والشَّحْر، والمكلا، توفي يوم الاثنين (٢٥ صفر ١٤٣٤هـ) (١٤).

أخذ عنه الشَّيْخُ باقمري عندما كان قاضياً بالمكلا، وكان الشَّيْخُ برعية يسكن في بيت قريب من مسجد عمر في جهته القبليّة، وكان الشَّيْخُ باقمري يسكن في الشَّحْر، وبعد صلاة العصر كان الشَّيْخُ برعية ينتظر الشَّيْخَ باقمري في مسجد عمر، [وقد درس عليه النحو في العصر من كل أيام الأسبوع ما عدا

[قلت: ولعله نسيان من الشَّيْخِ؛ فإنه أخذ عن الشَّيْخِ الجوهي بدايات النحو إلى أن وصل إلى القطر، بينما أخذ عن الشَّيْخِ الناخبي شرح ابن عقيل، وهذا يقتضي أن يكون أخذه عن الناخبي متأخراً، ويمكن أن يحمل كلامه على دراسة الكتب الفقهيّة، يعني أن دراسته للكتب الفقهيّة عند الجوهي كانت بعد سفر الشَّيْخِ الناخبي، بخلاف كتب النحو، والله أعلم].

ويصفه الشَّيْخُ باقُمري بالورع، قال: «ما رأيتُ في الورع مثل الجوهي في المكلا، ولا مثل باغوزة في الغيل».

٨- الشَّيْخُ الْقَاضِي عَبْد الْقَادِر بن سَعِيدِ ابن علي الحاج اليافعي (١٣٣٥ - ١٤٢٠هـ):

وُلِدَ سنة (١٣٣٥هـ) في ساحة ابن علي الحاج بالقطن، وتلقّى العلم بترميم، وأخذ بها عن العلامة عبد الله الشَّاطِري، ثم انتقل إلى غيل باوزير، وأخذ برباطها عن السَّيِّدِ محسن أبي نُمي (ت: ١٣٧٩هـ)، وعن الشَّيْخِ أَحْمَدَ باغوزة (ت: ١٣٩٨هـ)، ثُمَّ دَرَسَ الْقَضَاءَ عند السَّيِّدِ محسن أبي نُمي في كورس القضاء الثاني، ووُلِّيَ الْقَضَاءَ بِحَجَرٍ، وَعَمِدَ والمكلا، ودوعن، ووُلِّيَ الإمامة بمسجد ورسمًا بشرج المكلا، ثم بجامع الشَّحْر، ثم رحل إلى الحجاز ووُلِّيَ الإمامة ببعض مساجدها، وتوفي بمدينة رسول الله في (٧ / ١٢ / ١٤٢٠هـ)، ودُفِنَ بالبقيع (١٢).

درَسَ عليه الشَّيْخُ باقُمري «المُقَدِّمَةُ الْحَضْرَمِيَّةُ»، و«متن أبي شُجَاع»، و«ابن قاسم على أبي شُجَاع»، و«الزُّبْد»؛ لكنه لم يكمله أي الزُّبْد، وكل ذلك بعد العصر في مسجد (ورسمًا)، في الوقت الذي كان يُدرِّس فيه طلبة كورس القضاء في الصَّباح. قال الشَّيْخُ عُمَرُ: «وفي الفترة التي كنت أدرس عنده كان يُدرِّس أي الشَّيْخَ عبد القادر - في كُورس القضاء دَفْعَةً سَعْدَ باشكيل، وعبد الرحمن باعباد (بالرَّصع)، وآخرين، طلبَ مني أن التحق بكورس القضاء، فقلتُ له: لا أرغب في القضاء».

قلت: وأخبرني الشَّيْخُ عُمَرُ سابقاً أنَّ الشَّيْخَ عبد القادر قال له: أدخل الكرّس عندنا وستحصل على راتب قدره (٢٠٠) شلن - أي في أثناء الدراسة - وإذا رسبت فلن تكون قاضياً لأنَّ الشَّيْخَ عمر كان يخاف من وظيفة القضاء - قال الشَّيْخُ عُمَرُ:



الخميس والجمعة، ففیهما ينزل الشيخ سعيد إلى بلده الغيل، والكتاب الذي درسه في هذه المدة هو كتاب «قطر الندى»، ولم يكمله، ثم درسه عنده مرة أخرى على الشيخ سعيد في الغيل، كان الشيخ باقمري ينزل من المكلا في حدود الساعة السابعة صباحاً، ويصل الغيل في حدود الساعة الثامنة، ويجلس مع الشيخ في بيته إلى حدود الساعة التاسعة، ثم يرجع، ويصلي الظهر في المكلا، يفعل هذا في الأسبوع مرتين، ودرس معه هذه المرة الكتاب نفسه «قطر الندى» كما سبق، وقد أراد الشيخ أن يكمله؛ لكن الشيخ برعية قال له: نبدأ من جديد، واستمر فيه، ولم يكمله أيضاً، وكان للشيخ باقمري في هذا الوقت دكان في الشرج.

ومن الكتب التي درسها أيضاً على الشيخ برعية كتاب «تكملة زبدة الحديث» للسيد محمد بن حفيظ.

[قال شيخنا عمر باقمري في أحد دروس (عمدة السالك لابن النقيب): كان الشيخ سعيد برعية دائماً يتمثل لنا بهذا البيت: العلم صيدٌ والكتابة قيدٌ صيودك بالحبال الوثاقفة فمن الحماقة أن تصيد غزاله وتتركها بين الخلائق طالقة قال لي شيخنا عمر: قال هذا يعني الشيخ سعيداً - لما رأي أقيد بعض الفوائد عنه].

[وقال أيضاً في بعض دروس عمدة السالك: (الشيخ سعيد متمكن في النحو، وكذلك الشيخ مبارك الجوهي)].

١١ - الشيخ القاضي سعيد بن عبد الصمد بن عمر ابن قويرة باوزير (١٣٣٥ - ١٤١٤ هـ):

وُلد بالغيل سنة (١٣٣٥ هـ)، وتخرج برباط ابن سلم، أخذ به عن السيد محسن أبي نُمي، وعن الشيخ أحمد باغوزة، ووُلِّي القضاء بالمكلا، والغيل، وحريضة، والهجرين، ودوعن، والقطن، وله إجازة من السيد محمد سالم بن حفيظ، توفي سنة (١٤١٤ هـ) (١٥).

والشيخ باقمري درس على الشيخ سعيد عبد الصمد عندما كان قاضياً بالمكلا، وكان الشيخ سعيد عبد الصمد ساكناً بالقرب من مسجد عمر، درس عليه بعد العصر في ضاحية

مسجد عمر البحرية كتاب «المنهاج للنووي»، وكذا «شرح ابن عقيل على الألفية»، [قال: وإذا كانت موجة البحر قوية فإنها ترش في جدار المسجد].

١٢ - الشيخ القاضي محمد بن عبد الله باجنيد (١٣٢٠ - ١٣٩٥ هـ):

وُلد سنة (١٣٢٠ هـ) ببلدة جحي الخناشبة من وادي دوعن الأيسر، وطلب العلم على يد والده القاضي عبد الله بن سعيد باجنيد، ثم رحل إلى مصر، والتحق بالأزهر الشريف، وتخرج منه سنة (١٣٤٤ هـ)، ثم درس به مرة أخرى من سنة (١٣٤٧ هـ) إلى سنة (١٣٥١ هـ)، ووُلِّي القضاء بالمكلا سنة (١٣٥٢ هـ)، ثم وُلِّي رئاسة الاستئناف سنة (١٣٧٦ هـ)، وعين رئيساً للأوقاف والتركات، وتولى خطابة جامع عمر بالمكلا، وتوفي بمدينة جدة سنة (١٣٩٥ هـ) (١٦).

والشيخ باقمري حضر درس الشيخ محمد باجنيد في مسجد عمر في كتاب «فتح المعين» بعد أذان العشاء، وحضر عنده أيضاً بعد العصر، وبعد الفجر في كتاب «رياض الصالحين» للنووي في مسجد عمر.

وحضر عنده أيضاً بعض دروسه التي كان يقيمها في جامع الشرج عصر الجمعة، وكان إمام جامع الشرج حينها السيد محمد بافقيه.

قال الشيخ عمر باقمري: «وكان الشيخ محمد باجنيد يلقي درساً جميلاً يعني الذي بجامع الشرج، وكان الشيخ باجنيد يأتي بسكتة بعد كل درس، وكنت أدون جميع نكته في دفتر؛ لكنه ضاع مني، [وكان بعض الشباب] يُقدِّم له بعد الدرس أسئلة عن المسائل الشائكة التي فيها منازعة، فكان الشيخ يُجيب فيها بجواب وسط يتحرى رضا الجميع، وسأله مرة عن لمس المرأة هل ينقض الوضوء؟ فأجاب بأنه ينقض، فقال بعضهم: ولا قدك باتقلد، فقال له الشيخ: ومن سيفتح لك؟».

قال الشيخ عمر باقمري عن شيخه باجنيد: «وله اتساع في الفقه، ومعلوماته فيه قوية؛ لكن يؤخذ عليه عدم تفرغه للتدريس»، وقد ذكرنا هذا في ترجمتنا لباجنيد والمُسماة بـ «حلل الأيد».



الحداد- على المبار كفوري بخط يده، وهي عندي].

قال الشيخ عمر باقمري: «وقد طلب مني شيخ العلامة عبد الله بن محفوظ الحداد مفتي حصر موت بعد الوحدة أن أقبل التوظيف في القضاء، وأنه سيعطيني شهادة يقبلوني قاضياً من دون اختبار، فقلت: إني لا أرغب في القضاء، فقال: يا شيخ عمر الحكومة سوف تعين قضاة من الشمال يترشون، وسوف تضيع حقوق الناس، والقضاء واجب عليكم، وفرض عين، فاعتذرت له؛ لأنني غير قادر».

[وذكر لي أن شيخه الحداد رشحه للقضاء بعد حرب سنة (١٩٩٤م) بسبب قلة القضاة الشرعيين، وقال له: لا أحد نعتد عليه إلا الله ثم أنت، فاعتذرت بسبب مشاكل القضاء في ذلك الوقت، ثم قال لي شيخنا عمر: لكنني ندمت اليوم على عدم تولي القضاء لما رأيت من فساد القضاة].

قلت: وهذا هو العرض الثاني للقضاء على الشيخ عمر، والعرض الأول عرّضه عليه شيخه الشيخ عبد القادر بن سعيد ابن علي الحاج، وقد ذكرناه في ترجمته.

وللشيخ عمر ترجمة مختصرة عن شيخه العلامة السيد عبد الله الحداد مكتوبة بالكمبيوتر، وتقع في صفحتين [وأغلبها مكتوب من ذاكرته، وقد عرضها علي للنظر فيها، وهي بحاجة إلى إصلاحات كثيرة، وقد نهته على أكثرها].

الوظائف والأعمال:

١- الإمامة والخطابة:

تولى الإمامة والخطابة في مساجد عدة، منها:

أ- المسجد الجامع بثلة العليا:

وهو أول مسجد تولى فيه الإمامة والخطابة، وهذا المسجد بناه المحسن سعيد باراجح العكبري، وقد بنى سبعة مساجد في أرياف المكلا منها مسجد المسنا ذو الأوقاف الكثيرة على القراءة، وعلى الإمام، وعلى الضيوف.

وقد اختار سعيد باراجح الشيخ عمر باقمري للإمامة في مسجد ثلة، وهو الجامع ويقع في الجانب الأعلى بجنب المقبرة، وسكن الشيخ في بيت الفضلي القريب من المسجد.

١٣- مفتي حصر موت السيد القاضي عبد الله بن محفوظ الحداد (١٣٤٣-١٤١٧هـ):

وُلد سنة (١٣٤٣هـ) في بلدة الدّيس الشّرقية، وأخذ عن قاضيهما أحمد باصلعة، ثم رحل إلى تريم، وأخذ عن جملة من علمائها كالسيد عبد الله الشاطري، والسيد محمد بن سالم بن حفيظ، ثم رحل إلى غيل باوزير، ودرس القضاء عند السيد محسن أبي نمي، وولي القضاء بالدّيس والحامي، ثم أكمل دراسته بجامعة الخرطوم بالسودان، وولي بعد ذلك القضاء بالشّحر، ووُلي رئاسة محكمة الاستئناف، ثم رئاسة المجلس العالي بعد الشيخ عبد الله بكير، وتوفي في (١٣ جمادى الآخرة ١٤١٧هـ) (١٧).

ويعدُّ السيد الحداد أعظم شيوخ الشيخ عمر باقمري، وأكثرهم نفعاً له، استفاد منه كثيراً، وكان يسأله عن دليل كل مسألة، وملازمته له كانت بعد رجوعه من (ثلة العليا)، وقد درس على السيد الحداد في بيته بمفرده في الصباح، درس عليه مجموعة من الكتب، منها: «الورقات» لإمام الحرمين، و«لطائف الإشارات شرح نظم الورقات»، و«تفسير الجلالين» قطع فيه شوطاً عظيماً، ولم يكمله، و«شرح ابن عقيل على الألفية» ولم يكمله؛ بل وقف عند باب الصرف، و«شرح البيهقي» و«شرح نخبة الفكر» للمحافظ ابن حجر، وكتاب «المنهاج» للنووي، وكتاب «علم أصول الفقه» لعبد الوهاب خلاص، وقرأ عليه المجلد الخاص بالنكاح من كتاب «الفقه الإسلامي» للشيخ وهبة الزحيلي.

[قال شيخنا عمر: (ولما كنت أدرس عند الحداد كان دائماً يعزو إلى الكتب، فيقول والمسألة في الكتاب الفلاني، ولم تكن لدي هذه الكتب، فلما اشتريتها بعد مدة رأيتها كما قال. وقال: كان السيد الحداد يحب القراءة والاطلاع كثيراً، وفي مرة تيسر لي كتاب (تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي، فشرعت في قراءة المجلد الأول، وطلب مني القراءة فيه، فأعطيته المجلد الثاني والثالث، فأنتهى من قراءتهما، وأنا مالم أزل في المجلد الأول- في أقل من نصفه-، وله تعليقات يعني



مسجد جامع باعبود بالشرح

[وذكر لي أن الذي حثّه على الإمامة في ثلة رجلاّن: منصب آل باعلوي وثلة العليا جدنا الحبيب عمر بن محمود بن عبدالله باعلوي، ورجل من آل باقضاف من العكابرة].

وقد مكث الشيخ باقمري في ثلة ما يقرب من سنتين، ثم قلّت أوقاف المسجد فتكلّم له باراجح في أن يُصرف له (٧٠) شلنًا.

ب- إمامة وخطابة مسجد باعبود بالشرح:

بعد أن قضى نحو سنتين في ثلة العليا بُني مسجد باعبود بالشرح، وبعد بنائه أعطيت إمامة المسجد لشخص من آل باراس، إلا أن الناس لم يرغبوه بسبب عدم قنوته في صلاة الفجر، وكونه لا يجهر بالبسملة، فلم يمكث في المسجد إلا مدة قليلة نحو شهر، وأُعطى المسجد بعدها للشيخ عمر باقمري، وقد عُيّن رسميًا من مدير الأوقاف حينها الشيخ عمر بن سُهيلان، ثم في هذا الوقت جاءت قضية تأميم أوقاف المساجد، وبسببها خرج ابن سُهيلان من الأوقاف.

وقد مكث الشيخ باقمري على إمامة وخطابة باعبود من سنة (١٩٧٣م) إلى سنة (١٩٩٤م)، وذلك نحو (٢١) سنة.

ج- [الخطابة] في مسجد ورسمًا بالشرح:

تولى خطابة مسجد ورسمًا بعد وفاة خطيبه صالح محسن اليافعي، وبقي على خطابته نحو شهرين، ثم انتقل إلى المهرة.

د- الإمامة والخطابة بمسجد خمسين شقة بالغيضة:

ثم اختير سنة (١٩٩٥م) للإمامة والخطابة مسجد خمسين شقة بالغيضة عاصمة محافظة المهرة، واستمر هناك نحو (٢٥) سنة، من سنة (١٩٩٥م) إلى سنة (٢٠٢٠م).

٢- التدريس:

واشتغل بالتدريس في مساجد عدة؛ منها:

أ- مسجد باعبود بالشرح:

درّس كتبًا عديدة، منها: «فتح المعين» درّسه في بداية استلامه المسجد بعد صلاة الفجر، وكان يحضر درسه في هذا الكتاب العلامة القاضي السيد محمد رشاد البيتي، ودرّس الموارد مارات، وهو يُدرس الآن سنة (١٤٤٣هـ) -

«الياقوت النّيس» للشّاطري بعد صلاة العصر، [ولم يكمله، ثم افتتح (عمدة السالك لابن النقيب) بعد صلاة المغرب في ١/ محرم/ ١٤٤٤هـ، ثم تحول الدرس إلى بعد صلاة العصر، ثم المنهاج للنووي افتتحه في محرم سنة ١٤٤٥هـ].

ب- مسجد المنقذ بالشرح:

نقل درسه في المنهاج إليه.

ج- في مسجد خمسين شقة في الغيضة بالمهرة:

كان يلقي الدروس به كل ليلة بعد أذان العشاء ما عدا ليلتي الجمعة والسبت.

د- جامع الحبيب سالم بالغيضة:

ويلقي دروسًا في جامع الحبيب سالم بالغيضة ليلة الجمعة من كل أسبوع في كتابه: «فقه العبادات في ضوء الكتاب والسنة».

هـ- الجامع الكبير بالغيضة:

وكذلك كان يلقي دروسًا في الجامع الكبير بالغيضة ليلة السبت من كل أسبوع بعد أذان العشاء.



مُصَنَّفَاتُ الشَّيْخِ عُمَرَ بِأَمْرِي:

١- شَرْحُ مَنْهَاجِ النَّوَوِيِّ:

كَتَبَهُ الشَّيْخُ فِي الْمَهْرَةِ، وَقَدْ طُبِعَ فِي أَرْبَعَةِ مُجَلَّدَاتٍ.

٢- فَهْمُ الْعِبَادَاتِ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ:

وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ إِلَّا فِي مَسَائِلَ قَلِيلَةٍ، لَمْ يَطْبَعْ، وَيَقَعُ فِي مُجَلَّدٍ كَبِيرٍ، كَتَبَهُ فِي الْمَهْرَةِ، وَأَخَذَهُ مِنْهُ شَخْصٌ فِي حُدُودِ سَنَةِ (٢٠٠٩م) وَلَمْ يَرِدْهُ، وَلَيْسَ مَعَ الشَّيْخِ نَسْخَةٌ أُخْرَى مِنْهُ.

٣- الْقَوْتُ بِشَرْحِ الْيَاقُوتِ:

وَهُوَ شَرْحٌ لِكِتَابِ (الْيَاقُوتُ النَّفِيسُ) لِلشَّاطِرِيِّ، كَتَبَهُ الشَّيْخُ فِي الْمَكْلَا، وَفَرَّغَ مِنْهُ قَرِيبًا، [وَقَدْ طُبِعَ أَخِيرًا، وَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِ أخطاءَ فِي الْأَحَادِيثِ وَغَيْرِهَا، وَأَنَّهُ بِحَاجَةٍ إِلَى الْمَرَاةَةِ].

٤- مُرْوِي الضَّمَّانَ بِشَرْحِ زُبْدِ ابْنِ رَسْلَانَ:

كَتَبَهُ الشَّيْخُ فِي الْمَكْلَا قَبْلَ الذَّهَابِ إِلَى الْمَهْرَةِ، وَقَدْ أَكْمَلَ الشَّيْخُ مِنْهُ بَابَ الْعِبَادَاتِ، وَيَقَعُ فِي مُجَلَّدٍ كَبِيرٍ، وَلَمْ يَطْبَعْ.

٥- الْكَوَاكِبُ الْبَهِيَّةُ بِشَرْحِ مَتَنِ الرَّحْبِيَّةِ:

طُبِعَ بِمَطْبَاعِ الْمَنَارِ بِالْمَكْلَا.

٦- تَيْسِيرُ الْوُصُولِ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ:

طُبِعَ بِمَكْتَبَةِ تَرْيَمٍ.

٧- الْجَهْدُ اللَّطِيفُ فِي جَوَازِ الْعَمَلِ بِالْحَدِيثِ الضَّعِيفِ:

طُبِعَ.

٨- خِتَانُ الْإِنَاثِ الْمَشْرُوعُ فِي الدِّينِ وَالطَّبِّ:

طُبِعَ بِدَارِ حَضْرَمُوتَ.

٩- فَتْحُ الْمَجِيدِ بَيَانُ أَحْكَامِ الْعِيدِ:

كَتَبَهُ فِي الْمَهْرَةِ، وَلَمْ يَطْبَعْ.

١٠- غَايَةُ الْمَرَامِ بِشَرْحِ قَوَاعِدِ الْأَحْكَامِ:

فِي الْقَوَاعِدِ الْفَقْهِيَّةِ، لَا يَزَالُ مَخْطُوطًا، وَلَمَّا رَأَاهُ دَكْتُورُ سُودَانِي يَدْرُسُ بِجَامِعَةِ الْمَهْرَةِ اقْتَرَحَ تَدْرِيسَهُ بِالْكَلِيَّةِ، فَقَرَّرَ تَدْرِيسَهُ لِمُدَّةِ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ.

١١- الْغَيْثُ الصَّبَّابُ عَلَى مُلْحَةِ الْإِعْرَابِ.

وَقَدْ مَكَثَ فِي الْمَهْرَةِ (٢٥) سَنَةً، وَالْكُتُبُ الَّتِي دَرَسَهَا فِي الْمَهْرَةِ هِيَ: «شَرْحُ ابْنِ قَاسِمٍ» مَرَّتَيْنِ، وَ«عَمْدَةُ السَّالِكِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَ«الْيَاقُوتُ النَّفِيسُ» خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَ«الْمَنْهَاجُ» لِلنَّوَوِيِّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

*[وَأَشْتَغَلَ أَيْضًا بِالتَّدْرِيسِ فِي بَيْتِهِ، وَمِمَّنْ أَخَذَ عَنْهُ فِي بَيْتِهِ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ الْفَقِيهُ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بَاقُطِيَّانَ لَا زَمَهُ ابْتِدَاءً مِنْ سَنَةِ ١٩٩٣م، وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ فِي بَيْتِهِ كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ شَرْحَ النَّوَوِيِّ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَيَحْضُرُ مَعَهُ ابْنُهُ أَبَا بَكْرٍ، وَكَانَ صَغِيرًا تَارَةً يَحْضُرُ الدَّرْسَ وَتَارَةً يَلْعَبُ مَعَ أَبْنَاءِ الشَّيْخِ عُمَرَ سَامِيٍّ وَمُحَمَّدٍ وَحُسَيْنٍ] (١٨).

٣- الْإِفْتَاءُ:

تَوَلَّى الْإِفْتَاءَ بِإِذَاعَةِ الْمَكْلَا بَعْدَ الْعَلَامَةِ الْحَدَّادِ فِي حُدُودِ سَنَةِ ١٩٩١م، وَاسْتَمَرَ نَحْوَ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ إِلَى حُدُودِ سَنَةِ ١٩٩٤م، وَوَلَّى كَذَلِكَ الْإِفْتَاءَ بِإِذَاعَةِ الْغِيْضَةِ بِالْمَهْرَةِ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةً تَقْرُبُ مِنْ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً.

٤- وَلايَةُ عَقُودِ الْأَنْكَحَةِ:

تَوَلَّى عَقُودَ الْأَنْكَحَةِ أَوَّلًا بِبَلَدَةِ ثَلَاةِ الْعُلَيَّا نَحْوَ سَتَتَيْنِ. ثُمَّ تَوَلَّاها بِالْغِيْضَةِ نَحْوَ (٢٥) سَنَةً، وَهِيَ مُدَّةُ مَكُوثِهِ بِالْغِيْضَةِ.

٥- الْمَحَاضِرَاتُ:

وَلَهُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمَحَاضِرَاتِ أُذِيعَتْ فِي إِذَاعَةِ الْمَكْلَا قَبْلَ الْوَحْدَةِ، [وَكَانَ ذَلِكَ بِطَلْبِ وَتَنْسِيقِ مِنْ بَعْضِهِمْ، وَاسْتَمَرَ فِي إلقاءِ الْمَحَاضِرَاتِ إِلَى حَرْبِ صَيْفِ ١٩٩٤م، وَبَعْدَهَا رَفُضَ الْاسْتِمْرَارِ مَعَ الْإِذَاعَةِ، وَتَخَلَّى عَنْ إِمَامَةِ مَسْجِدِ بَاعْبُودَ، وَانْتَقَلَ إِلَى الْمَهْرَةِ]، وَلَهُ مُحَاضِرَاتٌ فِي الْمَهْرَةِ كَذَلِكَ، وَقَدْ سَجَّلَتْ بَعْضُ هَذِهِ الْمَحَاضِرَاتِ فِي أَشْرَاطَةِ التَّسْجِيلِ (الْكَاسِيَتِ) مَحْفُوظَةً عِنْدَ الشَّيْخِ، وَبَعْضُهَا مَكْتُوبٌ فِي دِفَاتِرِ عِنْدِهِ.

وَيَلْقَى الْآنَ سَنَةَ (١٤٤٣هـ) - مُحَاضِرَاتٍ فِي الْفَقْهِ مِنْ دِفْتَرِ مَكْتُوبٍ بِخَطِّ يَدِهِ بِبَابِ الْعِبَادَاتِ فَقَطْ - فِي مَسْجِدِ الرُّوْضَةِ وَبَاعْبُودَ، فِي الرُّوْضَةِ بَعْدَ الْعِشَاءِ مِنْ كُلِّ جُمُعَةٍ، وَفِي بَاعْبُودَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِي الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ.



96

العدد (35)

يناير

مارس

2025م

١٢- الفتاوى المهرية:

أذيعت في إذاعة الغيبة، وتوجد بها نسخة منها، وهي غير مرتبة.

١٣- الفتاوى المكلاوية.

١٤- التفحات الإلهية بالخطب المنبرية:

غير مطبوع، ويقع في ستة أجزاء.

١٥- محاضرات في الفقه:

أراني إياها في دفتر بخط يده، ولا يزال يُضيف إليها.

١٦- ترجمة لشيخه عبدالرحمن بكير:

[مفقودة].

١٧- ترجمة لشيخة العلامة السيد عبدالله الحداد:

أشرنا إليها في ترجمة الحداد.

[توفي رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه وإيانا فسيح دار

القرار في يوم الجمعة العاشر من شهر رجب سنة ١٤٤٦ هـ،

الموافق للعاشر من شهر يناير سنة ٢٠٢٥ م، وصلي عليه بعد

صلاة العشاء في جامع الروضة، ودفن في مقبرة يعقوب].

هذا آخر ما يسره الله لنا في هذه الترجمة، ونسأله القبول والتوفيق،

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه: مُحسِن بن عُلوي بن أبي بكر باعلوي / الشَّرح /

المكلا.

تقرير الشيخ عمر باقمري:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

سيدنا محمد بن عبد الله.

وبعد: قرأت ما كتبه الأستاذ الفاضل المجتهد المثابر

المُحب للعلم والعلماء: محسن بن علوي بن أبي بكر

باعلوي كلمة كلمة، وحرفاً حرفاً كله صحيح خال عن

المبالغات، وفي الختام نختم بالصلاة والسلام على سيدنا

محمد خير الأنام.

عمر حاج مبارك محمد باقمري.

١٤- التفحات الإلهية بالخطب المنبرية:

غير مطبوع، ويقع في ستة أجزاء.

١٥- محاضرات في الفقه:

أراني إياها الشيخ في دفتر بخط يده، ولا يزال يُضيف إليها.

هذا آخر ما يسره الله لنا في هذه الترجمة، ونسأله القبول والتوفيق، والحمد لله رب

العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه: مُحسِن بن عُلوي بن أبي بكر باعلوي / الشَّرح / المكلا.

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن
عبد الله . وبعد: قرأت ما كتبه الأستاذ الفاضل المجتهد المثابر
المُحب للعلم والعلماء: محسن بن علوي بن أبي بكر باعلوي كلمة كلمة
وحرفاً حرفاً كله صحيح خال عن المبالغات، وفي الختام نختم بالصلاة
والسلام على سيدنا محمد خير الأنام عمر حاج مبارك محمد باقمري

تقرير الشيخ عمر باقمري

الهوامش:

(١) سيول عمر باحسن كان إماماً للمسجد الجامع ببلدة باقشيم بوادي حجر،

وهو ممن جالس وأخذ عن العلامة السيد عبدالله الحداد، وعن الشيخ سعيد

باوزير، والشيخ سالم باقطين، إفادة من الشيخ سالم باقطين وابنه أبي بكر.

(٢) منشورة في مجلة حضر موت الثقافية عدد (١٢).

(٣) منشورة في مجلة حضر موت الثقافية عدد (١٨).

(٤) وأول من نهني على هذه الزوجة الأخيرة أخونا أبو بكر ابن الشيخ

سالم باقطين

(٥) انظر ترجمته في كتابنا مختصر الغيث الهمي ص ٣٢٩

(٦) شك من الشيخ عمر باقمري.

(٧) انظر ترجمته في تحقيقنا لكتاب: (البرهان الظاهر) ص ١٨

(٨) انظر ترجمته لأخيना الدكتور زين العيدروس في كتاب (القدح المعلى).

(٩) انظر ترجمته في كتابنا مختصر الغيث الهمي ص ٣٥٥

(١٠) انظر ترجمته في كتابنا مختصر الغيث الهمي ص ٤٩٣

(١١) انظر ترجمته لأخيना الدكتور زين العيدروس في مجلة حضر موت

الثقافية عدد (١٦).

(١٢) انظر ترجمتنا له في مجلة حضر موت الثقافية عدد (١٨).

(١٣) انظر ترجمته في كتابنا مختصر الغيث الهمي ص ٤٩٣

(١٤) انظر ترجمته في كتابنا مختصر الغيث الهمي ص ٤٢٣

(١٥) انظر ترجمته في كتابنا مختصر الغيث الهمي ص ٣٧٨

(١٦) انظر ترجمتنا له في مجلة حضر موت الثقافية عدد (١٢).

(١٧) انظر ترجمته في كتابنا مختصر الغيث الهمي ص ٤١٥

(١٨) إفادة من الشيخ الفقيه سالم باقطين وابنه الأخ أبي بكر.



حضارمة استثنائيون

السيدة الجليلة فاطمة عبدالقادر بن علوي العيدروس

الحلقة الثانية

من إحدى ديار آل العيدروس الكبيرة الجميلة المنيفة الشامخة، بمنطقة تاربة الحضرية، ولدت السيدة الجليلة فاطمة عبدالقادر بن علوي العيدروس، الملقبة بـ(فطم)، في ميلاد العام تسعة وعشرين وتسعمائة بعد الألفية الأولى، فحظيت بطفولة سعيدة جميلة مدللة، ومن حظوظها أيضاً أن عاشت أجواءً أسريّة رائعة ملهمة في سحرها، كجمال فلسفة البنيان المرصوص، فهذا المنزل كما تميل إليه السيدة فطم العيدروس بمثابة عشقها الذي يلامس روحها، وشاهد على روائع من مخزون جمال سنوات طفولتها.

إعجابها من عملية التعايش والتقارب السائد الذي التقطته فطم العيدروس ملامسة بين مختلف الثقافات، حتى ظلت تلك الرحلة عالقّة بمختلف مشاهداتها في محباً ذاكرتها بالرغم من محدودية المدة وقليل أيامها التي تخللتها زيارات واستطلاع شائق واكتشاف لدنيا أخرى بصحبة نجلها الأستاذ عباس بن يحيى - رحمه الله - الذي كان زميلاً مرافقاً لوالدته في مسير ذلك الاكتشاف الجميل.



شكري نصر مرسال

ومن مصر العربية وبعد انقضاء زيارتها التي كانت بمثابة استراحة المحارب، توجه السيدة المتميزة وعائلتها الكريمة إلى دولة الكويت التي مكثت بها عدد سنين، سكنت بدءاً من منطقة السالمية في منزل طيني قديم، كما كان يوجد في حوش مسكن إقامتها بئر عميق دائماً، ما يشعرها بشيء من الخوف والقلق والغربة، استقرت بهذا المنزل وأسرتها، إلى أن سمحت لهم لاحقاً مستجدات الحياة الانتقال إلى بيت آخر، وجدت في جنباته الطمأنينة والراحة، وظلت الكويت بين أضلع الأم المثالية تحملها من روائع الدول البديعة.

ومعلوم أن الذهاب إلى الكويت لم يكن مفاجئاً؛ فعلى عقيل في تلك الفترة كان يعمل أستاذاً في مدارسها، ومؤسساً في بناء بيت الطالب الحضرمي وافتتاحه، الذي أنشئ للطلبة الحضارم بأمر من الشيخ (عبدالله السالم الصباح) أمير دولة

في منتصف ماضي القرن غادرت السيدة فطم العيدروس حضرموت إلى عدن متوجهة إلى دولة الكويت الشقيق، مروراً بجمهورية مصر العربية التي أقامت بها فترة وجيزة لم تدم أكثر من أيام قليلة برفقة الأديب المفكر علي عقيل بن يحيى ونجلهما عباس، فرحلتها هذه تعد لها الأولى خارجياً.

فحال وصولها المقرر إلى القاهرة المعز وصولاً إلى الديار الكويتية أدهشت المرأة الحضرمية القادمة من مناطق (تاربة) و(المسيلة) بمدنية الحياة هناك، وأذهلت عقيلة علي عقيل من هندسة البنيان المعماري، ومتعجبة حقيقة من التزامهم في حركة السير والكم الهائل من السيارات التي تجوب مدينة القاهرة دون انقطاع خلال ساعات اليوم، إضافة إلى شديد



منزل العائلة القديم



الكويت، بالتنسيق مع دار المعارف الكويتية. ولذلك نستطيع القول إن فترة الكويت، وقرار الذهاب إليها جاء مصيرياً، كما شكل منعطفًا ومتغيراً في حياة السيدة فطم، ومستقبل عائلتها الكريمة.

وخلال المسافة المقطوعة بين رحلة مصر إلى الكويت قصة كفاح جميلة، تحكي ما فعلته أخلاق هذه المرأة الملهمة، التي سمحت لها بسهولة وفي فترة وجيزة من سرعة إنجاز مسألة التأقلم هناك، وتمدد علاقاتها الاجتماعية، حتى حظيت هذه المرأة الاستثنائية بمحبة كبيرة لدى الكثير من العوائل الكويتية، ومثلهم عوائل أخرى من جنسيات عربية مختلفة. ومضت أم عباس في أرجاء الكويت سعيدة فاضلة عزيزة نفس موفقة، كشجرة مثمرة، تتقبل الجميع من حولها بسهولة ومرونة فائقة باختلاف عاداتهم ومزايهم، ومتفهمة بلطف لمشاكل الآخرين، ومستمعة جيدة لمن يلجأ إليها، وعلى هذا النحو ظلت تبارح الجلوس في حديثها الإنسانية قريبة من الناس، تسقي بذور الخير لتحيا أملاً هنا، وتسعى

مثلهم نجلهم عباس، الطالب بعمر الثانية عشرة -رحمه الله- يبعث برسائله لجذاته لأمه وأبيه ليخبرهما بأنه قد أصبح يجيد اللهجة الكويتية مثل أقرانه من الكويتيين، ويشير إليهن، بدعابة ولطف، أن والده علي عقيل بن يحيى لم يزل يخلط بين اللفظة الكويتية والحضرمية، ويؤكد في كتابه المرسل للجدّة عائشة أن والدته فطم العيدروس هي هي، لم تتغير، حضرمية (قح) في لحن الصوت، لافتاً نظرها إلى أن والدته فطم العيدروس لم تزل إلى النخاع تحمل أصالة عادات وتقاليد حضرميتها المتزنة

هناك لتقطف تطلعاً إنسانياً نبيلاً، هكذا عاشت الحضرمية فطم روحاً من الضياء، تبحر في نبع عذب صاف، ترمم الأنفس المنكسرة بترف إنساني، حتى انها وصفت بين الناس جابرة للخواطر عندما رُزقت أخلاقاً، وقيماً رفيعة، وقلباً كبيراً متسامحاً كسماحة المجتمع الكويتي الذي أحبتّه كثيراً، وجعلته وطناً ثانياً لها... في حين أن حضرموت في الفترة نفسها دائماً ما تحاكيها شعوراً يسكنها، وإحساساً متجدداً لا يُملّ، وحنيناً متمدداً لا يفارقها كخلود أغاني المجد في ذكرى يوم الانتصار، فلم ينقطع شغفها لمناطق (تاربة)، و(المسيلة)، و(ثبي)، دائماً ما تتواصل السيدة فطم مع أهلها بحضرموت، ودائماً بلا انتهاء ما تبعث برسائلها الحميمية لوالدتها عائشة، ولأرحامها، وتنشد في خطابات المكتوبة عن إخوة الرضاة وعن أناس تُجلّهم، كانوا جيراناً لها، كلّ باسمه، أحبّتهم كثيراً كما أحبّوها، والحال نفسه ليس ببعيد عن الرائد العلم كبير القوم المفكر الأستاذ علي عقيل، الذي لم يُثْنِ واقع المسؤولية ومعتزك الحياة ونشاطاتها المتواصلة بدولة الكويت الذي لم ولن نحصىه استطاعةً، أن يزف في رسائله عبارات الوفاء والبر لوالدته الكريمة وأهله والأقارب،



كانت السيدة فطم العيدروس في بعض الأحيان تقضي الكثير من إجازتها الصيفية في دمشق إن لم تتمكن من الذهاب إلى حضرموت لزيارة الأهل والأحباب، فتتجه بدلاً منها إلى سوريا لقضاء الفسحة الصيفية، فتتنقل وعائلتها في مصايف سوريا بين مناطق (الزبداني) (وبودان)، وتسرع بجمال سوريا واخضرار أراضيها، وتميل بإعجاب لمنظر ثلوج الأمطار حينما تغسل جبالها الشامخة وتكسوها بالبياض

نهاية كل أسبوع لضيافة الطلبة الحضارم، إضافة إلى الزيارات الرسمية المتواصلة الذي لا يكاد منزل الأستاذ علي عقيل يخلو من توافدهم إليه، فكل ذلك تجرّبه وتقدمه السيدة فطم العيدروس بنفسية الكبار من الكرماء من غير منٍّ ولا أذى، وهو ليس بالسهل الهين رغم التزاماتها الأسرية ومسؤوليتها المباشرة تجاه بيتها وتربية فلدات أكبادها.

كما كانت السيدة فطم العيدروس في بعض الأحيان تقضي الكثير من إجازتها الصيفية في دمشق إن لم تتمكن من الذهاب إلى حضرموت لزيارة الأهل والأحباب، فتتجه بدلاً منها إلى سوريا لقضاء الفسحة الصيفية، فتتنقل وعائلتها في مصايف سوريا بين مناطق (الزبداني) (وبودان)، وتسرع بجمال سوريا واخضرار أراضيها، وتميل بإعجاب لمنظر ثلوج الأمطار حينما تغسل جبالها الشامخة وتكسوها بالبياض، ويسرها مكارم أهلها وأسلوب ضيافتهم. وذلك كان قبل مرحلة سوريا المليئة بالأحداث الجسام، التي سنتطرق إليها في حلقة قادمة لنذوق الكثير من كؤوس تفاصيلها؛ لأنها الجزء المهم والأهم في حياة هذه المرأة الصبورة، والبعيدة النظر، كما كان يصفها الأستاذ علي عقيل.

يُحدّثهم عن الكويت وأهلها الأخيار، يشرح لهم كيف صار وضع منزلهم ذات مرة عامراً بالأفراح والمسرات، لاسيما عندما رزق بابنته الدكتوراة (عزة)، وكيف تم الاهتمام بعائلته في أثناء الولادة وبعدها، من قبل جيرانهم من نساء الكويت، يصف لهم عن زيارات صديقات السيدة فطم من نساء فلسطين وسوريا والعراق واليمن بالكويت، وما يقدمن لها من مساعدة تسعده العائلة، وفي ملحق إحدى رسائله للأهل يسيئون جاء بين أسطرها معذراً علي عقيل، بنبرة خجل الكريم، (بعدم تمكنه هذه المرة من إرسال المبلغ الذي اعتاد إرساله لهم لأنهم اشترىوا اثلاجة جديدة للمنزل)، ومثلهم نجلهم عباس، الطالب بعمر الثانية عشرة -رحمه الله- يبعث برسائله لجداته لأمه وأبيه ليخبرهما بأنه قد أصبح يجيد اللهجة الكويتية مثل أقرانه من الكويتيين، ويشير إليهن، بدعابة ولطف، أن والده علي عقيل بن يحيى لم يزل يخلط بين اللهجة الكويتية والحضرمية، ويؤكد في كتابه المرسل للجدّة عائشة أن والدته فطم العيدروس هي هي، لم تتغير، حضرمية (قح) في لحن الصوت، لافتاً نظرها إلى أن والدته فطم العيدروس لم تزل إلى النخاع تحمل أصالة عادات وتقاليد حضرميتها المترنة.

وكما هو معروف لدى الكثير من الناس أن أبواب منزل الأستاذ علي عقيل بن يحيى بدولة الكويت الشقيقة، التي تدير شؤونها الزوجة المثالية أم عباس، ظل مفتوحاً في مدى سنوات إقامتهم بالكويت، وعنواناً عريضاً لمكارم الجود، وشراعاً واسعاً تستظل بظله الكثير من العوائل الحضرمية من القادمين للكويت، ومرجعاً للجميع في شؤونهم ومشاكلهم، وملاذاً آمناً لبعض الأطفال الحضارم الذين ترسلهم عوائلهم لمنزل السيد علي عقيل للمكوث به خلال فترات دراستهم في الشقيقة الكويت، فكانت تلك الأجواء الإنسانية تسمو حقيقة بإنسانية الوالدة العيدروس، المرأة الفاضلة دون شعورها بالملل والضيق، فتعمل على خدمة ضيوفها ورعاية الطلبة النزلاء بمنزل العائلة من غير نقصان، فضلاً عن استعدادها

من بلاد الخرشع إلى بلاد الماء



تعددت الأسماء والمنطقة واحدة

استطلاع يوسف عمر باسنبل - تصوير/سليمان بلشرف

مركز المديرية منطقة صيف حوالي عشرة كيلومترات، واتخذت في شكلها العمراني وتحت هذا الجبل (الشكل الهلالي) حيث نرى المباني تقع في الوسط على مساحة واسعة، وتقل مساحة المباني في الطرفين ومنحنية بطرفها نحو الجبل الشاهق.

وعن سبب التسمية يقول المرحوم الأستاذ الدقيق عبد الله بلشرف: هناك قولان مختلفان عن تسمية هذه القرية بهذا الاسم، أولهما أن هذه القرية يوجد بها حجر الخرشع (الهش) الذي تنبع منه الكثير من عيون الماء وآثار هذه العيون واضحة المعالم إلى يومنا هذا ولكثرة العيون المائية فيها سميت بلاد الماء، والثاني يقال إن اسمها بلاد الأماجد ويقابلها في جانب الشمال الشرقي قرية قرن الأماجد، وبمرور الأزمنة اختصرت إلى بلاد الماء وقرن ماجد.

السكان

يسكن هذه القرية ما يزيد عن ١٢٠ أسرة، يصل أفرادها بين (٨٠٠ - ٩٠٠) نسمة، وتبلغ نسبة الذكور ٤٨٪، ونسبة الإناث ٥٢٪، وهذه نسبة طبيعية بسبب الهجرة في طلب لقمة العيش، سواء كانت هذه الهجرة داخلية أو خارجية.



يوسف عمر باسنبل

الموقع والتسمية

تقع منطقة بلاد الماء في الجانب الغربي، يمين الداخل إلى وادي دوعن الأيمن، على بعد حوالي خمسة كيلومترات من ملتقى الواديين الأيمن والأيسر في منطقة الصدف، ويحدها من الجانب الغربي جبل شاهق يحتضنها بسفحها، ومن الجانب الشرقي أشجار النخيل والسدر والأراضي الزراعية ومجرى وادي دوعن ومنطقة قرن ماجد المقابلة لها، ومن الجنوب أراضي زراعية وشعاب صغيرة ومنطقة بضه، ومن الشمال الأراضي الزراعية وقرية خديش، وتزينها أشجار النخيل والسدر (العلب) من الجهات الأخرى. تبعد بلاد الماء عن



ويسكنها عدد من الأسر، هم آل القحوم العمودي، وآل باروم، والبلحمر، والباحميد، والبلشرف، وآل باسعد، وآل بن جحلان، والباقازي، وآل بن ربيعة، وآل باصليلة، والباعس، والقشمي، وكان يسكن فيها آل خرد، وباربيع، وباسليمان، وباجعمان، وباهديلة، وباخشوين،

وباجنيد، ولا تزال بيوت بعض هذه الأسر موجودة.

ويعمل غالب سكان المنطقة بالزراعة في أثناء موسم الأمطار، ويعملون أيضاً في رعي الماشية، والبعض منهم يمتحن تربية النحل، وكثيرون فضلوا الهجرة؛ إذ لا يخلو بيت في هذه المنطقة إلا وأحد أفراد في الأقل مغترب، وأكثر المغتربين حالياً بالمملكة العربية السعودية، كما يوجد الكثير من أبناء المنطقة بل أسر كثيرة موجودة في إندونيسيا والهند.

التعليم

بلاد الماء مثلها مثل بقية قرى الوادي لم يكن بها التعليم النظامي حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وكان التعليم مقتصرًا على الكتاتيب (العلمة)، التي يقوم أحد أفراد المجتمع بتعليم الصغار القراءة والكتابة في المسجد، أو في البيت تعليم إذ يعلم المعلم كتاب الله قراءة وحفظاً ومبادئ الكتابة، ومن العلم الموجودة آنذاك علّمة الشيخ / علي باربيع في بيته، وعلّمة الشيخ الأستاذ / أحمد بامسعود،

وعلّمة السيد / حسن علوي جمل الليل في دار باقازي، وعلّمة الشيخ / الأستاذ عمر بن عامر كريش في داره، وعلّمة السيد / محمد دحمان باروم في مسجد الجامع، وعلّمة الشيخ / محمد سعيد المصموم باربيع جوار مسجد الجامع، وعلّمة السيد / عبدالله علوي باروم في داره.

وفي بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر بدأ التعليم النظامي؛ إذ فتحت مدرسة نظامية في صبيخ، ثم أخرى في الرباط والجحي وبضه، وبدأت بعض الأسر تحاول إلحاق أبنائها بالتعليم النظامي، إلى أن أخذ العقلاء في المنطقة في التفكير في بناء مدرسة نظامية، فافتتحت المدرسة في يونيو ١٩٦٧م بالصف الأول ابتدائي في بيت أحد المواطنين (محمد باسلوم باسعد)، ثم بدأ العمل الجاد في بناء المدرسة وتشبيدها، وكان أول مدير لها الأستاذ بلفخر من الهجرين ومعه مدرسون من المكلا، وشيدت المدرسة بتمويل من فاعلي خير من أبناء المنطقة، واحتضنت طلاب مناطق (بلاد الماء وخديش وقرن ماجد).

وفي عام ٢٠٠٤م تم إنشاء مدرسة حديثة متكاملة مزودة بالمعامل العلمية وعلوم الحاسوب من قبل هيئة تطوير خيلة بقشان تسمى مدرسة الشيخ سعيد سليمان بقشان يرحمه الله.





102

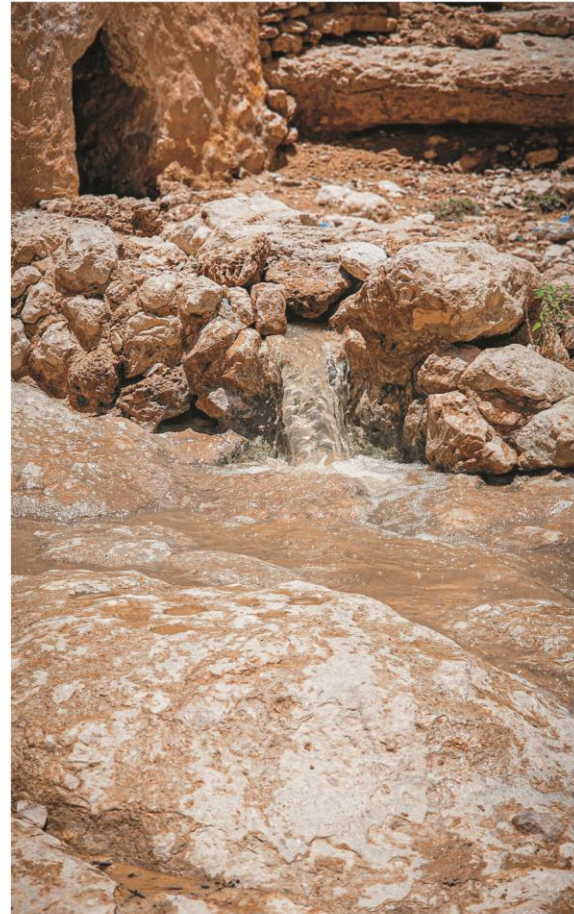
العدد (35)

يناير
مارس
2025م

معالم المنطقة

من أهم ما تتميز به منطقة بلاد الماء عيون الماء، التي كانت تجري بغزارة إلى أواخر القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر الهجري، غير أنها بعد ذلك بدأت بالنضوب والنقصان والجفاف؛ نتيجة لجفاف الأرض، وتباعد مواسم الأمطار، وقد يكون السبب أن الماء يغور في الأرض ويتسرب؛ إذ قل حوالى ٣٠ عامًا، ثم قاموا ببحث بئر تحت غيل بلاد الماء، الذي يعد من أشهر العيون مع عين شاجي ماجي، ووجدوا فيه ماء ينساب في مجرى على بعد حوالى ٥٥ مترًا، وكان في السابق يقال إنه يتم سد بعض العيون بأعواد سعف النخيل (الجزوم) ولا يستطيع الناس المرور في الشارع لكثرة المياه المتدفقة من العيون على مدار الساعة.

وتعد عين شاجي ذات شهرة، وسبب تسميتها بهذا الاسم أن التسمية كانت شاء يجي و شاء ما يجي؛ لأنه ليس لها وقت محدد لتدفق المياه، لذلك اختصر الاسم إلى شاجي ماجي،



وتوجد العين بالقرب من مسجد الجامع، الذي توجد بجانبه جابية عين غيل بلاد الماء، التي كان يتجمع فيها الماء الفائض من حاجة المسجد من العين، وقال الأستاذ الدقيل بلشرف: إنه يتم فتحه لأهل البلاد ٩ فتحات، كل فتحة ٢٤ ساعة، والفتحة الواحدة تكون لأكثر من شخص، وقد يكون للشخص نصف فتحة ١٢ ساعة أو ربع فتحة ٦ ساعات، وهكذا المدة ٩ أيام، لتعود الدورة للأشخاص الذين بدأوا أول مرة، وكان في السابق يتم زراعة البصل والجزر والبقل والبهارات.

إضافة إلى ما تميزت به المنطقة، كانت عيون الماء التي تنبع من تحت البيوت من معالمها فإنه يوجد بها حصن باخشوين، الذي يقع وسط البلاد على تلة مرتفعة، يعود بناؤه إلى ما قبل قرن ونصف من الزمان، وحصن بامحروس باحميد، الذي يقع في جنوب شرق المنطقة وتقع تحته أراضٍ زراعية ونخيل.

المشاريع الخيرية

هذه المنطقة مثل بقية مناطق دوعن لم يتأخر أبناؤها عن تنفيذ المشاريع الخيرية، التي تعود بالنفع لأهلهم وذويهم، وهذه دلالة على حبهم لبلدهم وأهلها من خلال بناء المساجد والمدارس ومشاريع المياه والصحة وغيرها، إذ كان لجانب المياه النصيب الأوفر وتسبق أهل الخير من أبناء المنطقة من آل بن جحلان وآل باقازي وآل باروم وآل باربيع وغيرهم من أبناء المنطقة ومن خارجها لتقديم إسهاماتهم في جلب المياه وحفر الآبار وبناء السدود والخزانات لحفظ المياه وخاصة بعد جفاف عيون الماء؛ فقد تم تشييد أربعة سدود لحفظ الماء في الشعاب الموجودة في المنطقة، وبناء خزانين لحفظ الماء، وحفر بئرَيْن ارتوازيين، وربط السدود والآبار بالخزانات وربطها بالمنازل بشبكة توزيع.

وأما في مجال الكهرباء فكانت أول إنارة للكهرباء في المنطقة في ٣٠ نوفمبر ١٩٨٣م بعد إنشاء مشروع كهرباء بلاد الماء، بتمويل من أبناء المنطقة، وكانت أول نواة لهذا المشروع من



السيد عبدالله محمد باروم، الذي وفر أول مولد كهرباء، ومد الشبكة الداخلية، إلى جانب إسهام بقية المغتربين في الشبكة الداخلية؛ ليتم فيما بعد تطوير المشروع بإرسال مولد آخر من آل بن جحلان، وتم بهذا المشروع تغذية مناطق بلاد الماء وقرن ماجد بالتيار الكهربائي لخمس ساعات مساء كل ليلة.

وفي شهر رمضان يستمر التشغيل إلى بعد الفجر، وتزداد ساعات التشغيل في المناسبات كالأعياد والزواج، حتى جاءت كهرباء دوعن فكان لآل باروم دور في مد شبكة الضغط العالي، وتحديث الشبكة الداخلية، وربط المنطقة بكهرباء دوعن.

وفي المجال الصحي توجد في منطقة بلاد الماء عيادتان، إحداهما تعمل نهاراً والأخرى في المساء؛ لتقديم الخدمة الصحية لأبناء المنطقة والمناطق المجاورة، ويقوم بالعمل فيهما مساعدان طبيان، والعلاج فيهما مجاني، ولا يزال آل باروم وآل باقازي يقدمون دعمهم في المجال الصحي، وامتد الدعم أيضاً في مجال الطرقات بتمهيد خط أسفلتي يربط المنطقة بالخط العام على نفقة السيد محمد عبدالله باروم.

العادات والتقاليد

يوجد بمنطقة بلاد الماء بعض العادات والتقاليد كموروث اجتماعي وثقافي، سنذكر بعضاً منها على سبيل المثال:

القناصة: أهالي منطقة بلاد الماء كغيرهم من أبناء مناطق دوعن المختلفة مارسوا القناصة (قناصة الوعول والغزلان)، لكن هذه العادة انقرضت مع مرور الزمن، ولا تمارس إلا في مناطق قليلة، ثم توقفت لأسباب عدة، وكانت تمارس في السابق وكان يوجد في المنطقة فرقان للقناصة، يشتد التنافس بينهما في موسم القناصة، وتبدأ رحلة القناصة

بالاجتماع وغالباً ما يكون الاجتماع في المساء لاختيار مقدم للفرقة ليرأس الاجتماع، ويضع الخطط والتجهيز للرحلة وتحديد يوم الذهاب ومكان القناصة، وعند وصولهم المكان يتم توزيع الأفراد على الأماكن المتوقع وجود الحيوانات فيها، وبعد الظفر بالصيد يعودون للمنطقة في المساء دون أن يعلم بهم أحد، وفي الصباح يتم إعلان خبر عودتهم المظفرة، فيخرج جميع أهل المنطقة لاستقبالهم بالزامل وإطلاق الأعيرة النارية حاملين رؤوس ما صادوه، ونأخذ شاهداً على ذلك هذه القصة التي رواها الأستاذ الدقيل بلشرف - رحمه الله - أنه في أحد الأيام خرج شخص من أبناء المنطقة إلى شعب اسمه (حليل) لجلب الحطب فشاهد الوعل في ذلك الشعب فعاد إلى المنطقة وأخبر مجموعة من الأشخاص بما رأى، فاجتمعوا في الليلة نفسها وعزموا على الخروج في صباح اليوم الثاني إلى الشعب (حليل) والشعاب المجاورة للقناصة، فخرجوا في الوقت المحدد فوقفهم ربنا لقناصة ذلك الوعل وعادوا مبتهجين بالقناصة، فقابلهم أحد الشعراء وهم فرحون مع الزامل وقال:

عالمعترض غارة وعاقيبال والكف بالبكرة نحوله
ياحول حول بكل وادي سال "وحليل" قد فاضت سيوله
(المعترض وقيبال والكف: هذه شعاب صغيرة جنوب حليل، الشعب الذي تمت فيه القناصة).



العواد والزامل: تقام صلاة الزينة في المسجد، وبعد الانتهاء من الصلاة يصطف المصلون في المسجد، ويصافح بعضهم بعضاً، وبعد ذلك يتم معايدة الأقارب في البيوت مثلما يحدث في بقية مناطق دوعن، وفي ثاني يوم العيد (الفطر والأضحى) يتم العواد من قبل جميع أهل المنطقة بجانب المسجد من الساعة الثامنة صباحاً، ومنه يبدأ زامل العيد،

يقول الشاعر أبيات الشعر ابتهاجاً بالعيد وصولاً إلى بيت بن جحلان، وتناول وجبة الفطور والعودة للزامل مرة أخرى وصولاً إلى بيت باحميد وهي عادة تنفرد منطقة بلاد الماء بها من بقية المناطق.

وفي عصر ذلك اليوم يخرج غالب أهل المنطقة إلى الشعب لتناول وجبة العشاء والسمر.

مؤسسة مزن التنمية الخيرية

تأسست مؤسسة مزن التنمية الخيرية في منطقة بلاد الماء في مطلع عام ٢٠١٢م، وهي مؤسسة خيرية تحظى بدعم من أبناء المنطقة المغتربين، وتنفيذ مشاريع في المنطقة وضواحيها، مثل الاهتمام والإشراف على المساجد وحلقات القرآن والإسهام في التعليم من خلال كفالة بعض المعلمين وتقديم حوافز للطلاب المبرزين ودعم المدرسة في بعض المجالات، مثل الترميم، وبناء العيادة الطبية المسائية لعلاج المرضى ودعم بعض الأدوية، وتقديم المساعدة للأسر الفقيرة، وتوزيع اللحوم على الأسر المحتاجة وخاصة في شهر رمضان والأضاحي والسلة الغذائية.

أعلام المنطقة

الشيخ عبود محمد القحوم العمودي:

الشيخ / عبود بن محمد القحوم العمودي، الذي كان حاكماً لمنطقة قرن ماجد وبلاد الماء وخديش، وهو من مواليد

منطقة بضه في القرن الحادي عشر الهجري، وتوفي سنة ١٢٩٦هـ، ومن بعده جاء الشيخ سعيد القحوم وكانا هما الحاكمين للبلاد في فترة زمنية يقومان بالصلح بين أفراد المجتمع، وعرف عن الشيخ عبود حكمته في اتخاذ القرارات، وشاعريته المبدعة ينثر فيها الحكمة والنصيحة والتوجيه ففي الحكمة قال:

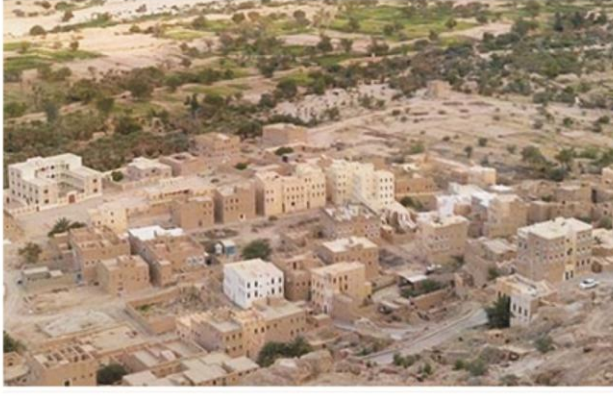
لا تشضي الباب حد الشعرة حتى تدير الفكر في قلادة
أي لا تقوم على أمر حتى تدرس النتائج

وفي نصح وتربية أولاده ورعيته، قال:

وبعد انا بوصيك باذرع الفؤاد أمكن علاك
ياروح سري يا جمال الدين اسمع ما أتناك
أعكف على الطاعة وشف ما المعصية الا سمك وداك
وأحذر من الدنيا ونفسك والطمع واقمع هواك
وله أبيات في الكرم يوصي أولاده بها فقال:

والحلم والرحمة وحسن المغفرة والبعد مداك
وأكرم بميسورك ولا تكره إذا الطارش أتناك
عارضه بالترحيب والوجه الذي يوجب رضاك
وبذل ولا تبخل من البخل الكثير الله نهاك

كما أن له مساجلات شعرية كثيرة مع شعراء عصره، مثل المعلم عبدالحق، والشيخ أحمد علي باوزير، ونعطي على ذلك رداً على قصيدة أته من الشيخ باوزير، فقال الشيخ القحوم:



صبح إلى النقعة سناها يظهر

نوره على رؤوس الجبال يلالي

وانشد على احمد بن علي واتخير

نسل الوزيري صنبرة الاوصالي

قله وصل منك كتاب مسطر

مطي على الدر الثمين الغالي

* * *

والأبيات التالية أتت من الشيخ باوزير في قصيدة أخرى:

وانشد على الصفويزي بالخير عبد الله الجيد فكاك القرآن

الحلم والعلم عنده والبصر ويعبر السيل والوادي ملان

إلى تخبر بغا منك خبر قله سلامتك واعذر لا تهان

* * *

الشاعر سالم بن عبدالله بلشرف:

يعد الشاعر سالم بلشرف من أهل منطقة بلاد الماء لكنه

ولد في منطقة خديش نتيجة لهجرة جده إلى هناك، وكان من

كبار الشعراء في وقته، وقد ألقى قصيدة في حضره الملك

فيصل بن عبدالعزيز آل سعود عام ١٣٤٧ هـ، نظمها على

الحروف الهجائية جاء في مطلعها:

ألف الفنا نفسنا على الرحال

ندحق الصحراء وندحق في الجبال

وبالبحر السود خضناها قبال

لي ثن عشر عام هايم في هيام

باء - بنى مجد العرب ابن السعود

في الحجاز الحكم والملك النجود

واليمن والشام داخل في الحدود

قامه الله يومه أهلا للمقام

* * *

ونظم عدداً من القصائد في كافة فنون الشعر، مثل الأبيات

التالية من إحدى قصائده التي نظمها أيضاً على حروف الهجاء،

وفي هذه الأبيات يقصد سيادة الغرب على العرب:

ظ ظلام الجعل فينا أثرت والأجانب في بلدنا استعمرت

يؤكلون أثمارها حين اثمرت يؤكلون اللحم واعطونا العظام

ع عيشة في المذلة تنتكر مايعيش غير المزدرج

لويكون العز في غار النمر خير من قصر مشيد بالرخام

* * *

السيد محمد حسين بن محمد باروم:

يعد السيد محمد حسين بن محمد باروم الذي عاش في فترة

النصف الأول من القرن الرابع عشر خطيباً ومعلماً اجتماعياً،

وأدّى دوراً في إصلاح ذات البين، ودرّس القرآن في منطقته،

ثم سافر إلى تريم فدرس في رباط تريم، أسّس لنفسه مكتبة بسيطة،

ثم اتجه إلى المحاماة، وسافر إلى السعودية، وتوفي هناك،

لكن أولاده لم ينسوا منطقته، وكان لهم إسهام في المشاريع

الخيرية بالمنطقة، منها مشروع الكهرباء، وقام حفيده السيد

محمد بن عبود بن محمد حسين باروم بعمل خط الضغط

العالي والشبكة الداخلية وخط أسفلي للمنطقة يربطها

بالخط العام.

د. خالد عمر عبدالله باجنيد وزير العدل:

ولد الدكتور خالد باجنيد في حضر موت في الأول من يناير

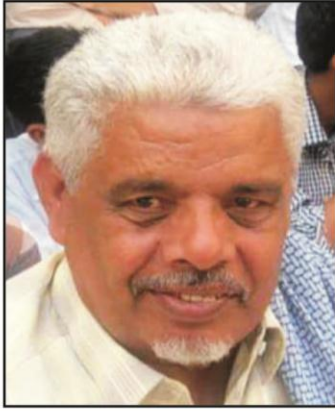
عام ١٩٥٠م، درس الثانوية العامة في مدرسة الخديوي إسماعيل

بجمهورية مصر العربية عام ١٩٦٨م، ثم حصل على ليسانس

حقوق في كلية الحقوق بجامعة الجزائر عام ١٩٧٢م،

ثم حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٨٢م في القانون.

شغل عدداً من الوظائف الإدارية، منها مستشاراً لرئيس الوزراء،



من جامعة عدن، وبعد
تخرجه عمل معلماً في
ثانوية مأرب بعدن، ومن
ثم في ثانوية امرئ القيس
بحريضة، ثم انتقل إلى
ثانوية المصموم بصيف
لمدة ١٢ عاماً، ثم نقل

ليتم تعيينه مديراً لمجمع بقشان بصبيخ بعد افتتاحه في
٢٠٠٦م لمدة أربع سنوات، ثم أكمل ما بقي من سنوات
خدمته معلماً في مدرسة منطقته بلاد الماء حتى فترة تقاعده،
توفي - رحمه الله - مساء الجمعة ١ يوليو ٢٠٢٣م.

وكانت شخصيات بلاد الماء ووادي حضرموت عموماً
نموذجاً للإصلاح بين الناس وحل النزاعات، من بين
شخصيات بلاد الماء المقدم سليمان بن دقيل بلشرف،
الذي رجلاً حكيماً ومصلحاً اجتماعياً، وكذلك سالم بن دقيل
بلشرف الذي هاجر إلى الحبشة ثم ليبيا وشارك في المقاومة
مع عمر المختار واستشهد هو وأبناؤه إسماعيل وحמיד،
وقام الاحتلال الإيطالي بقتل زوجته وابنته، وكذلك المقدم
حميد باعمر باحميد، وعلي هرفيت باقازي الذي كان من أعيان
البلاد وخبرة في المجال الزراعي، ومحمد بن يسلم باقازي.

المراجع:

(١) الحداد، علوي بن طاهر، الشامل في تاريخ حضرموت، تريم للدراسات
والنشر، ٢٠٠٥م.

(٢) السقاف، عبد الرحمن بن عبيد الله، معجم بلدان حضرموت، مكتبة الإرشاد،
صنعاء، ٢٠٠٢م.

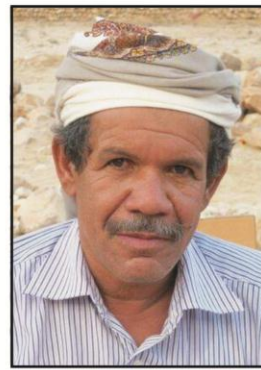
(٣) باحمدان، محمد سالم، التعليم الأهلي في دوعن، ٢٠٠٨م.

(٤) مجلة شعاع الأمل، العدد ١٠٥ يونيو ٢٠١٠م.

(٥) مجلة دوعن، العدد ٩ / ٢٠٠٩م.

ونائباً لوزير الإسكان، ثم وزيراً للإسكان بالوكالة، وأميناً
عاماً لمجلس الوزراء بدرجة وزير، ثم تم تعيينه مدعياً عاماً
للجمهورية، وعضواً في مجلس الشعب الأعلى، وعضواً
بمجلس النواب في الجمهورية اليمنية، وعميداً لكلية الحقوق
١٩٨٣ إلى ١٩٩٠ ومن ١٩٩٥-٢٠٠٧م، ورئيساً لقسم القانون
العام ١٩٩٥-٢٠٠٧م، ووزيراً للعدل عام ٢٠١٤-٢٠١٥م.

سالم عبدالله أحمد باحميد:



المدير العام السابق لمديرية
دوعن، من مواليد ١٩٥٥م
منطقة بلاد الماء، حاصل على
الدبلوم العالي بعد الثانوية
ثلاث سنوات في إدارة الاقتصاد
من الاتحاد السوفيتي سابقاً،
وشغل منصب مدير مكتب

المنظمات الجماهيرية بمديرية دوعن حريضة عام ١٩٨٢م،
وسكرتيراً أولاً لمنظمة الحزب الاشتراكي مركز حريضة
عام ١٩٨٣م، ثم الذهاب لمنحة دراسية لثلاث سنوات في
روسيا، عمل سكرتيراً للدائرة الاقتصادية بمنظمة الحزب
بمديرية دوعن حريضة عام ١٩٨٧م، ومن عام ١٩٨٩م
مساعداً للأمور لمديرية دوعن حتى ١٩٩٣م، ثم تم ترقيته
إلى مدير عام لمديرية دوعن بموجب قرار رئيس مجلس
الوزراء، وعمل مديراً عاماً إلى ١٩٩٤م ليعود مرة أخرى
لإدارة المديرية بعد تعيينه مديراً عاماً لمديرية دوعن من
٢٠١١م إلى ٢٠١٦م، وعضواً بمؤتمر حضرموت الجامع.

الأستاذ الدقيل عبدالله بلشرف:

الأستاذ الدقيل بلشرف من مواليد منطقة بلاد الماء عام
١٩٥٣م، ويعد شخصية تربوية واجتماعية على مستوى وادي
دوعن، شغل منصب رئيس مؤسسة مزن الخيرية الاجتماعية
منذ تأسيسها، وهو حاصل على درجة البكالوريوس في الفيزياء



سقطرى



د. عبدالعزيز الصيغ

ملأت النفس عاطفة وذكرى
قدمنا نحو أرضك في ابتهاج
سقطرى يا بلاد الطيب جئنا
ويملاً حسنًا زمن جميل
وما زالت بك الأحلام تندى
فيا أرض الجمال وقد تبدى
أفاض بذكرك التاريخ حتى
وحتى صرت رمزاً من جمال
ففي التاريخ كم لك من زوايا
فلليونان في واديك وقع
ومر عليك إغريق وهند
بلى قد كنت سوقاً عالمياً
ونحوك جاء مرتادون كثر
وجئنا ننسج الأصوات عقداً
ونختار الحروف على لسان
سقطرى بيننا عهد سيقى
حملنا من معاني الصديق حملاً
هوى نرجو به أن تستردى
فيا أرض الندى والطيب عذراً

وإحساساً بديعاً يا سقطرى
كأننا بالمحبة فيك أسرى
إليك يشدنا حلم وذكرى
به قد كنت لؤلؤة وسحرا
وفيك توهجات السحر تترى
وسار ندى وأنساماً وبشرى
كأن سطورهِ تختال فخرا
ونفحاً يملأ الأكوان عطرا
تفيض توهجاً وتجلُّ قدرا
إليك أتى يسوق الجند كسرى
يريدون السعادة مستقرا
إليها يرتجى التجار نصرا
يسوقون النفوس إليك مهرا
لجيدك كي يشع ندى وزهرا
بهى عله يحكي ويقرا
ونجعله لنا نسباً وصهراً
ومن معنى المحبة فيك عشرا
مكاناً عالياً وكذاك فكرا
إذا لم تُوف بعض الحق عذرا



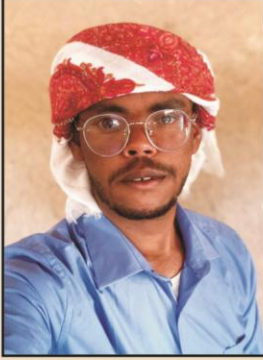
قصة قصيرة

عنتر



صالح بحر

تمنّات العاشق..!



سالمين سعيد بنق

أأكرمُ شوقاً في فؤادي لهيبه
وأسترُ دمعَ العين والدمعُ فاضحُ؟!
فيا "سلم" جودي باللقا وتعطّفي
على هائم ضاقت عليه المطارحُ
يحنُ إليكم كلّما ذرّ شارقُ
وغردَ طيرٌ في السما وهو رائحُ
فإنك يا "سلمي" منّي وعايتي
وحبُّك في قلبي بدا فهو واضحُ
متى تجمعُ الأيامُ بيني وبينكم
فمالي سوى دمعٍ على الحال شارحُ
أحبُّك حبّاً لو رأى الناسُ بعضه
لما لأمّني في حبِّكم قطُّ كاشحُ
أعيدي فؤادي إنه مذرّ حلتُم
مقيمٌ على عهد الأسي لا يبارحُ
وإن عنّ لي أنسٌ ولاحتْ بشائرُ
فما أنا يا سلمى بذلك فارحُ
سأصبرُ يا سلمى على البعد والجفّ
وإن كان همّي للسور لراجعُ
فديتُك إنّي لم أزل في ودادكم
مقيمٌ وإن طالت همومٌ رَوّاحُ

من زمن، كان يتمنى الشيء ولا يجده، وكان يعزو ذلك إلى أشياء دفينّة فيه، إلى ضعف الإرادة، إلى عدم القدرة على صنع القرار، لكنه في أحيان يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، إلى طبيعة حياة الحرمان، وشظف العيش، وحرمان الحب.

حدث مرة أنه اشترى هدية لطفله، وما إن هم بإدخال يده في جيبه لإخراج النقود حتى تراجع، شعر بوخزات متتالية في ضميره، وانتكاسة حادة، وبكاء في صدره وتخاذل.

ها هو الآن في يوم عيد، وقد دخل محلاً للملابس، اختار بدلة لطفله، بدلة أنيقة، أعجبت، وكانت النقود تكفي لشرائها، إلا أن امرأة بدينة، جاءت واشترت تلك البدلة، كان هو ينظر إليها في صمت، لم يستطع الكلام.

وفي الخارج كان يعد النقود ويقول: إنها تكفي، فما الذي أعاقه؟ أسند رأسه بزجاج المعرض، وتأمّل في ملامح عتمة تنمو داخله، تفتتح على كوى مثخنة بالخوف والخسارة.

ثم مشى باتجاه ناحية مظلمة من المدينة، يكون فيها قادراً على قراءة نفسه من جديد، وإذ ذاك مضى لا يألو على شيء، يتفقد مواطن الضعف فيه، وعندما وصل إلى محطة الحافلات وصعد تلك الحافلة تبدت له طريق أخرى ما لبث ينشأ يمضي فيها مسرعاً، كانت الشمس ساطعة على جميع الأنحاء، وحمى السوق قد نشطت، وسمعت أصوات الباعة على مقربة منه، والدرب تحته يلامس شجونه، ويقوده إلى شمس جديدة، ستشرق في داخله، من جديد..

أقاصيص

خالد القحوم



المراسي البيضاء

تعبت مراسينا وأضحى البحر عشقا يداوينا جفت مآقينا
ولكن لم نزل نرثي مآسينا
كانت سمانا صافية فكتبنا على صفحاتها وجدا يناجينا
فهل تعبت مراسينا وهل كان الرثاء سحابة صيف مرت على
أطياف ماضينا؟

صدقة بريئة *

عندما كنا في الخامسة كنا صديقين، وعندما أصبحنا
في السادسة أصبحنا صديقين، وعندما بلغنا السابعة
مازلنا صديقين.

فجاء القمر إلينا صافياً يتحدى غيوم الصيف ويرسم لنا
طيفاً أجمل من الطيف وأنقى من بهاءات الصيف فظللنا
نرقب الأشياء كل الأشياء على قارعة طريق بيضاء لا تعرف
إلا أن تمضي وهي تناجي القمر وتقدم له أوراقاً.
كتبنا على سطورها أحلاماً خضراء جعلتنا أكثر تفاعلاً
بصدقات تمحي الأوجاع وتردد أغنيات
لا تعرف الحزن سبيلاً...

* مهداة للحبيب التوأم الزميل الأخ صالح حسين الفردي، بمناسبة حفل
إصدار كتابيه (ثمالة قلب)، و(الأغنية المحضارية.. قراءات وتأملات)

١٠ ديسمبر ٢٠٢٢م.

اشتياق في الحضور

((أصبح حضورك مثل الغياب اشتياق بعيد وارتباك قريب
في الصباح يبلغ الشوق مداه وفي المساء يفتح الوجد صداه
وعندما يشع القمر أرى وجهك صافياً يجدد نبض حلم ظل
يلاحقني على عتبات آمنيات تزورني تؤرقني وتسعدني.
فألملم أوراقك وأكتب إليك شيئاً يشبه الآهات.
ليبقى حضورك مثل الغياب ويبقى غيابك مثل المآب...))

انفراد مؤقت

أنا والبحر..
وشوشة أمواج وكوب من الشاي، شعر بالغبطة لأني
لم أخاطبه..
وصبية يتقافزون ويلهون بفرح غامر وفراشة ظلت تنتقل
على زهرات بادلتها المرح وتمايلت معها تماهياً..
فأين أنت؟ انتظرتك طويلاً..

لا يزال الشاي ساخناً أريد أن أعلن صداقتي للبحر
وأواجهه والصبية وفرهم والفراشة ومرحها
لعلي أجد بديلاً عنك في انفرادي المؤقت..



داء رويدا

بشرى شيخ

بكت رويدا ذات ليلة، فرأيت دموعها على حين غفلة، فسألْتُها عن سر بكائها، فأجابت بوجه شاحب متنفخ أحمر: آه آه آه، فرجاء يا رجاء اتركيني لبرهة، فأنا متعبة ولا أريد التحدث مع أحد، عانيتها وتربعت في الغرفة، وظللت أنظر لساعة يدي، مرت الدقائق والصمت ما يزال مسيطراً، ولكن في لحظة سمعت عبارة مختلطة بتنهيده طويلة، فاهتزت منها جوانب وجداني، وسرت قشعريرة في جسدي، وقلبي بدأ ينبض على غير عادته حين قالت:

- رجاء، لقد تمكن ذلك الداء مني، وأصبحت فريسته التي يكل منها، رجاء، أرجوك لا تخبري أمي وأبي، ولا ابنتي، ولا حتى سماح صديقتي..

حملت عيوني وتهت في ملامح وجهها، وأصبحت تارة أنظر لزوايا النافذة، وتارة في جسدها المتعب، فلساني ألجمت واختفت منها كلماتي، ولا أدري هل أصرخ أو أصمت؟ وكل جوارحي تنادي ما فعلت بنفسك يا أختي، ما فعلت بنفسك حتى تمكّن منك؟، وابتعدت عنها قليلاً، فقد بدأ ثاني أكسيد الكربون يخنقني، حاولت أن أزفره لكنه متشبث في صدري، والأكسجين أبى أن يأتي، طأطأت رأسي وأنا أتمتم بلا لا لا، وبعد لحظات نظرت ناحيتها رأيتها قد تكوَّمت حول نفسها من شدة الداء والألم، حاولت أن أنادي من ينقذها لكنها حذرتني ولا تريد أن يعرف بدائها أحد، وقد حان وقت مغادرتها لهذه البلدة تاركة خلفها قلبي المنكسر من هول صدمته الذي تركته بسهام كلماتها، ولكن ما خفف صدمتي رويداً عندما أخبرتني بأن زوجها يعلم داءها، وودعتها في ليلة اكتمال القمر، وأظلمت من بعدها سحائب ديرتي، وكل مرة

أحادثها أنهار بعدها ويضعف نبضي، وابنتها كاسرة خاطري، رضيعة لا تدري ماذا حل بأمها، تمنّت أن تشرب من حليب أمها وحنانها، ولكن الداء كان حاجزاً بينهما..

وفي ذات يوم علمت أمي بدائها، فصرخت صراخاً دوى في العنن، وانهارت حصون أبي العاتية، وأصبح ملازماً للسكن، خائفاً ذليلاً على رويدا من ظلمة الحياة وسوادها، والنوم قد جافى عيوننا، ومرت الأيام والليالي ونحن نعاني من ألمها ونبكي من بكائها، وفي تلك الليلة صحت بنت رويدا تبكي بكاء حتى الجدار لو كان عنده عيون لبكى، وهطلت السماء بدموعها وكأنها تريد إخباري بشيء ما، فاحتضنتها وأنا أقرأ بعض الآيات وأنظر إلى ساعة الجدار، وأتممت: ما بال الساعة لا تتحرك مثل عاداتها؟ وبعد برهة أصبحت..

الساعة الثالثة..

فتلتها الثالثة والنصف

ثم الثالثة وأربعون دقيقة

وفجأة أصبحت الرابعة والنصف

وانفتح الباب وعلا الصراخ، نهضت لأرى الخطب فإذا بي أرى منظرًا لييتني لم أره فقد أدخلت جثة رويدا التي يكسوها البياض مع بدايات الفجر، وأسدل الحزن ستاره في الحادي والثلاثين من ديسمبر، ليطوي مع نهاية عامه قصة رحيل رويدا الحزينة، التي غادرت بعد معاناتها مع دائها الذي تأخرت كثيراً عن علاجه، ولم تخبر أحداً به إلا عندما تمكن منها ألا وهو سرطان الثدي.



بغزة



أحمد عوض بن هامل

أَلَا لَيْتَ لِي دَمْعًا إِذَا عَزَتْ أَنْجَدًا
وَلَا الْعِيشَ قَدْ يَصْفُو وَفِي مَا يَرَى الْفَتَى
وَلِلَّهِ أَطْلَالٌ بِغَزَّةٍ قَدْ خَوَتْ
أَلَحَّ عَلَيْهَا الْقَصْفُ حَتَّى وَجَدْتَنِي
أُتِيحَتْ عَلَيْهَا النَّارُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
أَبْكِي عَلَى بَيْتٍ وَقَدْ بَاتَ مُوحِشًا
أَلَا أَيُّهَا الْجَرْحُ الَّذِي ظَلَّ رَاعِفًا
وَيَا أَيُّهَا الْأَسَدُ الصَّنَادِيدُ فِي الْوَعَى
آتَاهُمْ سَحَابُ الْمَوْتِ يَغْشَى سَمَاءَهُمْ
رَمَيْتُمْ فَسَدَدْتُمْ وَصَلْتُمْ كَأَنَّمَا
فَلَّهِ دُرُّ الصَّامِدِينَ بِثَغَرِهِمْ
هُمُ الْعَزُّ إِنْ ذَلَّتْ رِقَابٌ، وَأُطْلِقَتْ
تَكَالَبَتِ الدُّنْيَا عَلَيْهِمْ، وَإِنَّهُمْ
وَلِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ خَطِيبٍ مُلَثَّمٍ
إِذَا قَامَ فِي الدُّنْيَا خَطِيبًا بِمَشْهَدٍ
أَلِكْنِي إِلَيْهِمْ بِالسَّلَامِ فَإِنَّنِي
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً
وَيَا لَيْتَنِي أُعْطِيَ قَصِيدِي حَمَامَةً
فَلَا السَّعْدُ يَأْتِينِي وَلَا الْحُزْنُ قَدْ بَدَأَ
بَرِيئًا جَرِيحًا، أَوْ شُجَاعًا مُقِيدًا
تُجِيبُكَ إِنْ نَادَيْتَ صَوْتًا مُرَدَّدًا
تَحْدَرُ مِنِّي الدَّمْعُ حَتَّى تَبْدَدًا
وَهْدَمْتَ الْجُدْرَانَ مَثْنَى وَمَوْحَدًا
أُمُّ أَبْكِي عَلَى هَدْمٍ وَقَدْ كَانَ مَسْجِدًا
يُدَاوِي بِخِذْلَانِ فَيْدَمِي مُجَدَّدًا
ضَرَبْتُمْ فَأَثَخْتُمْ عَدُوًّا مُؤَيَّدًا
فَأَبْرَقَ هَطَالٌ عَلَيْهِمْ وَأَرْعَدَا
قَسَاوِرُ تَجْتَاحُ الْقَطِيعِ الْمُجَرَّدَا
إِذَا رَضِيَ النَّاسُ الْفَرَاشُ الْمَوْسَدَا
عَلَيْهِمْ عِيُونُ الْغَرْبِ يَرْقُبْنَ حُسَدَا
لَأُظْهِرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ عِزًّا وَسُودَدَا
إِذَا قَالَ أَدْنَى مِنْ أَرَادَا، وَأَبْعَدَا
مَهِيْبٌ لَدَى الْأَحْرَارِ صَعْبٌ عَلَى الْعِدَى
أَرَى النِّجْمَ يَأْبَى أَنْ يُعَالَى وَيُقْصَدَا
بَغَزَّةً أَمْ أَبْقَى عَلَى الشُّوقِ مُقْعَدَا؟
تُبَلِّغُهُ عَنِّي وَإِنْ كُنْتُ مُبْعَدَا



نافذة من ذكريات قسرين

دعاء الأهدل



ذكريات غادرتُ
ولم تعدّ.

من الشرفة المطلّة
على البحر وأشجار الحدائق،
كنتُ أنا امرأةً أخرى
في صباحاتٍ تشرين.

من بين أمواج البحرِ
كنتُ أجدُ ذاتي.
ما بين بحرِها والبحورِ،
لا شيء يشبهُها
إلا روحُ القدامى،
في سكنِ القلبِ القديمِ،

من الشُرْفَةِ المطلّةِ
على البحرِ
هذه المدينةُ عنوانُها
صمتٌ طويلٌ...

أحاديثُ مقصوفةٌ
مرمّيةٌ في سواحلها
وحكاياتُ لم تكتملِ.

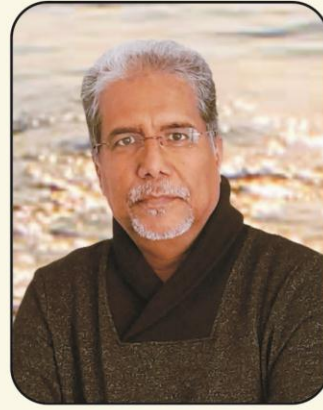
حين أغادرُ
كيف أعودُ؟!
للحلمِ بقيةً أيتها المكلا
الساكنةُ وسطَ الزحامِ
الراسمةُ علاماتِ الاستفهامِ
على أفواهِ الحيارى،
والعابرينَ على طرقاتكِ
الطويلةِ
العصيّةِ..





التداول السلمي للصفحة

قلّبتها- نؤول إلى التداول ههنا بعد ٣٤ توقيعاً، لكنه تداول لم يكن تحت ضغط أو ما شابه. بل كان بمحض الإرادة والاختيار والإيثار. وهنا نقطة الافتراق بين سياقين سياسي وثقافي. فالرقم ٣٤ يحيل إلى طول مكث الحاكم العربي في السلطة، متفرداً، حتى انفجار الشعب، ثم تدمير المدمر. لكن في حالة كالتى هي مدار المقال هنا، يبدو الأمر مختلفاً. ولعلي أقترح، إمعاناً في تفجير كوامن فكرة التداول، أن تفرّد الصفحة، في كل عدد لزميل يوقع مقالها، كما أفعل الآن. فعنوان الصفحة "توقيع قلم".



د. سعيد الجريري

ولعل تنكير المضاف إليه هنا مفتاح إلى جعلها منصة لفكرة التداول السلمي للسلطة الذي يبدأ من التداول السلمي للصفحة. وهي فكرة جديرة بالتأمل، لا من نافذة الطرافة في لعبة الاستعارة والتوازي، وإنما من منظور أن الممارسة تبدأ من أصغر ذرة في تشكيل الوعي الحقيقي بمفهوم العقد الاجتماعي الذي ينظم العلاقة بين أفراد الجماعة المجتمع الوطن.

من هنا تأتي فكرة التداول لا الاستخلاف، بالحفر في عمقها وجوهرها، فهي فكرة ديمقراطية بالمعنى الثقافي قبل السياسي، واتخاذ الصفحة نموذجاً منتجاً، مغيّراً، مجدّداً، محفّزاً. ومثلما أن التداول السلمي يمنح الأنظمة السياسية قدرة

ليس في العنوان أي خطأ أو سهو طباعي أو نحو ذلك، مما قد يتبادر إلى الذهن. فهو كذلك: التداول السلمي للصفحة. فإذا أبدى الزملاء الأعزاء في المجلة رغبتهم في أن أخلف الصديق د. عبدالله الجعدي في كتابة هذه الصفحة، مازحتهم كعادتي قائلاً: فكرة التداول السلمي للصفحة تبدو لطيفة، وحتى اسمها، يبدو لي، يؤدي إلى ذلك. لكن في الأمر سعة. إنما مبدئياً سوف أكتب مقال العدد القادم.

أما وقد خلفت د. عبدالله، فلعل قائلاً محبباً يقول: "خير خلف لخير سلف". وعندئذ أجدي، بل منذ الآن، واقفاً على فكرة التداول السلمي للصفحة قبل السلطة. فخارج سياق السياسة - والحياة سياسة على أي وجه



على التجديد، فإن تداول الكتابة في الصفحة يضيف على المجلة زخماً وفعالية، فكل كاتب ربما يختلف منظوره ورؤيته عن الكاتب الآخر، ويغدو الأمر أكثر فاعلية إذ تكون الصفحة متاحة لأقلام من أجيال مختلفة، ففي هذا ما يعزز التنوع والتعدد، ويشعل أمطار الرؤى، ويلاقح الأفكار.

ولعل في الفكرة مدار المقال هنا رمزية ما، من حيث إنها تثير فضول المتلقي وتذكي توقعاته، بحيث تكون الصفحة فاكهة المجلة، يتملأها فإذا هي في كل مرة مختلف مذاقها ولونها، فتصيبه منها عدوى إيجابية، أعنى دربة التجديد والتغيير، وانتظار المفاجئ وربما الصادم. فمن يدري فقد تصير الصفحة نافذة حوار وجدل وربما اختلاف بين كاتبين أو ثلاثة ممن تداولوا سلمياً عليها، أو من هم خارج التداول أو لما يمارسوه. لكنه حوار وجدل واختلاف لا تُسَلّ فيه نصال مستدعاة من خارج سياق: الفكرة بالفكرة، والرأي بالرأي، والسؤال بالسؤال، فتُثرى بذلك سياقات ظاهرة ومضمرة، هي المشترك الضام والضامن بين زملاء الحرف والكلمة والرؤية.

فكرة التداول السلمي للصفحة تُسقط صمنية (القائد الضرورة) الذي قد تكون صفته هذه مقتبسة من مدلول المثل الشعبي "قلة المهرة ضرورة" فالتداول، بعيداً عن أي ظلال سياسية (تتحذف علينا من كل ناحية) يحيل إلى استضافة الأقلام أو استكتابها، لإثراء الأفكار، وإثارة الأسئلة، وإدارة المساءلات العابرة للزمان، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

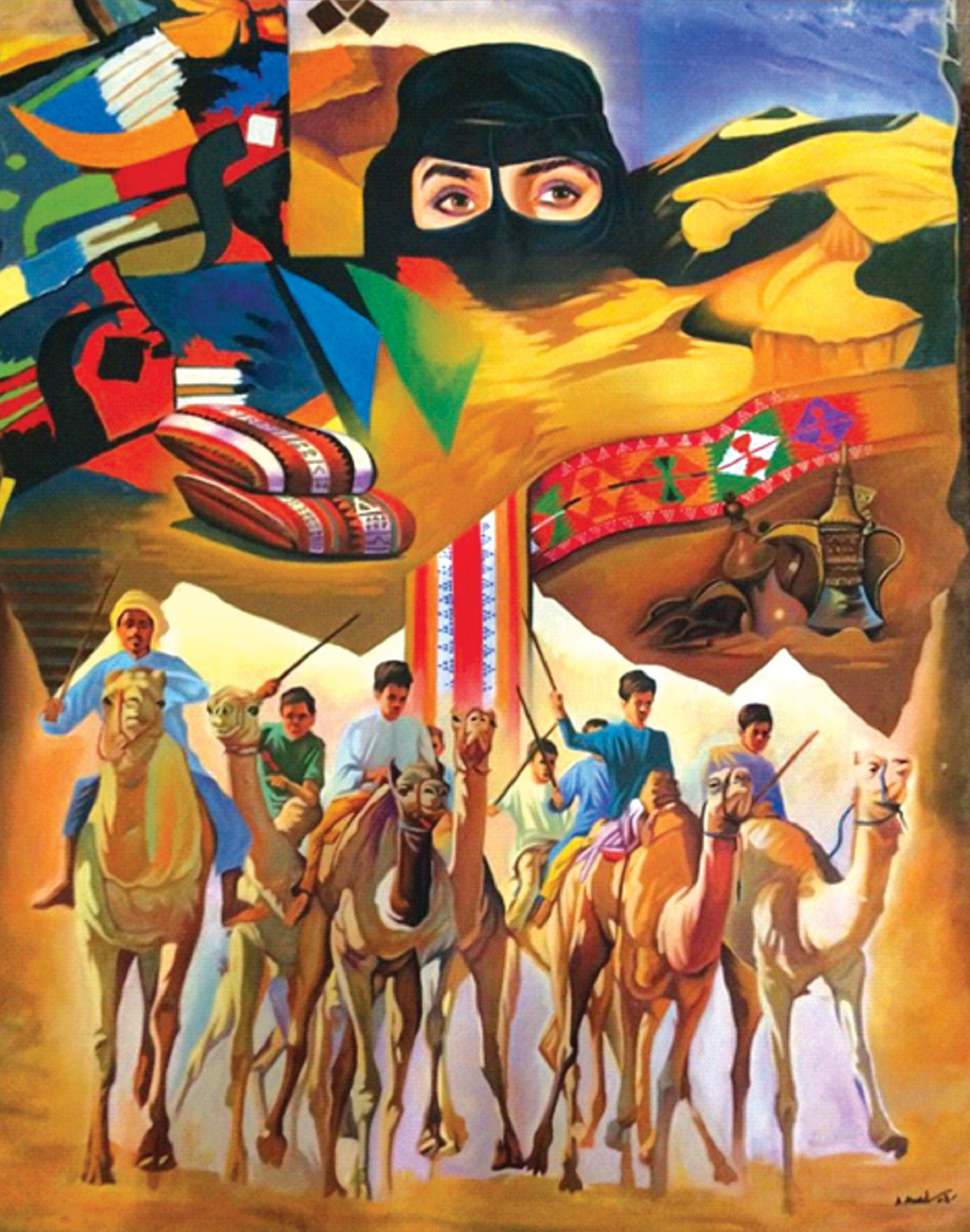
ومثلما أن التجديد في السياسة محكوم بالتداول السلمي، فإن المشهد الثقافي يثرى باختلاف الأصوات وتعددتها وتنوعها، فنكون بذلك أدنى إلى نبض اللحظة، نواكب المتغيرات مؤثرين فيها، لا متأثرين واقعاً علينا من آثارها كل ما هو سلبي غالباً.

”

ولعل في الفكرة مدار المقال هنا رمزية ما، من حيث إنها تثير فضول المتلقي وتذكي توقعاته، بحيث تكون الصفحة فاكهة المجلة، يتملأها فإذا هي في كل مرة مختلف مذاقها ولونها، فتصيبه منها عدوى إيجابية، أعنى دربة التجديد والتغيير، وانتظار المفاجئ وربما الصادم. فمن يدري فقد تصير الصفحة نافذة حوار وجدل وربما اختلاف بين كاتبين أو ثلاثة ممن تداولوا سلمياً عليها، أو من هم خارج التداول أو لما يمارسوه.

“

على أن فكرة التداول السلمي قد تتعدى الصفحة إلى التحرير. فالجيل الشاب هو صوت المستقبل، ومن عتبات الثقافي يبدأ تمكينه فكرة وممارسة، بحيث تمتد بين الأجيال والأصوات دروب تضيء نيرانها العتمات ولا تحرق الغابة. وعندئذ يُصار إلى فك الاشتباك بين سياقين متداخلين. لا أعني الثقافي والسياسي، على خلفية التصادي بينهما في فكرة التداول، بل بين أن نقول ولا نتعدى حاجز القول، فيظل الفعل هو الغائب الأول في متواليه مُلتفّ عليها، بخطاب بنيتة العميقة تنميق وتزويق، يهدف إلى تزويغ من لحظة هر منا قبل أن نراها: لحظة التداول السلمي للسلطة لا السياسية فحسب. بل السلطة من حيث هي في أي سياق تلقي بظلال تمثالاتها الثقيلة؛ فتتسففها، وتفضي إلى متاهة تفضي إلى متاهات مفضية إلى متاهات!



لوحة (سباق الهجن) للفنان التشكيلي علي غداف



مُنْتَدَى عَمِيدِ الْوَفَاءِ الثَّقَافِي

Ameed Alwaffa Cultural Forum

